JOURNEYS TO MYSTERIOUS WORLDS.

رحلات إلى عوالم خفية

حمزة فهد زايد

ضياء
t.me/twinkling4

رواية

KOTOPIA
PUBLISHING
HOUSE
كتوبيا
للنشر والتوزيع

رحلات إلى عوالم خفية

رحلات إلى عوالم خفية

رواية

حمزة فهد زايد

الكتاب: رحلات إلى عوالم خفية
الكاتب: حمزة فهد زايد
الطبعة الأولى:2022
تم تجهيز هذه النسخة بواسطة: أشرف غالب
جميع حقوق هذه النسخة محفوظة لصالح: مكتبة ضَـاد

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

«إما أن ننجو معًا أو نموت معًا»

شكر وامتنان

إلى كل من وقف بجانبي خلال مغامرتي في الحياة.

إلى والدي الذي شجعني أن أستمر، وقام بتدقيق كل ما كتبت.

إلى والدتي التي كانت تفخر بما أقوم وهي تستمع لأفكاري.

إلى زوجتي التي كانت تقرأ كل ما كتبت في حماس، ووقفت معي في رحلتي.

إلى أستاذي الفاضل والصديق إسماعيل أبو شخيدم على ملاحظاته العميقة التي طورت من العمل.

إلى صديقي العزيز فهمي الدويك على دعمه الكامل وقراءته للعمل بأكمله عدة مرات وتدقيقه للعمل.

إلى المهندس عمرو يسري على تشجيعه المستمر ودعمه المعنوي.

إلى كل من قام بتشجيعي ونقد أعمالي نقدا بناء مما جعل العمل يتحسن نحو الأفضل.

إلى دار النشر كتوبيا على تعاملهم الراقي ونشرهم العمل.

إلى الصديق محمد علي الميري على اقتراحه لعنوان الكتاب.

من دونكم لما استطعت أن أكمل الطريق

أقول لكم بكل حب.. شكرًا..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ومهما قلت فكلمات الثناء لن توفيكم حقكم!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الفصل الأول

رحلة إلى باطن النفس

- «عزيزي دكتور ميركل ماكرون، بغض النظر عن اسمك ذي الطابع السياسي المقيت، ألا يطلق اسم ميركل على الأنثى فقط؟!»

- «نفس التساؤل عندي يا دكتور نور، أليس نور اسما أنثويًّا؟»

ضحكت قائلًا:

- «إنه يصلح لكلا الجنسين، يبدو أن اسمك كذلك، هو جميل ويعني معجزة»

- «دعنا من الحديث عن الأسماء وأخبرني.. ما الذي جعل الدكتور نور كامل كريم.. الدكتور الأشهر في علم النفس يقوم بزيارتي؟»

- «في الحقيقة.. أنا أعاني من مشكلة.. لا أعلم لم يظنّ الناس أنَّ الطبيب لا يمرض ولا يحتاج لزيارة طبيب آخر، طبيب الجراحة لن يقوم بعملية جراحية لنفسه، لكن الناس لا تقبل هذه الحقيقة، لم أذهب سابقا إلى أيّ طبيب نفسي بالرغم من أنني شعرت بالحاجة لذلك لأنني إن فعلت فسيدمر ذلك. سمعتي تخيّل خبر أكبر طبيب نفسي ينتهي الأمر به مريضًا نفسيًا، ذلك سينتشر كانتشار النار في الهشيم وستجد الخبر على الصفحات الأولى من الجرائد، لهذا السبب جئت إليك، أنت طبيب جيد في بلاد تحترم سرّية المريض لأقصى حد»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «بالتأكيد، كل ما تقوله هنا له سرية مطلقة، أخبرني ما المشكلة التي تعاني منها؟»

تنهدت قائلًا:

- «لقد سئمت من ذلك الكابوس المزعج، إنه يراودني منذ أسابيع وأصبحت لا أطيق النوم ومهما حاولت البقاء مستيقظًا، في النهاية يستسلم جسدي وينام، وأرى ذلك الكابوس الشنيع، أنت تعلم أنه في كل مرة نقوم بعلاج أحد المرضى وسماع مشاكلهم، نحتفظ بجزء سلبي صغير منهم بداخلنا، بإمكانك أن تتخيل مقدار الطاقة السلبية التي تراكمت داخلي على مدى العشرين عاما، ولأنني لم أمتلك الوقت لتفريغ هذه الطاقة، أظن أنني وصلت لهذا الحال..»

- «أرجوك يا دكتور نور أن تتوقّف عن التّصرف كطبيب، أنت هنا المريض ويجب أن تتقبل هذا حتى نستطيع التقدّم، لا أريد أن نضيع الوقت بتحليلات نفسية عن حالتك لنفسك، أنت تعلم أن هذا سيجعل العلاج صعبًا على كلا الطرفين، فكل منا له أسلوبه الخاص، هل لديك مشكلة في أن تتبع أسلوبي أنا فقط من الآن فصاعدًا إلى أن تنتهي من العلاج؟»

هززت رأسي متفهمًا:

- «أفعل ما تريد، إن كان ذلك سيوقف تلك الكوابيس اللعينة، منذ أن بدأت وأنا أكاد أن أجن وأشعر بالغثيان دائما»

- «هذا جيد»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ثم أشار لي بيده إلى كرسي المرضى الذي أمامه:

- «تفضل واستلق على الكرسي حتى نبدأ»

استلقيت على الكرسي، قمت بسؤاله:

«درجة الحرارة منخفضة للغاية في عيادتك، هل من الممكن أن ترفع درجة الحرارة؟»

- «أعتذر إليك، وحدة التكييف معطّلة وسيأتي أحد لإصلاحها في وقت لاحق، إن كنت ترغب سنقوم بتأجيل الموعد»

- «لا، لا بأس، أستطيع أن أتحمل هذا، أريد أن أنتهي من ذلك الكابوس بأسرع وقت»

جلس ميركل ووضع قدفا على قدم وهو يمسك دفتر الملاحظات والقلم، ثم قال والاهتمام باد على وجه:

- «الآن أخبرني، ما ذلك الكابوس الذي يراودك؟»

- «دائما ما أجد نفسي في بداية الحلم في المكان الغريب نفسه، غرفة من دون نوافذ، ومن دون إنارة، وسط الظلام أرى بابًا، أفتحه بيدي ثم.. ثم أرى وحشًا مخيفًا، دائما ما أهرب منه لكن مهما حاولت، فهو دائما يمسك بي في النهاية، ثم أستيقظ وأنا مصاب بالهلع والخوف»

- «ما شكل ذلك الوحش؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا أذكر، لا أذكر سوى أن منظره مخيف جدا»

- «هذا مثير للاهتمام، الأحلام المتكررة هي عبارة عن رسائل من عقلك اللاواعي في محاولة لإخبارك بشيء ما، هل تتذكّر موقفًا معينًا بعد الاستيقاظ من تلك الكوابيس؟»

- «لا، الكثير من تفاصيل الكابوس تكون ضبابية وأنساها بعد أن أستيقظ»

- «في هذه الحال يجب أن أجعلك تنام في وضع النوم الواعي، أنت تعلم ما أعنيه.. ستكون مدركًا لكل الأحداث التي تحصل لك، حاول فقط أن تتحدث بكل شيء تراه هناك بصوت عالٍ، هكذا سوف تتكلم في أثناء نومك عما تراه»

- «دكتور ميركل.. ألا يوجد حلٌّ آخر، لا أريد رؤية ذلك الكابوس، هنالك طرق أخرى للعلاج و..»

- «لقد أخبرتك أن كلا منا له أسلوبه الخاص، أنت لست الطبيب المعالج هنا ويجب أن تثق بما أخبرك به»

قلت مستسلمًا:

- «حسنًا، سأفعل ما تريد»

طلب مني الدكتور ميركل أن أركز على المعدن المتحرك في البندول وقال:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «الآن توقف عن التفكير، فقط ركّز مع البندول وخذ نفسا عميقا، أغمض عينيك. تخيل أن جسدك يطفو في الفضاء، زفير ثم نفس عميق آخر، تخيل أنك تعوم بكل استرخاء في الفضاء، جميع عضلاتك الآن ترتخي، تابع بتخيل البندول في عقلك وبالقيام بالزفير والشهيق العميق، أنت تشعر بالنعاس الآن»

لا أعلم لم بدأ صوته ينخفض، فتحت عيني قائلًا:

- «للأسف.. لا أعتقد أن هذا سينجح مع طبيب نفس يعرف الخدعة و..»

انتظر لحظة، أنا لست في العيادة، أنا الآن داخل الحجرة التي أخبرت ميركل عنها، لقد نجح في إدخالي إلى عالم الحلم، والمثير للإعجاب أنني أمتلك كامل إرادتي بالحركة هنا، أنا لم أستخدم هذا الأسلوب سابقا مع أيّ من مرض أيّ وكنت أظن حالة الحلم الواعي مجرد ترهات لا صحة لكن هذا يثبت أنه حتى أفضل شخص في مجال ما بحاجة لأن يتعلم لآخر لحظة من حياته.

أنا الآن في الغرفة المظلمة، وأرى وسط الظلام شيئا ملقى على الأرض، إنه مصباح يدوي.. أمسكته، لا بد أن عقلي ابتكره من أجلي كي أنير به الظلام هنا، أثرت المصباح وتلفت حولي، يوجد سرير وعليه الكثير من الملاءات، وبالقرب منها ماء وطعام منه الصالح والفاسد وهناك شيء حجري المنظر بقرب الطعام، اقتربت منه، إنها جبيرة محطّمة، لاحظت وجود دماء جافة على الأرض، الحلم الواعي جعل التفاصيل تبدو واضحة، لكن ما دلالات تلك الأشياء؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لاحظت أنه على الجدار مكتوب «لا زلت عند وعدي لك».

توجهت نحو خارج الحجرة لأجد نفسي في ممر مظلم، مشيت به ووجدت أنه يؤدي إلى ممرات وحجرات أخرى، المكان أقرب لمتاهة، مشيت قليلا ثم سمعت صوت ضجةٍ من الخارج، تقدمت نحو مصدر الصوت، تكرر الصوت مرة أخرى، إنه قادم من نهاية الممر، حين وصلت.. وقف شعر رأسي منتصبًا! إنه الكائن المخيف!

كان جاثيًا على ركبته ويأكل لحمًا من جثةٍ بشرية متعفنة، شهقت من الرعب وأغلقت فمي بيدي محاولًا ألا أخرج أيّ صوت آخر، لكنه أدرك وجودي ونظر لي نظرة ثاقبة كادت تخترق رأسي ثم نهض وزأر والدماء تسيل من فمه، ثم ركض نحوي، خفق قلبي خوفًا وهربت، ركضت بأسرع ما يمكنني، لكنه كان أسرع مني، قفز فوقي وأطاح أرضًا مما أدى إلى سقوط المصباح من يدي، قلبي يخفق بشدة وعقلي يتلاعب بي ويجعلني أحس بواقعية الأمور، أنا خائف وأرتجف، ذلك الكائن يضع يده على ظهري، هل سوف يأكلني؟ لم أستطع التحمّل ونظرت نحو مصباح الإثارة، لقد سقط بعيدًا، لكنه أنار أعلى الجدار، هناك شيء مكتوب عليه.. زأر الكائن وأحسست بألم حاد في رأسي والرؤية أصبحت ضبابية، حاولت أن أركز بما تبقى لي من طاقة، يجب أن أعرف ما هي تلك الكلمات المكتوبة على الجدار قبل أن أستيقظ، رأيتها بالروسية «الإعصار B5».. ما الذي يعنيه هذا؟

ازداد الألم حدة ولم أعد أتحمل..

حين فتحت عيني وجدت أنني استيقظت في عيادة الدكتور ميركل، كنت أصرخ من الهلع:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أمسكني ذلك الوحش، سوف يأكلني.. سوف أموت»

- «هدّئ من روعك يا دكتور نور، لقد استيقظت الآن من ذلك الحلم، لا يوجد ما يخيف»

- «كانت هذه المرة مرعبة للغاية، أنا أتذكر كل شيء بدقة، لا يزال قلبي يخفق بشدة خوفًا من ذلك الوحش»

- «لا بأس، لقد كنت شجاعا بما يكفي، كنت تتحدث وتصف لي ما تراه في أثناء نومك، دائما ما تكون الأحلام شديدة الواقعية دلالة على أهمية الرسالة التي يريد عقلك اللاواعي إرسالها لك، إن العقل الباطن لدى الإنسان جزء معقد وتختلط فيه الذكريات مع الخيال، لقد خلق عقلك وحشا لك حتى يمنعك من الوصول لتلك الرسالة لأنها قد تكون حقيقة صادمة لا ترغب في معرفتها»

قلت وأنا أصرخ:

- «لا يهمني هذا الكلام، أنا أريد أن ينتهي الأمر، لا أريد أن أعرف ما تلك الرسالة اللعينة، فقط أوقف تلك الكوابيس اللعينة قبل أن أفقد صوابي»

- «أرجوك اهدأ، أنا واثق بأن الأمر لن ينتهي إلا عندما نجد تلك الرسالة، هذا ما أؤمن به، هل تريد أن تكمل وتثق بأسلوبي في العلاج؟ أم ننهي الجلسة وتغادر؟»

أخذت نفسا عميقا وهدأت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أنا أعتذر عن نوبة الغضب هذه، أرجوك أكمل»

- «لا بأس، هل تتحدث الروسية؟ لقد كنت تردد قبل أن تستيقظ كلمة - الإعصار B5- بالروسية»

- «أجل.. لقد كانت معظم دراستي في روسيا»

- «هل تعني لك هذه الكلمة شيئا إذن؟»

- «لا.. لا أتذكر شيئا له علاقة بهذه الكلمة» كان يدون ملاحظاته على الدفتر:

- «هل تذكر ملامح الوحش هذه المرة؟»

قلت مبتلعًا ريقي:

- «أجل، لقد شاهدته جيدًا، له قوام بشرية، لكن لا جلد له.. الأدق أنه بدل الجلد هناك مادة شفافة لزجة تحيط به وكل الشرايين والأوردة والعضلات ظاهرة، أقرب إلى الهيكل العضلي لكن من دون أنف، الأسنان كانت أقرب لأنياب.. أما عيناه.. فقد أثارت حيرتي.. العينان كانتا بشريتين للغاية»

- «العينان بشريتان! قد يكون هذا انعكاس لشخص تعرفه قد قام بإيذائك، هل يذكرك هذا الوحش بشخص تعرفه أو تكرهه بشدة؟»

- «لا.. لا يوجد من أكرهه لدرجة أن أحلم به كوحش!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «ما زالت الأمور مبهمة، يجب أن أعيدك، يجب أن نعرف ما تلك الرسالة التي يحاول عقلك أن يرسلها إليك»

- «دكتور ميركل، أرجوك، أنا ما زلت أرتجف وأحتاج لبعض الوقت حتى يذهب هذا الألم من رأسي»

- «حسنا، سنأخذ استراحة إلى أن تصبح جاهزا، سأعد لك مشروب أعشاب مريحًا للأعصاب»

ثم خرج ميركل من الغرفة، نظرت حولي، من الجدير بالذكر أن الرجل يمتلك عيادة تشبه إلى حد ما عيادتي، يبدو أن جميع أطباء النفس يتبعون معايير مشابه في تصميم عياداتهم، على مكتب الرجل لوحة مكتوب عليها اسم الطبيب ميركل ماكرون، وهناك كتب علم نفس على الرفوف في عدة أماكن.. نظرت ليَدي التي كانت ترتجف.. ترتجف من الخوف والبرد مقا.. يا لحظي الذي عطل وحدة التدفئة هذا اليوم.. لكني سأتحمل لعل هذه الكوابيس تنتهي اليوم..

دخل ميركل وهو يحمل شأيّ الأعشاب وأعطاني إياه، ارتشفت منه رشفة وشعرت بالدفء وبدأت أعصابي بالارتخاء، حين أنهيت من شرب شأيّ الأعشاب، قلت له:

- «أشعر بأنني أفضل الآن»

- «هذا جيد، سنعاود التجربة مرة أخرى، حاول ألا تثير انتباه ذلك الوحش، وحاول البحث عما تستطيع من أجزاء تلك الرسالة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هززت رأسي موافقا، وهكذا أعدنا كل ما قمنا به سابقا، ركزت على البندول وأغلقت عيني مع شهيق وزفير منتظم ومن ثم غصت في نوم عميق لأجد نفسي في الحجرة التي كنت بها سابقًا.

في كنت ملقًى على الأرض، وبقربي المصباح الكهربائي، هذا يشعرني بأنني لعبة إلكترونية ما، حين تموت الشخصية الرئيسة فيها، تعاود هذه الشخصية اللعب من نقطة البداية، أمسكت المصباح وأخذت نفسا عميقا، قواعد اللعبة واضحة، يجب أن أكون هادئًا ولا أصدر أيّ ضجيج وأتجنب الأماكن التي يتواجد فيها ذلك الكائن، خرجت من الحجرة وسرت في العمر، ترى أين ذلك الكائن الآن؟

كانت الظلال الناتجة من المصباح المرتجف في يدي تصيبني بالهلع وتجعلني أتخيل الوحش يلاحقني، أستطيع سماع صوت أنفاسي الثقيلة، يجب أن أهدئ من روعي.

«تمالك نفسك يا نور، مهما كان الأمر مخيفا ففي النهاية هذا مجرد حلم» قلت ذلك مطمئنًا نفسي. هدأت ومشيت متقدمًا في المتاهة، أسمع ضجيجًا قادمًا من الممر الأيمن، لا بد أنه ذلك الكائن، لا بأس، سأذهب من طريق آخر، يسار ثم يمين ثم يمين آخر، وصلت لسلم معدني يمتد إلى فتحة في السقف، صعدت السلم، لأجد نفسي في طابق آخر، تفحصت المكان، في هذا الطابق يوجد العديد من الغرف المتحطمة، ولاحظت أن عبارة -الإعصار 84- مكتوبة على الجدار، أما بالأسفل كانت -الإعصار B5-، إذن الجزء الثاني من العبارة يشير إلى الطوابق، أليس كذلك؟ هل أنا في مبنى في الرابع تحت الأرضي؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الطابق أثار انتباهي غرفة مكتوب عليها مكتب المراقبة، حاولت فتح باب المكتب، لكنه كان موصدا بإحكام، من خلال نافذة الباب.. ألقيت نظرة باستخدام المصباح إلى داخل الغرفة ورأيت العديد من شاشات المراقبة، كان معظمها محطما، هناك جهاز حاسوب ملقى على الأرض، وملفات متناثرة في الأرجاء..

تلك الملفات مكتوب عليها كلمة الإعصار!

أشعر بأنني سأجد إجابة لم يتكرر هذا الكابوس داخل هذه الغرفة، يجب أن أجد طريقة لفتح الباب حتى لو اضطررت لكسره، بحثت في الأرجاء عن شيء قد يساعدني في فتح الباب، لكن لم أجد شيئا، الحل أمامي ولكني لا أستطيع التقدم أكثر، يفصلني عن نهاية عذابي باب بسمك خمسة سنتيمترات، قمت بركل الباب في غضب، لم يتزحزح الباب شبرًا واحدًا!

لكن ذلك أحدث ضجة لا بأس بها، تبعه زئير غاضب، اللعنة، لقد قمت بكشف مكاني بكل حماقة، يجب أن أهرب، لكن إلى أين؟

هناك درج أمامي! درج يتجه للأعلى، ركضت صاعدا على الدرج، وأنا أدعو ألا يجدني ذلك الكائن المرعب، كان هذا الدرج معدنيا مما أصدر ضجة أيضا، لكن لن أتوقف وسأركض بأسرع ما أمتلكه، كان الباب التالي موصدًا وكذلك الباب الذي يليه، اللعنة، وصلت لآخر الدرج، باب معدني له حلقة معدنية خارجة منه، أشبه بتلك الأبواب التي نراها في الأفلام لخزنة البنك لكن هنا أصغر حجمًا، أدرت الحلقة، ثم سحبت بأقصى قوتي، لقد فُتح الباب، الحمد لله، دخلت مسرعًا، قاعة أشبه بقاعة اجتماعات في طرفها الآخر باب مختلف، أثار انتباهي

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

صندوق معلق على الجدار يحتوي على سلاسل مفاتيح، رأيت مفتاح مكتب مكتوب عليه (مكتب المراقبة) معلقا هناك، لكن فجأة سقطت على الأرض، لقد أمسكني ذلك الكائن، قلبي يخفق بشدة وغرقت في ظلام دامس!

استيقظت وأنا أرتجف كورقة واهتز كمن أصيب بالضرع والدكتور ميركل يحاول تهدئتي:

- «نور.. يا نور.. لا تخف.. لقد عدت»

فتحت عيني وأغلقتها مرارًا وتكرارًا ثم تمالكت نفسي وقلت لاهثًا:

- «هذا مخيف بحق، تكاد عروقي أن تجف من الدماء من شدة الخوف، لكن.. لكن يجب أن أعود، يجب أن أعرف ما تحتويه تلك الغرفة، أشعر بأن الإجابة تكمن هناك»

قال ميركل في ضيق صبر وهو ينظر لدفتر ملاحظاته:

«ألم تجد شيئا يذلك على المختبر؟!»

- «مختبر؟! أنا لم أقل شيئا عن أيّ مختبر!»

قال مرتبكًا:

- «آه.. صحيح، لا بأس، لا بد أنني سمعت كلمة وفهمتها بمعنًى آخر، سأعد لك كوبًا آخر ثم نعاود التجربة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

غادر الدكتور ميركل من قاعة العيادة، ما بال ذلك الرجل؟

إنه يتصرف بغرابة، إلى أن يعود سأقوم بجولة صغيرة في عيادته، يجب أن أتحرك حتى أشعر بالقليل من الدفء، قمت من مكاني وتوجهت نحو المكتبة، الكتب الموجودة في مكتبته لها عناوين غريبة لم أسمع بها من قبل، كانت جميعها تبدأ بكلمة -العمر- ثم رقم ما وتحتوي على أجزاء عدة وبالأسفل اسم المؤلف ميركل ماكرون، فتحت أحد هذه الكتب، كان اسم الكتاب -العمر 30-، فتحت أحد الصفحات عشوائيًا وقرأت:

«رغم سعادتي بأن زوجتي سوف تنجب إلا أنني جننت حين سمعت بأن الجنين لن يعيش، سبب ذلك حزنًا عميقًا لي، وبعد أن تم إزالته من رحم زوجتي زادت المسافة بيني وبينها»

توقّفت عن القراءة.. هذا غريب!

هذا.. حدث معي سابقا في عمر الثلاثين، قلبت الصفحات، ما هذا؟!

كلها تحتوي على أحداث قد جرت سابقا معي في حياتي!

كتاب آخر لعمر الطفولة: «كان جدي يضربني بشدة ولم يفعل أحد شيئا لإيقافه، لقد صنع ندبة على كتفي بسبب ضربه القاسي، أنا أخاف بشدة من جدي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

إلهي، هذا لا يمكن، هذا جرى لي أيضا وأنا طفل، وما زالت الندبة موجودة لدي، سمعت صوتا قادمًا من خلف الباب، يبدو أن ميركل عاد، أرجعت الكتاب وعدت إلى كرسي المرضى بسرعة.

دخل الدكتور ميركل وبيده كوب شأيّ الأعشاب، تصادمت الأفكار لدي، من يكون هذا الرجل بالحقيقة؟

هل ما أنا به سببه هذا الشخص؟!

هل هو من قام بزرع هذه الكوابيس في عقلي عند قدومي له في المرة الأولى متى كانت المرة الأولى؟ لا أذكر.. لا أذكر حتى كيف وصلت له!

قدّم إلي ميركل كوب شأيّ الأعشاب، ابتلعت ريقي وحاولت ألا أظهر شكوكي شربت من شأيّ الأعشاب متظاهرا بأن شيئا لم يحدث، كان يجب أن أشك بأمره بسبب اسمه السياسي الغريب الذي من الواضح أنه مزيف.. ميركل ماكرون! اللعنة، الخطر يكمن هنا، لقد وثقت به، لم سألني عن المختبر؟ ما الذي يريده منه؟

هذا الرجل يريد شيئا ما من ذكرياتي، شيئا قمت بتخبئته في باطن عقلي لسبب معين.

أشعر بالاختناق يا إلهي، أنا محاصر، محاصر من كلا العالمين، عالم الحقيقة وعالم الحلم، ما الخلاص الآن؟

هل أهرب؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لا أعتقد أن ذلك سينجح، بالرغم أن الرجل لا يختلف عني في البنية الجسدية، إلا أنني ضعيف ومرهق، مرهق للغاية، كما أن ألم رأسي يزداد، وشعور التعب يتسلل لعظامي..

هذا ليس طبيعيًا، لحظة!

الكوب الذي شربته.. هل يحتوي على منوم؟!

ذلك اللعين.. غبت عن الوعي، أصبح كل شيء حولي ظلامًا دامسًا.

فتحت عينيَ، أنا في الحجرة اللعينة، أمسكت المصباح وانطلقت إلى الغرفة التي تحتوي على المفاتيح متجنبًا أيّ طريق أسمع فيه ضجة قادمة من الكائن المرعب، يجب أن أفهم ما يحدث، بخطوات سريعة هادئة وصلت إلى غرفة المفاتيح، أخذت مفاتيح غرفة المراقبة وقبل أن أتوجه للغرفة، فتحت الباب الآخر في قاعة المفاتيح من باب الفضول لأرى ما بها، يا الدهشة!

كانت منصّة قيادة لسفينة فضاء، تغاضيت عن وجود جثة على الأرض. وسرت من قربها نحو النوافذ، نظرت للخارج.. إنها تطفو في ظلام دامس، بحثت في الغرفة لأجد صندوق التحكم بالطاقة، فتحته، كان زر الطاقة محترقًا على الجدار، قمت بكسره باستخدام المفاتيح ومن ثم قمت بملامسة أطراف السلك، مما أثار المكان، وأثار مقدمة السفينة، لحظة!

هذه ليست سفينة فضاء، إنما هذه.. غواصة.. غواصة عملاقة في عمق المحيط، نظرة لمقدمة السفينة، مكتوب عليها كلمة «الإعصار»، هذا

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

اسم الغواصة إذن، لقد سمعت ذات مرة عن غواصة تدعى الإعصار الروسي وهي أكبر غواصة في العالم، أتذكر أنني انبهرت بوزنها الذي يصل إلى 48 مليون كيلوجرام، لكن ما الذي جلب هذه الغواصة إلى أحلامي؟

هل يحاول عقلي تفسير حالة الغثيان الدائمة التي أصابتني منذ أن بدأت هذه الكوابيس بوضعي في هذه الغواصة؟

الإجابة تكمن في غرفة المراقبة، توجهت نحو الغرفة بخطوات سريعة هادئة أسمع ضجيج الكائن هنا، إنه يتوجه نحوي، إنه يركض بسرعة على الدرج، هل.. هل اكتشف أمري؟

لكني لم أصدر أيّ صوت، كيف اكتشف موقعي؟

هل من الممكن أنه يعلم أن الإنارة تعمل من الأعلى؟

إن كان ذلك صحيحًا فهذا الكائن يمتلك ذكاءً ووعيًا كالبشر.

يجب أن أختبئ في مكان ما قبل أن يصل لي، هناك سلم معدني في وسط المنصة الرئيسية، نزلت من خلاله، وصلت إلى قاعة الاجتماعات، لقد كانت الإنارة تعمل ولم أعد بحاجة للمصباح الآن، مشيت من خلال القاعة ووصلت إلى حجرات للنوم، بها أسرة ملطخة بالدماء، والعظام والجثث متناثرة في كل مكان، يا لهذا الكابوس اللعين!

لقد اكتفيت من هذه المشاهد الشنيعة، مشيت مسرعا إلى نهاية الممر، قاعة وسلم معدني آخر للأسفل، نزلت بالسلم، ووصلت لقاعة ضخمة،

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هذه القاعة هي المختبر، إنها ما كان ميركل يسألني عنه، لم كان يسأل بحماس عن هذا المكان؟

كانت هناك غرف تحتوي أنابيب محطّمة وغرفة فيها أجهزة عمليات، وهناك غرفة فيها قيود وكرسيان مقابلان لبعضهما البعض، لاحظت وجود كاميرا على سقف الغرفة، لا بد من أن هذه الكاميرا مرتبطة مع كاميرات المراقبة، قطع حبل تركيزي صوت زئير الكائن قادم من أعلى، إنه يقترب، يجب أن أهرب، أيّ طريق أسلك؟

من الجيد أني رأيت خريطة مثبتة على الحائط، مزّقت أطرافها وأخذتها، هذا أفضل، أنا الآن أعلم أين أتجه، توجهت إلى السلم الموجود في القاعة ونزلت به للأسفل، كانت قاعة تناول الطعام، لكن يبدو كأنّ حربًا جرت هنا، جثث ودماء وعظام في كل مكان بشكل أسوأ مما كانت عليه حجرات النوم في الأعلى، الأرض المعدنية ممزقة، وآثار لكمات وطلقات ودماء على الجدار، هل جرت معركة ما هنا؟!

لن.. لن أهتم ببشاعة المنظر لأن هذا مجرد كابوس!

السلم التالي على بضع عدة قاعات، نزلت لأجد نفسي في إحدى الغرف ذات المحتويات المحطّمة، زحفت من بين الخزانات التي سقطت فوق بعضها البعض، لأجد نفسي في الممر الذي يوصل لمكتب المراقبة، أجل، الحقيقة تكمن خلف هذا الباب، وأنا الآن أفتحه، أفتح قدس الأقداس.

دخلت وتأكدت من إعادة إغلاق الباب بالمفتاح، أرجو أن يكون كافيا ليمنع الوحش من الوصول إلى، نزلت لأرى الملفات المبعثرة على الأرض، كانت بالروسية، تحوي ملفا يحتوي على أسماء ومعلومات لما

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

يقارب المئة عالم وطبيب ومنهم اسمي، وعلى رأس القائمة اسم «الدكتور إيفان بافلوف»، ثم ملف آخر يحتوي على اسم «غابرييل كاستيلو»... الاسم مألوف، مألوف بشدة، أشعر بأهميته، كانت الملفات تحتوي على تواريخ، هذه التواريخ كلها بعد شهرين من الآن، لم أعد أفهم ما يحدث! هل هذه أحلام عن المستقبل؟!

ما هذه الفوضى التي أنا بها؟

أنا غير قادر على تحمل كل هذا!

كنت أترنح وبدأ الظلام يسود.. لا ليس الآن، لا زلت لم أجد الحقيقة بعد!

لا أريد أن أستيقظ!

استيقظت في عيادة الدكتور ميركل، كان ميركل متحمسًا وقال:

- «لقد وجدت الخريطة.. أليس كذلك؟!»

نظرت له ولم أتمالك نفسي، وقفت ولكمته بقوة في وجهه مما جعله ذلك يسقط على الأرض

- «من أنت أيها الوغد؟.. ماذا تفعل بي؟»

- «أرجوك اهدأ يا دكتور نور.. »

قلت صارخًا:

- «كيف أهدأ وأنا في عيادة مجنون قد قام بتسجيل كل ذكرياتي في كتبه؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ركلت ميركل في معدته وأكملت:

- «سأبلغ الشرطة عنك أيها المعتوه»

- «أرجوك لا تخرج.. سيفشل العلاج إن فعلت»

- «لا آبه لعلاجك لي، في الحقيقة أنت من يحتاج إلى علاج»

كان يتوسّل حين وصلت إلى باب العيادة:

- «نور.. لا تخرج.. نحن اقتربنا جدًا من نهاية العلاج»

حاولت فتح الباب، لكنه موصد، رجعت للخلف وركلت الباب عدة مرات إلى أن تحطم قفله، وميركل يصرخ:

- «لا يا نور.. لا»

فتحت الباب.. ويا لهول ما رأيت.

فراغ.. فراغ لا نهائية له.. اختل توازني وكدت أن أسقط، لكن ميركل أمسكني وأعادني لداخل الغرفة، قلت وأعصابي تكاد أن تنهار:

- «أنا لا أفهم شيئا مما يحصل! أين أنا بالضبط؟ من تكون أنت؟»

تنهد ميركل وأشار إلى المرأة الموجودة في الغرفة، نظرت للمرأة، كانت اسم ميركل ماكرون المكتوب على درع فوق المكتب ظاهرًا.. لكن انتظر.. أدركت شيئا وأنا أرى الاسم على المرآة.. أقرأ اسم ميركل ماكرون من اليسار إلى اليمين.. ستحصل على اسم مألوف للغاية .. سأمهلك ثوان لترى.. هل عرفت على ما ستحصل؟!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ستحصل على اسمي أنا.. نور كامل كريم.. ما هذا المزاح؟

وقف ميركل أمام الاسم وقال:

- «ألم تفهم بعد يا دكتور نور، أنا انعكاس لشخصيتك وأفكارك، لقد مررت بتجربة صعبة ولم تنته بعد، لم تمتلك الخيارات وقد قاربت على أن تتحطم نفسيا، فصنع عقلك الباطن هذا العالم وأوهمك بأنه العالم الحقيقي، وصنعني ووضع أمل الهروب من الموقف بين يدي»

كنت أتصبب عرقًا وأرتجف بينما الأنوار تومض والقاعة تهتز بشكل درامي، قلت:

- «ما الذي تقوله؟! أتعني أنني في الواقع عالق الآن في غواصة في قاع أحد المحيطات مع وحش لا يرحم»

هزّ ميركل رأسه وقال:

- «بالضبط، شعورك بالبرد هنا كان بسبب برودة الغواصة التي قطعت الكهرباء عنها، شعورك بالغثيان بسبب حركة الغواصة»

- «لحظة.. هذا عسير الفهم.. أنا لا أذكر شيئا.. لا أذكر كيف وصلت للغواصة في البداية»

- «لا أعلم لم تناثرت ذكريات آخر شهرين، قد تكون الصدمة القاسية التي مررت بها سابقا هي السبب، لقد قمت بجمع ما استطعت من تلك الذكريات المشتتة جميعها على الكتاب الموجود على مكتبي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أمسكت الكتاب وقلبت صفحاته وتذكرت الأحداث المرعبة التي حصلت معي في الغواصة.

لقد حدث خطأ في التجربة وهرب الوحش في أثناء انشغالنا بأحد الاجتماعات، وسط صراخ من الطابق العلوي أذكر أن الغواصة قد مالت وأدى ذلك إلى اختلال توازني، أمسكت بالكرسي، لكن الغواصة تابعت الدوران إلى أن وصلت إلى زاوية أصبحت الجدران الجانبية هي الأرضية والسقف، لم أتمكن من الصعود أكثر وسقطت على الجدار وشعرت بساقي تتهشم وفقدت الوعي من الألم الحاد.

حين استيقظت وجدت نفسي وسط الظلام في الحجرة والجبيرة تحيط بقدمي والعديد من الملاءات فوقي، لقد قام أحد الأشخاص بعلاجي، لم أستطع التحرك، ومت وقت طويل لم يدخل فيه أحد إلى الحجرة التي أنا بها، كانت درجة الحرارة تنخفض، وكنت أنادي على رفاقي لكن لا أحد يستجيب، إلى أن جاء يوم سمعت ضجة خارج الحجرة.

- «أخيرا أحد الرفاق، أنا هنا»

زحفت من مكاني لكني وجدت ذلك الوحش أمام الباب، يتناول لحم أحد رفاقي، صرخت، وجفت الدماء في عروقي، اقترب مني الوحش ثم حملني كأنه يحمل فأرا وأنا أرتجف من الرعب ثم ألقى بي على السرير في الحجرة، خرج وعاد بعد دقائق وألقى ماء وطعامًا معلبًا بقربي، هنا أدركت أن كل من على الغواصة قد ماتوا أدركت أنه يحتفظ بي كوجبته الأخيرة حين ينتهي من تناول باقي الجثث، وجبة اللحم الطازجة الأخيرة في الغواصة، كنت أرتجف من البرد والخوف والألم، كل يوم يمرّ أنتظر فيه أن ينقض ذلك الوحش عليّ ويُنهي على حياتي وينهش لحمي.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لمدة شهر كامل قضيت الوقت وأنا أشعر بالخوف والوحدة في وسط الظلام، كنت أؤمن ألا مهرب لي من هذا السجن تحت أعماق المحيط، كل ذلك أوجد حالة من عدم الاستقرار النفسي، لقد فقدت الأمل واستسلمت للأمر الواقع حتى بعد أن شفيت ساقي المكسورة.

يبدو أن عقلي اللاواعي استغلّ علمي ومعرفتي الضخمة في علم النفس وصنع الدكتور ميركل ليدفعني للتحرك ويحررني من قيود الخوف، لقد حجز ذكريات الشهرين السابقين، وجعلني أؤمن بأن عالم الحلم هو حقيقة وعالم الحقيقة مجرد كابوس لا أكثر، لقد تحركت ونسيت مخاوفي تحت هذا المعتقد، وطوال الوقت كان ميركل يريد الخريطة في المختبر، لماذا؟

الجواب لأنها تحتوي على موقع كل شيء.. وأهم ما تحتويه هو موقع كبسولة الطوارئ التي سأهرب بها من الغواصة، لقد نجح الدكتور ميركل بزرع أمل بداخلي.

نظرت نحو ميركل الذي بدأ يتلاشى وقال:

- «الأمر الآن بين يديك يا دكتور نور، تستطيع فعلها»

قلت له مبتسما:

- «أشكرك كثيرًا، لقد قمت بدورك على أكمل وجه، لن تضيع جهودك سدى»

وساد الظلام مجددا.. استيقظت لأجد نفسي في منتصف غرفة المراقبة، لم يجدني الوحش بعد، هذا جيد، فتحت الخريطة ونظرت لموقع كبسولة

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الطوارئ، أنها في طابق المنصة 81 في إحدى الغرف، رسمت أسرع طريق للوصول هناك، وأمسكت الملفات، ثم أمسكت الحاسوب الذي كان محطّمًا إنه ما يستخدم لتخزين تسجيلات كاميرات المراقبة، أزلت الطبقة المعدنية عنه باستخدام مفتاح الباب ووصلت إلى القرص الصلب، قمت بإزالته ووضعته في داخل جيبي، تفقدت المكان لعلي أجد ما يفيدني في هروبي، وجدت مسدسًا في أحد الأدراج، هذا رائع، إنه ممتلئ بالطلقات، إذن حان وقت المغادرة.

كنت أسير بهدوء، لن أخرج أيّ صوت، لكن إن ظهر ذلك الكائن اللعين فسوف أفرغ طلقات المسدس في جسده، صعدت على الدرج، وحين وصلت لطابق قاعة الطعام، وجدت الكائن أمامي، بدأ يركض نحوي!

- «مُت أيها الوغد»

وأطلقت الرصاص عليه، سقط الوحش على الأرض.

- «لقد قتلت رفاقي في هذه القاعة، ستكون مناسبة كقبر لك»

فتحت عيني مندهشا، بالرغم من أن الطلقات كانت تدفعه للتراجع إلا أنها كانت تلتصق وتتوقف عند طبقة الجلد الشفافة اللزجة، هو قادر على فعل هذا؟!

وقف الوحش.. اللعنة!

إن أمسكني فهي نهاية أكيدة ولن تكون هناك مرة أخرى، إنه يقترب!

ماذا أفعل؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

وسط خوفي أطلقت رصاصة طائشة نحو الجدار الذي يحتوي على آثار لكمات، أحدث هذا ضررا في الجدار وتسرب خط رفيع من الماء للداخل، زأر الوحش واضطربت تحركاته، أطلقت ما تبقى من طلقات نحو ذلك الجدار، فتشقق الجدار وانهمرت المياه بغزارة، هربت نحو السلم، كما كنت أظن، ذلك الوحش يمتلك ذكاء و وعيًا، كان يحمل القطع الثقيلة من الغرفة ويحارب المياه التي انهمرت محاولًا إغلاق الشق بهذه القطع، بدأت إنارة حمراء تشع وتخفت، إن الغواصة تغرق، يجب أن أسرع، وصلت إلى المنصة وتوجهت نحو كبسولة الطوارئ، سمعت زئير الوحش، إنه قادم سوف يمزقني الآن إن أمسكني، دخلت الكبسولة.

- «هيا اعملي.. هيا!»

كنت أضغط على الأزرار كما كان مكتوبًا في التعليمات الظاهرة على شاشة داخل الكبسولة أمامي، بدأ الباب يغلق ببطء.

- «هيا.. من الأحمق الذي صمّم بابا لكبسولة طوارئ هكذا»

أغلق الباب أخيرا، لكن فجأة على نافذة الكبسولة رأيت الوحش، لا.. ليس بعد أن اقتربت من الهروب، سوف يحطم الكبسولة وأنا بداخلها، أغلقت عيني!

«ستنطلق كبسولة الطوارئ خلال خمس ثوان» خرج صوت الذكاء الاصطناعي.

لمَ لم يهجم الوحش حتى الآن؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

«أربعة»

فتحت عيني.

«ثلاثة»

كان الوحش ينظر نحوي.

«اثنين»

بعينيه البشريتين الحادتين.. لكنه كان يبكي!

«واحد»

كانت أنقى عينين أراهما في حياتي.. تذكرت..

«أنت..»

«انطلاق»

وانطلقت كبسولة الطوارئ وابتعدت عن الغواصة، بينما الغواصة تعرق في عمق المحيط.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الفصل الثاني

رحلة إلى أعماق المحيط

كانت الكبسولة تتوجه نحو سطح البحر بينما أشعر بغصة في قلبي، تلك العينان البشريتان، تلك النظرة الحزينة على وجه الوحش، أشعر بشدة بأنني أعرف هاتين العينين، هنالك شيء ناقص لم أتذكره بعد..

فتحت الملفات التي أخذتها معي من غرفة المراقبة وتصفحتها، كنت أعيد لصق شريط الذكريات الذي كان مبعثرًا مما مررت به، وبدأت أتذكر ما حصل منذ البداية.. قبل ثلاثة أشهر.

كنت في ذلك أجلس في عيادتي أتابع المرضى كما أفعل دائما في أيام الأسبوع، في نهاية اليوم تصفحت بريدي إلكتروني، تفاجأت برسالة من السفارة الروسية، ينصّ على ضرورة مراجعتي للسفارة الروسية، تجاهلت الأمر لأنني لا أثق بالبريد الإلكتروني وأعتبر معظم محتواه رسائل احتيال أو إزعاج، ولا أستخدمه سوى لمتابعة بعض الاستشارات مع دول أخرى، لهذا حذفت الرسالة.

بعد يومين تفاجأت بدخول رجال ضخام الجثة ببدلات سوداء ونظارات شمسية عيادتي وتقدم نحوي رجل منهم وقال بلكنة عربية ثقيلة:

- «دكتور نور، سفير دولة روسيا يرغب بالتحدث معك، أرجو أن تكون متعاونا وتأتي معنا»

- «ما الذي يريده سفير دولة روسيا مني؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

«لا أعلم، نحن تلقينا أمرا أن نحضرك فقط، وبالطبع ستعرف ما يريده السفير عندما تصل عنده»

- «لا أستطيع المغادرة، لدي بعض المرضى في العيادة ولا يمكن أن أتركهم»

- «لقد قمنا بصرف المرضى ودفع مبلغ تعويضي لكل منهم، قاعة الانتظار خالية»

- «لا يحق لكم فعل ذلك! لن أذهب معكم»

- «أنا أعتذر منك، لكن هذا ليس خيارًا متاحًا»

كان جادا للغاية، كعادة الروس لا تخلو تصرفاتهم من الفظاظة حتى حين يحاولون التصرف بلباقة، لهذا فضلت أن أخرج معهم بسلام بدلا من أن يحملوني ويجروني أمام العاقة.

- «حسنًا، سوف آتي معكم، أمهلني بعض الوقت لأغلق العيادة»

بعد عشر دقائق، ركبت إحدى سيارتهم وانطلق الموكب بي نحو السفارة الروسية.

كان السفير جالسا على كرسيه حين دخلت قاعة الاجتماعات ممتقع الوجه، قال:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أهلا بك دكتور نور، أعتذر إن كان رجالي قد تصرفوا بفظاظة معك»

- «أرجو فقط أن يكون هناك سبب وجيه يستحق أن يتصرفوا معي هكذا»

قال بجدية بالغة:

- «أجل يا دكتور نور، دولتنا بالمساعدة مع دول أخرى تقوم بإجراء بحث سري، والفريق بحاجة لطبيب نفسي خبير ولم يجدوا أفضل منك، بالطبع التفاصيل سيتم إعلامك بها بعد موافقتك وانضمامك للفريق »

- «أعتذر، أنا غير موافق، لن أذهب في مهمة أجهل ماهيتها»

- «انظر إلى الملف أمامك.. هذه ستكون أتعابك إن وافقت على المشاركة في البحث»

فتحت الملف وخرج مني صفير بالرغم مني، هذا الرقم ضخم، قد يكون أكثر مما حصلت عليه طوال العشرين عاما التي عملت بهم!

اللعنة.. ذلك مغر حتى لرجل قد حقق الكثير، شهر واحد كفيل أن يجعلني ثريا للغاية.

- «المبلغ هائل لكن أعتذر مجددا، لن أذهب، المال ليس كل شيء في هذه الحياة، هناك مرضى يحتاجونني»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أعدك أنك لن تندم إن شاركت، كل ما أستطيع أخبارك به أنها تجربة مهمة لإنقاذ مستقبل البشرية، سوف تنقذ حيوات الملايين بهذه البحث»

بدأ الفضول يتلاعب بي، ما هذا البحث السري لإنقاذ مستقبل البشر والمدعوم بمبالغ طائلة، قلت:

- «الواضح أن الموضوع جدي لدرجة كبيرة، أمهلني بعض الوقت لأفكر بتعمق»

مدّ يده وهي تحتوي على بطاقة:

- «حسنا، لديك يوم واحد لتقرر، هذا رقمي الخاص، أبلغني بقرار فور أن تتوصل له»

أخذت البطاقة من يده وشكرته ثم عدت إلى منزلي برفقة الرجال أنفسهم الذين أحضروني.

لم أستطع النوم وأنا غارق في التفكير، هل أذهب؟

هناك من أتابع حالتهم في عيادتي ولا أستطيع تركهم، لكنهم يستطيعون انتظاري لمدة شهر، أليس كذلك؟

ملايين الحيوات سيتم إنقاذها إن نجح البحث!

بعد ساعات من التفكير قررت..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

يستطيع مرض أيّ انتظاري شهرا واحدا، في النهاية لا أحد سيموت منهم إن تأخرت عليه..

لكن إنقاذ ملايين الحيوات يستحق أن يكون أولوية لدي..

لهذا أعتقد أنني سأنضم لفريق البحث..

أجل سأفعل هذا، شهر واحد سيمر بسرعة وسأعود لمرضاي!

في صباح اليوم التالي، رن هاتفي، قمت بالرد، قال المتحدث:

- «صباح الخير يا دكتور نور، معك سفير دولة روسيا، هل أخذت قرارا لما ستفعل؟»

- «أجل.. سوف أنضم للفريق»

«هذا جيد، سوف تسافر إلى موسكو بعد يومين، كن جاهزًا - وسيأتي رجالي لإيصالك للمطار»

- «لكن أوراق السفر تحتاج لوقت و..»

- «هذه الأمور نحن سنهتم بها، سنتواصل مع وزارة الداخلية لبلدك وسنحصل على موافقة استعارتك لمدة شهر، ارجع الآن لعيادتك وبلّغ مرضاك بأنك ستأخذ إجازة طويلة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هكذا تراني بعد يومين قد حضرت أمتعتي وأغلقت عيادتي، وقد وضعت ورقة مطبوع عليها: «العيادة مغلقة، يعتذر الدكتور نور عن ذلك بسبب ظروف طارئة»

ووضعت التاريخ المتوقع لعودتي ورقم أحد أصدقائي في الطب النفسي في حال احتاج المريض رؤية طبيب آخر.

وكما قال السفير جاءت سيارة من السفارة وأخذتني للمطار، كان الأمر سريعا ولم أخضع لأيّ رقابة في المطار وكنت أمر بسلاسة عبر نقاط التفتيش إلى أن وصلت إلى طائرة خاصة، ركبتها وانطلقت بي مباشرة إلى موسكو في رحلة مدتها أربع ساعات.

خلال يوم وجدت نفسي أقف في ميناء أمام أكبر غواصة في العالم، غواصة الإعصار، لقد شاهدت فيلمًا وثائقيًا عنها ذات مرة وكانت قد أثارت انبهاري، لكن عن قرب تضاعف الانبهار وصدمت من حجمها العملاق المبالغ فيه، قادتني المرافقة التي استقبلتني في المطار إلى داخل الغواصة، هل يعقل أن التجربة ستجري بداخل الغواصة في أعماق البحر؟!

قلت للمرافقة:

- «هل ستكون التجربة لمدة شهرٍ هنا؟»

- «أعتذر منك، ليس من صلاحياتي أن أجيب عن هذه التساؤلات سيدي، أرجو أن تنتظر إلى أن يأتي من يمتلك الصلاحيات للإجابة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أرشدتني لقاعة اجتماعات ضخمة داخل الغواصة، كان العديد من الأشخاص من مختلف الجنسيات يجلسون حول الطاولة.

«تفضّل وارتح في مقعدك» قالت المرافقة وهي تشير نحو مقعدٍ مدوّن عليه اسمي.

جلست وغادرت المرافقة، بعد قليل وقف بقربي نادل وسألني:

- «هل تود شرب شيء يا سيدي، أقترح عليك تذوق النبيذ الروسي الفاخر المعتّق»

- «لا.. أنا لا أشرب النبيذ.. فقط كأس ماء يكفي»

- «حاضر»

بعد دقائق دخل رجلان إلى القاعة، رجل أشقر الشعر ذو لحية متوسطة يرتدي عوينات دائرية ومعطف العلماء الأبيض، ورجل ضخم مفتول العضلات ببذلة عسكرية تبدو الصرامة الشديدة على وجهه، قال الرجل ذو البدلة العسكرية بلكنته الروسية الفظة التي تشعرك بأنه يتشاجر معك:

- «مرحبًا بكم جميعًا على متن الإعصار، بعد قليل سوف تنطلق وسنتجاوز نقطة اللاعودة، هذه الفرصة الأخيرة لمن يرى أنه لا يمتلك الشجاعة الكافية حتى ينسحب، لا أريد رؤية ضعفاء الإرادة هنا»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لقد أخذ الجميع قرارهم الحاسم قبل أن يركبوا الغواصة، لهذا صمت الجميع وبعد دقيقة أكمل الجنرال:

- «هذا جيد، كل من هنا يتحمل مسؤولية نفسه الكاملة، أعرفكم بنفسي، أنا الجنرال جاك فيدرو، سأكون المشرف على هذه التجربة، وهذا الدكتور إيفان بافلوف، سيخبركم بتفاصيل ما سنقوم به»

تقدم إيفان وقال:

- «نحن نعتذر عن عدم سرد تفاصيل التجربة وإبقائكم في الظلام كون البحث سرّيًّا، في البداية أرحب بنخبة الأطباء والعلماء الموجودين هنا، أنتم النخبة وأفضل الأفضل، وقد تم اختياركم بعناية» شعرنا بالغواصة تتحرك، خفق قلبي.. الآن لا مجال للتراجع.. هل اختياري صائب؟.. أرجو ذلك!

أكمل إيفان:- «لقد اجتمعنا هنا جميعا حتى نقوم بتجربة مهمة لمستقبل البشر، وما نحن بصدد عمله هو تجربة لإنقاذ البشرية من عدو وجد منذ الأزل، عدو تسبب بمقتل المليارات منا في جميع الأزمنة التي تواجد بها البشر»

قال أحد العلماء:

- «أيّ عدو هذا؟»

- «الرجاء ترك الأسئلة حتى أنتهي، سأعطي مجالا للجميع، رفاقي.. هنالك عدو للبشر.. عدو لا يرى بالعين المجردة.. إنها الفيروسات

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

والبكتيريا يا سادة، إنها تتمحور وتصبح أقوى بمرور الوقت، بينما مناعة البشر لم تتغير بتانا، والآن بدأت تظهر بكتيريا أسميناها بالبكتيريا الخارقة superbugs.. هذه البكتيريا اكتسبت مقاومة ضد المضادات الحيوية على مدى السنوات الأخيرة، حتى الكولستين colistin الذي يعد أقوى مضاد حيوي نمتلكه لم يعد يملك أيّ تأثير على هذه البكتيريا، لقد تمحورت وأصبحت تشكل خطرا لم يحسب له حساب .. وقد أصابت بالفعل بعض الأشخاص وقد فقد الأمل في علاجهم، فلم تعد الأدوية تفيد مع هذه البكتيريا الخارقة.

يتوقع علماؤنا بأن أكثر من 350 مليون شخص سيموتون من هذه البكتيريا في عام واحد إن انتشرت، هذا أكثر من جميع وفيات فيروس الكورونا في الأعوام السابقة بستين مرة! وسيزداد العدد بشكلٍ مضاعف على مدى السنوات التي تليها، وإن لم نجد الحل فستكون نهاية البشر خلال سنوات قليلة من الانتشار»

قال الجنرال جاك:

- «لهذا يتواجد هنا مئة عالم وطبيب، وثلاثون من طاقم الغواصة المحترفين وعشرون بشريًا لأداء التجربة عليهم، سوف نقوم بتطوير مناعة البشر، سننتج بشرًا أقوى، نسخة مطورة من البشر»

شهق الجميع معترضًا، هل قال بشر لإجراء التجارب عليهم؟!

أجل! لقد قال ذلك! ما هذا الجنون؟!

قال إيفان مهدئًا:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا يوجد داع للقلق، ما يقصده الجنرال بأن هناك متطوّعين قد تطوعوا بكامل إرادتهم كي نقوم بالتجربة عليهم، كل منهم وقع على وثائق رسمية وأخذ مبلغًا تعويضيًا لا بأس به له ولعائلته، بالطبع قمنا بأداء تجارب على الحيوانات وكانت النتائج آمنة.. نوعًا ما»

هزّ الجميع رؤوسهم بتفهم بينما أنا لم أقتنع بهذا الكلام عديم القيمة، ليس سببًا كافيًا للقيام بتجارب على البشر، الحياة أهم من المال وليس العكس، وماذا يقصد النتائج آمنة نوعا ما؟

قطع تفكيري أحد أفراد الطاقم الذي قام بوضع ملف أمامي عليه اسمي، أكمل إيفان:

- «الملفات التي أمامكم ستشرح دور كل شخص ومواعيد عمله، أرجو الالتزام بهذه المواعيد بدقة، هل لدى أحدكم أيّ سؤال؟»

قال أحد الأطباء:

- «لم تتم التجربة في غواصة؟»

قال إيفان: «سؤال جيد، هذه الغواصة تحتوي على أكبر مزرعة لأنواع مختلفة من البكتيريا الخارقة، إن حدث أيّ خلل وتسربت هذه البكتيريا للعالم الخارجي فهذا يعنى موتا أكيدا وسريعا للبشرية، لن أخاطر وإن كان احتمال ذلك أقل من واحد بالألف لحدوث ذلك، ولو حدث هذا في أعماق المحيط، فستتكفل مياه المحيط الباردة تحت عمق 200 متر بتدمير تلك البكتيريا»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قال طبيب آخر:

- «إذن لم كل هذه السرية؟ أليس الأمر مبالغًا فيه؟»

- «كل شيء جرى بسرية مطلقة لأن هناك منظمات إرهابية تهتم بالتأكيد بسرقة هذه البكتيريا وصنع سلاح بيولوجي منها، إن حصلت على هذه المزرعة البيولوجية فتستطيع الضغط على أيّ دولة أو جهة وتهديدها للحصول على مبتغاها.

إن وجودنا في غواصة الإعصار آمن للغاية، لن تستطيع أيّ غواصة أخرى التفوق على قدراتها، لقد وضعنا جميع الاحتمالات في الحسبان، أيّ سؤال آخر؟»

كان هنالك الكثير من الأسئلة التي تتعلق بالبحث بجوانب علمية عميقة، قال إيفان:

«كل هذه الأسئلة تجدون الإجابة عنها في الملف الموضوع أمامكم، يرجى دراسته جيدًا، الآن سيقوم الطاقم بمرافقتكم إلى حجراتكم»

كنت أتساءل ما دوري في هذه الفوضى كطبيب نفسي، فتحت الملف، كان المهمات المطلوبة مدونة بكامل التفاصيل، مهمتي هي مراقبة الحالة النفسية على مدار الوقت للمتطوّعين الخاضعين للتجربة، وذلك لأن الحيوانات التي تم أداء التجربة عليها كانت تتصرف بأسلوب مختلف بعد التجارب.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

مضى اليوم الأول، تعرفت فيه على بعض الأطباء وتعرفت على المناطق التي تهمني داخل الغواصة، في اليوم التالي بدأنا العمل الجاد، جلست في غرفة في المختبر بينما كان أحد أعضاء الطاقم يجلب لي المتطوّعين الواحد تلو الآخر، كانت الكاميرا المثبتة على زاوية سقف الغرفة مضاءة، إنهم يسجلون كامل التجربة.

ما لاحظته خلال مقابلة المتطوّعين، أن كلاً منهم امتلأ قلبه باليأس، لقد جلبوا أشخاصا قد ماتت أرواحهم قبل أن تموت أجسادهم، كنت أنظر إلى ملامحهم الخالية من الأمل والمليئة بالبلاهة، وجدت أن منهم من كان يتعاطى المخدرات، وقد تطوعوا لأنهم خسروا الأمل في العيش، والبعض قد ألقت بهم عائلاتهم للخلاص منهم مقابل المال المعروض، امتلأت الأوراق أمامي بأسماء العديد من الاضطرابات النفسية والوساوس وأمراض الفصام، ثم جاء ذاك الشاب، كان مختلفا عن الآخرين، كانت عيناه حادة تلمع بالطموح، بدأت أسأله كما قمت مع ما سبق من المتطوّعين:

- «أنا الدكتور نور، تفضل، ما اسمك أيها الشاب؟»

- «غابرييل.. غابرييل كاستيلو»

- «ما الذي جعلك تتطوع للقيام بهذه التجربة؟ أنت شاب أمامه الحياة»

- «يا دكتور نور، الحياة وضعت حواجز في جميع الطرق أمامي ولم يكن لي خيار، أن تكون مهاجرًا غير شرعي فأنت لا تملك أملًا بالعيش وطموحك لا قيمة له، على الأقل الآن أنا مطمئن أن عائلتي قد حازت على الجنسية وستحظى بحياة أفضل»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أخبرني يا غابرييل، ما الذي كنت تطمح إليه؟»

- «كنت أرغب أن أكون طبيبًا، أنقذ تلك الأرواح المعدية التي لم تكن الحياة في صفهم، لكن الحياة كمهاجر غير شرعي غير منصفة، لم تقبل بي الجامعات المحترمة، والجامعات التي قد تتغاضى عن كوني مهاجرا غير شرعي تطلب أموالا طائلة لا يمكن أن أحصل عليها، ولا أحد يرغب بتوظيفنا، والمجتمع ينظر لنا نظرة ازدراء، كأننا قد سرقنا من مواردهم وأعمالهم، الحياة لم تكن منصفة معي ومع والدي ومع عائلتي، أخبرني يا دكتور نور.. إن كنت مكاني فماذا ستفعل؟»

أحسست بالشفقة نحو الشاب، لسبب ما تذكرت طفلي الذي مات في رحم زوجتي، لو كان حيًا لكان بعمر هذا الشاب، قلت بتعاطف:

- «بالطبع سأقوم بأيّ شيء مهما كان حتى أنقذ عائلتي»

- «لهذا قمت ببيع نفسي لهذه التجربة التي لا أعلم ماهيتها، فقط أعلم أنها خطرة وقد أموت في أيّ لحظة بسببها كما ذكر في العقد، لكن يا دكتور نور، أحيانًا الموت قد يكون خيارًا أفضل من الحياة، لهذا أنا متقبل لفكرة الموت إن كان ذلك ما سأحصل عليه في هذه التجربة وغير خائف من ذلك»

- «غابرييل.. أنا طبيب نفسي وأعرف أنك تكذب في آخر جزء، أنت عندك أحلام ما حققتها وترغب بالبقاء حيا، في الحقيقة.. أنا أرى أنك غير مناسب للخضوع للتجربة»

ابتسم غابرييل وقال:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا مجال للتراجع يا دكتور نور، لقد قمت بتوقيع العقد بكامل إرادتي»

أكملت الحديث مع غابرييل، إنه بالفعل مختلف عن المتطوّعين الآخرين، ذكي ولديه معرفة جيدة جراء مطالعته للكتب، لكنه تعس الحظ وقد كانت حياته صعبة بحق، توفي والده بسبب التعامل القاسي من العساكر في أثناء تسللهم إلى روسيا حين أمسكوا به، كان والده يتصرف كطعم حتى يعطي عائلته الوقت الكافي للهرب ومات تحت التعذيب، وبعد وفاة والده أصبح غابرييل مسؤولا عن العائلة في عمر صغير.

تعاطفت مع الشاب وأحسست بمشاعر الأبوة نحوه، لهذا حين انتهيت من أداء مهامي ذلك اليوم، توجهت إلى مكتب الدكتور إيفان، كان العقيد جاك متواجدا معه، دخلت وقلت:

- «دكتور إيفان، أنا أرى أن الشاب المدعو غابرييل غير مناسب لأداء التجربة عليه»

قال الجنرال جاك مقاطعًا:

- «أنت الطبيب النفسي.. أليس كذلك؟ من البداية لم أرَ داعيًا لوجودك هنا معنا في التجربة لكن مجلس الأمن القومي أصر على قدومك، أنت لا تمتلك الصلاحية لإخبارنا ما المناسب وما غير المناسب، فقط قم بدورك وتابع التغيرات النفسية ولا تحاول تجاوز مهامك»

قال إيفان للجنرال:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «بعد إذنك أيها الجنرال، اتركني دقيقة مع الدكتور»

قال الجنرال لي:

- «تذكر دكتور نور بأننا نراقبك عن كثب، فقط قم بدورك»

ثم غادر والغضب يعلو وجهه، قال إيفان لي:

- «أعتذر منك يا دكتور نور على أسلوب الجنرال، للأسف.. لا نستطيع فعل شيء الآن لغابرييل، لقد وقع المتطوعون الأوراق بكامل إرادتهم وهذه مهمة جادة ولا يمكن أن نتراجع بمجرد تعاطفنا مع أحد الأشخاص، أرجو أن تتعامل مع الأمر بمهنية عالية ولا تقحم المشاعر الشخصية في التجربة»

- «لكن..»

- «من دون لكن.. نحن هنا نقوم بما يصب في المصلحة العظمى وليس في مصلحة فرد»

قلت مستسلمًا:

- «حسنا يا دكتور إيفان.. أرجو فقط أن لا تقوموا بتجارب قد تشكل خطرًا عليه»

- «لا أستطيع أن أعدك بهذا.. لكني سأحاول بصدق.. في المقابل أريد منك خدمة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قلت مستغربًا:

- «تفضل!»

- «أريد أن تبقي عينا على الجنرال، لقد قمت باختيار الفريق بعناية، لكن مجلس الأمن القومي هو من قام بوضع الجنرال مشرفًا بالرغم عني، أنا لا أعرف الرجل وأرى تصرفاته مريبة، أيّ تصرف قد يثير الشك لديك وذلك بحسب خبرتك في الطب النفسي، أرجو أن تقوم بتبليغي به»

- «حسنا، سأفعل هذا».

لا أدري ماهية التجارب التي كانوا يقوموا بها على المتطوّعين، لكن في نهاية كل يوم كنت أجلس معهم لأرى أيّ تغيّرات في التصرفات، أحد المتطوّعين أصيب بالجنون وبدأ بالكلام مع نفسه، وآخر ازدادت حالة البلاهة لديه ولم يعد يستجيب للأسئلة، ثم جاء دور غابرييل، كان يتألم:

- «غابرييل، كيف حالك؟»

قال محاولًا التظاهر بالشجاعة:

- «أنا بخير، فقط أشعر كأن نارًا تسري في كامل جسدي"

- «ما الذي فعلوه بك؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا أعلم، العديد من الحقن كل بضع دقائق ثم يقوموا بإجراء فحوصات لي وتكرر الأمر لبضع ساعاتٍ»

- «أتمنى لو كنت قادرا على إيقاف التجربة، أنت تستحق أفضل بكثير من أن تكون فأر تجارب، أنت تستحق بأن تكون طبيبا ينقذ الحيوات، أنا آسف يا غابرييل»

قال مبتسما بعينيه المشتعلتين بالأمل:

- «لا تتأسف يا دكتور نور، أنا قد رضيت بالأمر الواقع، لكن من الجميل أن أجد شخصًا يؤمن بي، لا بأس، أنا سأعيش، أعدك أنني سأعيش إلى أن تنتهي التجربة وأخرج لأكمل دراستي في الجامعة»

- «أنا واثق من قدرتك على فعل هذا»

«لدي طلب منك يا دكتور نور ولا بأس إن رفضت»

- «تفضل..»

- «الحجرة التي يحتجزونني بها خالية من أيّ وسيلة لقضاء الوقت، إن الملل يكاد يقضي علي، وأنا بحاجة لكتب لأقرأها، هل تستطيع توفير أيّ كتاب لي؟»

- «جميع الكتب الموجودة في الغواصة كتب طبية، لا أظن أن هذا يناسبك»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «بالعكس، لدي شغف لقراءة الكتب الطبية، عائلتي لم تمتلك تلفازا وكانت القراءة هي وسيلة التسلية الوحيدة لي، لدي معرفة مسبقة بالعديد من الجوانب في الطب من جراء قراءات سابقة»

- «حسنا إذن، سأحضر لك كتابًا غدًا»

- «سأعتبره وعدا»

- «بالطبع»

في اليوم التالي قابلت غابرييل، كان منهكا والشحوب يعلو وجهه، قلت له:

- «هل أنت بخير؟»

- «اليوم كانت التجارب مؤلمة بدرجة أكبر، لكن لا بأس، هذا لا شيء بالنسبة لما مررت به»

أصابني القلق وقلت:

- «لقد أحضرت ما طلبته مني، هل لا زلت تريده؟»

هزّ رأسه بحماس، أخرجت الكتاب من حقيبتي وقمت بإعطائه له وقلت:

- «كل من دخل عالم الطب، قرأ هذا الكتاب، سيكون من الجيد لو قرأته»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قال وهو يمسك الكتاب ويكاد أن يحتضنه:

- «أشكرك كثيرًا دكتور نور، سوف أقرؤه وأعيده في أسرع وقت»

ابتسمت له وقلت:

- «لا تتعجل، على الأقل سوف يأخذ من وقتك أسبوعًا»

في اليوم التالي تفاجأنا بخبر موت ثلاثة متطوّعين في أثناء القيام بالتجربة عليهم، كنت خائفا على غابرييل، أرجو ألا يكون أحد هؤلاء الأشخاص، كنت أقابل المتطوّعين نهاية اليوم، وكلما دخل متطوع ويظهر أنه ليس غابرييل يزداد الخوف في قلبي.

أثناء فحص المتطوّعين، بدأت أعراض نفسية وجسدية غريبة تظهر عليهم، هناك من دخل في درجة عميقة من الاكتئاب، هناك من أصيب بحالة عدائيّة، وهنالك من أصيب بمرض أقرب للحرب على جلده.

في اقترب اليوم أن ينتهي ولم يدخل غابرييل بعد وأصابني ذلك بحزن عميق، ثم دخل أخيرا في النهاية!

«غابرييل.. الحمد لله.. أنت بخير» قلتها متحمسًا!

قال متألمًا وجلده محمّر وعليه بعض الجروح:

- «بالطبع، لقد وعدتك بأنني سأبقى حيًا»

- «هذا جيد، أخبرني هل من أعراض جديدة الآن؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قال وهو يهرش جلده:

- «أشعر بحكة شديدة في الجلد، لقد أخبروني بأن هذا مؤقت وسيختفي خلال أيام»

كنت أنظر نحوه بشفقة، لقد ازداد وجهه شحوبًا، لكن النظرة المتقدة بالأمل لم تخبو من عينيه.

- «متى ستنتهي هذه التجربة اللعينة؟ أنت لا تستحق هذا»

تفاجأت بأحد يقرع على زجاج النافذة، لقد كان أحد العسكريين، أشار لأحد الطاقم أن يأخذ غابرييل وأشار لي بأن أتبعه، قال غابرييل وهو يغادر:

- «أراك غدًا دكتور نور، بالمناسبة أنهيت نصف الكتاب، أرجو أن تحضر لي كتابًا آخر»

لم أستطع أن أخفي ابتسامة الفخر من وجهي:

- «أراك غدًا يا غابرييل»

ثم خرجت وسرت خلف العسكري إلى أن وصلنا إلى غرفة المراقبة، كان الجنرال يجلس في الداخل ويقرأ ملفا ما، حين رآني سارع بإغلاقه، لمحت شعار أفعى سوداء عليه في أثناء وضع الجنرال للملف في أحد الأدراج، تقدم نحوي في غضب وصرخ:

- «ما الذي تحاول فعله؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «هل هنا مشكلة ما أيها الجنرال؟» أشار الجنرال بيده للعسكري الجالس أمام شاشات المراقبة، فقام العسكري بتشغيل مقاطع من حواري مع غابرييل.

- «أتمنى لو كنت قادرا على إيقاف التجربة، أنت تستحق أفضل بكثير من أن تكون فأر تجارب، أنت تستحق بأن تكون طبيبًا ينقذ الحيوات، أنا آسف يا غابرييل»

وحين قمت متحمسًا وقلت: «غابرييل.. الحمد لله.. أنت بخير»

واللحظات التي كنت أبتسم بأبوية للفتى، ولحظة إعطائه الكتاب.

قال الجنرال:

- «ألم أخبرك ألا تقدم مشاعرك الشخصية في التجربة؟!»

- «هذا الشاب يستحق معاملة أفضل، أنا لم أقم بشيء غير تصرفي بإنسانية»

- «هذا هو الخطأ، دائما حين تتعامل مع فئران التجارب البشرية هذه على أساس أن لها مشاعر وأنهم بشر مثلنا، فلن تقوم بعملك بمهنية وموضوعية وستقوم مشاعرك بإفشال التجربة، هذا الشاب ليس سوى مهاجر غير شرعي قذر، من الآن وصاعدا يمنع أن تقابل هذا الشاب وسيتولى طبيب آخر متابعة حالته النفسية»

قلت معترضًا:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لكن يا جنرال، أنا أتابعه منذ البداية وأرجوك أن تسمح لي بأن أكمل معه، لم يتبق سوى أسبوعين»

- «لا تعترض، اخرج وإلا قمت بحجزك حتى تنتهي الرحلة»

خرجت وتوجهت غاضبا نحو مكتب الدكتور إيفان، دخلت لمكتبه وقلت محمر الوجه:

- «ذلك الدكتاتور يتدخل في عملي، لقد منعني من مقابلة أحد المتطوّعين»

- «أحد المتطوّعين.. أنت تقصد غابرييل.. أليس كذلك؟»

- «بلى»

- «للأسف يا دكتور نور الجنرال هو الوحيد الذي يمتلك صلاحيات تفوق صلاحياتي ولا أستطيع فعل شيء ضد قراراته، لقد أظهرت تعاطفا كبيرا وملحوظا من الكل لذلك الشاب وأخبرتك بأن تتعامل مع الأمر بمهنية»

- «على الأقل أريد أن أطمئن على ذلك الشاب من وقت لآخر»

- «حسنا، سأبذل جهدي لترتيب ذلك، أخبرني.. ما رأيك في الجنرال؟»

- «ديكتاتور لعين، ذلك الرجل يخفي شيئا ما، حين دخلت أخفى ملقا عليه رمز أفعى سوداء»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «هذا مريب، تابع عملك وراقبه من مسافة آمنة، لدي شعور سيئ نحوه»

في الأيام التالية لم يسمح لي برؤية غابرييل، وكان خبر وفاة أحد المتطوّعين يتكرر من حين لآخر، أدعو الله ألا يصيبه ضرر، في أثناء مقابلتي لأحد المتطوّعين، كنت أطرح الأسئلة لكنه كان شاردا لا يجيب، كان يصدر صوت أنين ويتصرف أقرب إلى زومبي.

أصدر صوت فرقعة بواسطة أصابعي عدة مرات وأنا أساله:

-«هل أنت معي؟!»

وفجأة وبحركة غير متوقعة، قفز وهجم علي، وأسقطني من مقعدي على الأرض، قام عضو الطاقم المرافق لي في الغرفة بلف ذراعه حول عنق المتطوع، وأبعده عنه بحركة يبدو أنه قد تدرب عليها كثيرًا، لكن المتطوع قام بقضم جزء من ذراع الرجل كأنها جزرة، صرخ عضو الطاقم متألقا واختل توازنه فأسقطه المتطوع على الأرض وبدأ بأكل كتفه، مع صرخات من الذعر والألم، دخل رجل عسكري ولم يتأن في إطلاق رصاصة نحو ساق المتطوع الذي توحش، تناثرت الدماء في كل مكان، وامتلأت ملابسي بها، كان المشهد مرعبا للغاية، ذلك لأن المتطوع لم يتوقف رغم أن الدماء كانت تسيل منه، طلقة أخرى، في القلب، لكن ما هذا؟

هذا لم يوقفه!

كان يزحف نحو وأمسك ساقي، صرخت بذعر:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «اتركني!»

ثم سمعت صوت طلقة أصابته في الرأس وأطاحت به أرضًا.

مات المتطوع وفي المقابل مات عضو الطاقم أيضا بعد أن تم قضم رقبته، إلهي.. ما هي هذه التجارب اللعينة التي يفعلوها على المتطوّعين؟!

فقدت أعصابي وصرخت على إيفان في مكتبه:

- «ما الذي يجري هنا؟! هل هذه التجارب أخلاقية؟! هل هي لصنع مناعة من المرض للبشر بالفعل؟ المتطوعون إما أن ينتهي الأمر بهم بالموت أو الجنون!»

- «أرجوك أن تهدأ يا دكتور نور، التجارب تجري بشكل جيد وهذه التضحيات متوقعة، أنت الشخص الوحيد الذي يقوم بالشكوى هنا»

- «دكتور إيفان.. كن صادقا معي.. ذلك المتطوع لم يتأثر بإطلاق النار وكان يتصرف بشكل وحشي وقتل أحد أعضاء الطاقم، ما الذي يجري هنا؟»

- «دكتور نور.. هذه الأمر خارج صلاحياتك، لكن سوف أخبرك ما يكفي كي تهدأ.. نحن نقوم بتجارب مختلفة قليلا على كل متطوع، هذا المتطوع فقد الإحساس بالألم كعرض جانبي للأدوية التي نحقنه بها، وأنت تعرف أن حالته النفسية غير مستقرة، لا تقلق، الأمر لن يتكرر،

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

سيتم تقييد المتطوّعين من الآن وصاعدا حفاظا على سلامتك وسلامة الطاقم»

- «ماذا عن غابرييل؟ أنا لم أره منذ ثلاثة أيام، هل هو بخير؟»

- «إنه بخير.. سأرتب لك الأمر لكي تراه»

- «أشكرك يا دكتور إيفان»

وقفت أمام حجرة غابرييل برفقة إيفان، نظرت نحو الأرض، كانت طبقات من الجلد تملأ المكان، تقدمت نحو غابرييل، كان جلده ممزقا وقد ظهر جزء من اللحم والعضلات الموجود أسفل الجلد!

- «غابرييل.. ما الذي فعلوه بك؟!»

التف غابرييل نحوي، وقال بصوت مبحوح:

- «دكتور نور.. سعيد أني رأيتك، كنت أظن أنني لن أراك ثانية»

لم أتمالك نفسي واغرورقت عيني بالدموع رغما عني، لقد وصل لحال مزرية، لكن عينيه ما تزالا تحتفظان ببريق الأمل، أكمل:

- «صحيح، لقد قرأت الكتاب خمس مرات، وأظن أنني حفظته»

قلت وأنا أمسح الدموع:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أنت شجاع.. شجاع للغاية.. أتمنى لو قابلتك قبل التجربة، كنت سأكفلك وأقوم بتدريسك على نفقتي، كنت سأمنع كل هذا من أن يحصل»

قال بصعوبة:

- «وأنا أيضا أتمنى لو التقيت بك سابقًا، أنت من الناس القليلة التي ما زالت تحتفظ بمشاعرها البشرية بداخلها»

قلت لإيفان:

- «يجب أن توقفوا التجربة على غابرييل، أرجوك، ألا ترى الحال الذي وصل له؟!»

- «في الحقيقة يا دكتور نور، غابرييل يظهر تقدمًا أفضل من غيره من المتطوّعين، لقد نجح في تجاوز اختبارات المناعة لمعظم الأمراض حتى الآن»

- «ألا ترى كيف أصبح؟ لقد تمزق جلده وتقشر!»

«لا تقلق، هذا مجرد عرض جانبي ونحن نعطيه المسكنات والعلاج اللازم، وسوف يتجدد الجلد ويعود كما كان»

قلت لغابرييل:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «غابرييل.. أنا أثق بك، أثق بأنك ستنجو من هذه التجارب اللعينة، أرجوك أن تبقي شعلة الأمل متقدة في قلبك، سوف أراك حين تنتهي هذه الرحلة، لم يبق الكثير ابق حيًا إلى ذلك الحين»

ابتسم غابرييل ابتسامة واهنة:

- «بالتأكيد، ما زلت عند وعدي لك، أنا سعيد لأنني تعرفت عليك يا دكتور نور، أشعر أنني محظوظ بأنني حظيت بأب آخر»

- «وأنا فخور أن أكون بمثابة أب لشاب مثلك» قال إيفان بنفاد صبر

- «هيا يا دكتور نور، لو رآنا الجنرال فسوف أقع في ورطة، ودع الفتى ودعنا نغادر»

- «سأكون بانتظارك يا غابرييل بعد نهاية الرحلة» - «وأنا أيضا، إلى اللقاء يا دكتور نور»

- «إلى اللقاء يا غابرييل»

وغادرنا، لم أكن أعلم أن هذه ستكون هي المرة الأخيرة التي أرى فيها غابرييل!

كانت الأيام التالية كئيبة للغاية، لم يتبق الكثير من المتطوّعين على قيد الحياة، كان الجنرال يزداد فظاظة وحدة وصبره ينفد.. في أحد الاجتماعات كان يصرخ:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «كيف تطلقون على أنفسكم الأفضل وأنتم غير قادرين على الحصول على نتيجة، لقد قارب الشهر على الانتهاء ولم تجدوا نتيجة واضحة إلى الآن! برأيي أنتم لستم سوى مجموعة من الحمقى»

قال أحد الأطباء غاضبًا:

- «حضرة الجنرال مهما كانت درجتك فلا يجوز أن تخاطبنا هكذا، هناك مراحل للبحث لا نستطيع تجاوزها، المشكلة ليست فينا، المشكلة في الفترة القصيرة التي قمت بحصرنا بها، لقد مات معظم المتطوّعين بسبب أخطاء طبية نتيجة التسرع»

صرخ طبيب آخر:

- «هذا صحيح، أيضا كيف تقول أننا لم نحصل على نتائج؟ هنالك نتائج مبشرة مع المتطوع المدعو غابرييل، الفصل الأخير الذي تم تجربته عليه كان مستقرًا للغاية»

غادر الجنرال وهو يصرخ:

- «هذا لا يكفي.. أنتم لستم سوى مجموعة من الحمقى.. حمقى يعتقدون أنهم عباقرة»

قال إيفان:

- «أرجوكم يا رفاق أن تعذروا الجنرال، فهو ملزم بالحصول على نتائج، تابعوا العمل فنحن قد اقتربنا من نتيجة جيدة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

اقتربت من إيفان وهمست:

- «هذا التصرف من الجنرال يدعى بالاضطراب الانفجاري المتقطع في علم النفس وهو اضطراب سلوكي قد يجعل الجنرال يتصرف تصرفًا مجنونًا في أيّ لحظة من الممكن أن يؤذي الجميع، نصيحتي ألا يترك وحده»

قال إيفان:

- «حسنا يا دكتور نور، سأطلب من أحد رجالي أن يلزم جانبه»

مضت الوقت ولم يتبق سوى بضعة أيام لنعود إلى السطح، كنت أجلس في المطعم أناقش مع بعض الرفاق كم اشتقت لأشعة الشمس وللأشجار والأبنية، وخبأت حقيقة بأنني أرغب بأن تنتهي الرحلة كي أرى غابرييل.

فجأة سمعنا صوت طلقات نارية وصرخات، ما الذي يحدث؟

اختل توازن الغواصة مما جعل أمر الهروب صعبا، واستدارت ما يقارب التسعين درجة، أدى ذلك إلى سقوطي وسقوط الجميع نحو الجدار، سمعت ساقي تتحطم حين ارتطمت وشعرت بالألم، ثم عادت الغواصة تتزن وتعود إلى وضعها السابق، كان هناك من دق عنقه ومات جراء هذه السقطة، ما الذي حدث يا إلهي؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

بدأت إنارة الطوارئ الحمراء تومض، لقد حدث تسرب بيولوجي نتيجة لحركة الغواصة المفاجئ، الهلع دب في قلب الجميع، صرخ أحد الأطباء:

- «فليذهب الجميع ليرتدي البدلات الواقية بسرعة»

صرخ آخر وهو ينظر من نافذة المختبر

- «لا مجال لأن نعود للمختبر الآن، التلوث البيولوجي قد انتشر»

- «لكن البدلات الواقية بالداخل»

- «سنموت.. يا إلهي»

كان صوت الصرخات يعلو من المنصة بالأعلى وقد ميّزت صوت الجنرال، يبدو أن اللعين قد جن، وقف أحد العلماء وقال:

- «اصمتوا جميعا، الهلع لن يفيد، يوجد بدلات وقائية احتياطية في الطابق العلوي»

هكذا انطلق من كان يستطيع السير نحو الدرج مما شكل ازدحامًا، تبعه صوت طلقات وصراخ من العلماء، بينما كنت أنا مكاني أتألم من ساقي المصابة، ثم أحسست بضيق تنفس، شعرت بأنني أتنفس لهبًا، فجأة خرج من المختبر كائن مرعب ما هذا!؟

لم يكن له جلد وبدل الجلد كان هناك طبقة هلامية تحيط به، هل هذه تجربة سرية لم نعرف عنها؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كان يتقدم نحوي وحاولت أن أهرب لكني لم أفلح بقدم مكسورة، قفز الوحش نحوي وأنا أزحف متألقا وأكاد أفقد الوعي من عدم قدرتي على التنفس، لقد أمسكني! هذه نهايتي.. أنا ميت لا محال، ووسط الصرخات وأصوات الطلقات والفوضى العارمة في الأرجاء، فقدت الوعي.

كم مضى من الوقت وأنا غائب عن الوعي؟

لا أدري، حين استيقظت وجدت نفسي في حجرة مظلمة باردة والجبيرة تحيط بقدمي، لا بد أن معركة حدثت بالأعلى وقد قتل ذلك الوحش الطاقم المسلح، لم تركني حيًا إذْا؟

لم أتحمل وزحفت للخارج لأعرف مصير الآخرين.. وهناك وجدت الوحش.. كان يتناول لحم إحدى الجثث في الممر.. هنا عرفت أنه تركني لأكون وجبة طازجة له في وقت لاحق..

***

استفقت من شريط الذكريات، ما زالت كبسولة الطوارئ ترتفع ولم أعد أرى الغواصة، ذلك الوحش.. لقد كان يمتلك عينين بشريتين.. عينين أعرفهما.. كانتا عيني غابرييل! هل كان هو ذلك الوحش؟

هل جن كما جرى لأحد المتطوّعين من الأدوية التي لم يتوقفوا عن حقنه بها؟!

أعتقد أنه جن وقتل من نجا من الفريق، وضعت يدي على صدري متألقا، ذلك الفتى لم يستحق ما حصل له، شعرت بيدي وجود جسم

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

صلب في معطفي، صحيح، القرص الصلب الذي أزلته من حاسوب المراقبة، أظن أنني أستطيع أن أربطه بالشاشة الموجودة في الكبسولة، قمت بإزالة الغطاء قرب الشاشة وربط الأسلاك. لم ينجح الأمر، لكن بعد عدة محاولات نجحت، قمت بتشغيل فيديوهات المراقبة وتجاوزت الأحداث التي أعرفها، وصلت إلى مشهد من المنصة قبل أن يختل توازن الغواصة، كان إيفان والجنرال يتجادلان في منصة القيادة، صرخ إيفان:

- «ما الذي تخفيه يا جاك، أنت هنا لسبب آخر، لقد قمنا بجمع معلومات عنك وتبين أنك قد دفعت رشوة ليتم اختيارك وتكون هنا»

صرخ جاك:

- «أيها الأحمق، لا دخل لك في هذا، لقد تم تعينك لتعطيني نتائج، لا كي تقوم بالتجسس علي»

أخرج إيفان مسدسًا من جيبه وقام الطاقم الذي معه بذلك أيضا، قال جاك:

- «أنت تعلم أن بإمكاني أن ألقي بك وبرفاقك في السجن مدى الحياة مقابل هذه الحركة، أخفضوا أسلحتكم وتراجعوا أيها الحمقى»

- «ليس قبل أن تخبرنا ما الذي يحتويه الملف ذو إشارة الأفعى، هذه شعار منظمة إرهابية.. أليس كذلك؟!»

قال جاك وهو يتقدم نحو إيفان:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا دخل لك، توقف عن هذا الحمق وأخفض سلاحك!»

أطلق إيفان طلقة على كتف جاك، فسقط جاك على الأرض والصعقة تعلو وجهه، قال إيفان:

- «أنت متهم بالخيانة القومية، لا تتحرك وإلا فجرت رأسك»

قال جاك بصوت غاضب:

- «أيها الحقير، تلك ملفات ليست سوى ملفات طبية لحالة زوجتي، إنها مصابة بهذه البكتيريا اللعينة، ذلك الشعار ليس سوى شعار المستشفى الذي تتواجد هي فيه»

- «وكأنني سأصدق هذه الترهات»

ثم مال إيفان نحوه وهمس شيئا في أذن جاك وهو يبتسم، اتسعت عينا جاك وجعله ما سمع غاضبا، كان إيفان متأهبًا لإطلاق رصاصة أخرى لإنهاء حياة جاك، لكن لياقة الجنرال وخبرة الجنرال العسكرية جعلته يقفز بخفة ويمسك بسرعة عجلة القيادة، ثم قام بإمالتها بدرجة حادة مرة واحدة، كان إيفان يصرخ وقد اختل توازنه:

- «ماذا تفعل يا أحمق؟»

مالت الغواصة وسقط إيفان ورجاله من خلفه، كان هذا حين كسرت ساقي، ثم عادت الغواصة إلى توازنها بالتزامن مع إنارة الطوارئ الحمراء، كان الجنرال واقفا فوق رأس إيفان وقد أمسك مسدسه وصرخ:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أيها الوغد، لماذا تهمس بأنك تعرف أنني صادق وأنه أنت من يتبع منظمة إرهابية منذ البداية، أتخشى أن تلتقط الكاميرات اعترافك!»

قال إيفان والرعب قد ارتسم على وجهه:

- «لا يهم من أنا الآن أيها الأحمق.. أنت لا تعلم ما الذي فعلته بنا! لقد أعدمتنا جميعا، هل أنت مدرك ما معنى هذا الإنذار؟ أحواض البكتيريا قد تحطمت وحصل تسرب بيولوجي، الكل سوف يموت هنا»

- «هذا أفضل من أن ينتصر إرهابي مثلك»

تبع ذلك صوت طلقة، لكنها لم تكن من مسدس الجنرال بل من رجل خلفه، من أحد رجال الطاقم الذين يتبعون إيفان، سقط جاك جثة هامدة على الأرض، صرخ إيفان:

- «أحضروا البدلات الواقية من الغرفة المجاورة، واجلبوا لي واحدة الآن»

ارتدى إيفان الزي، كان العلماء والأطباء يتسلقون الأدراج نحو المنصة كي يحصلوا على بدلات الوقاية، أشار إيفان لرجاله أن يطلقون النار عليهم:

- «اقضوا عليهم.. هم موتى في نهاية المطاف، ولم نعد بحاجة لهم»

قال أحد رجال إيفان:

- «ألم تفشل المهمة هكذا؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «نعم، ما زال المصل الذي قمنا بتطويره في المختبر معنا، يجب أن نحضره ومن ثم تغادر بكبسولات الطوارئ»

كان إيفان وجنوده يقتلون الأطباء والعلماء بلا رحمة، قمت بتغيير المشهد لكاميرا أخرى، مشهد من قاعة الطعام، كنت أنا أتألم من ساقي التي تحطمت، حين خرج الوحش وأمسك بي وأغمي علي، حملني الوحش وركض مسرعا نحو الحجرات السفلية وسط هلع من الأطباء والعلماء من الموقف، حين وصل، وضعني برفق على أحد الأسرة، كنت أسعل وأتصبب عرقا، وأنا أردد متألقا بلا وعي: «قدمي.. قدمي تحطمت.. أنا أتألم.. قدمي!» رفع الوحش عن ساقي التي كانت منتفخة ومتورمة، ثم خرج.

غاب لدقائق وعاد وهو يحمل صندوق إسعافات أولية، قام بحقني بمسكن وعمل جبيرة لقدمي، لكني لم أتوقف عن السعال والتصبب بالعرق، لقد أصبت بعدوي بكتيرية من البكتيريا الخارقة هذه، هذا يعني أنني في عداد الأموات لا محال، لكن كيف؟ أنا حي حتى هذه اللحظة!

رحل الوحش.. أقصد غابرييل ورجع للمختبر حيث كانت الجثث تملأ المكان، جثث لمن قتل من رجال إيفان وجثث لمن مات من السقطة حين مالت الغواصة وجثث لمن مات من العدوى البكتيريا الحادة، كان إيفان وفريقه يتقدمون ببدلاتهم نحو المختبر، حين رأى إيفان غابرييل، صرخ:

- «أطلقوا النار على هذا الشيء أيضا، لم يعد له أيّ حاجة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

بدأ رجال إيفان بإطلاق النار على غابرييل، جرت معركة بين الطرفين وكانت بعض الطلقات تلتصق بجلد غابرييل اللزج، وبعضها تخترقه، ولكن غابرييل كان يلكم ويرمي بهم في كل مكان ويحطم بدلاتهم الوقاية.

بعد ساعة انتهت المعركة الدامية، سقطت جميع الأطراف على الأرض، بعد دقائق وقف غابرييل بضعف ودخل المختبر ودماؤه تسيل منه، أخذ المصل ونزل إلى الحجرة التي أنا فيها، وضع رأسه على قلبي ليتفقد نبضي، ثم قام بحقني بالمصل وأغمي عليه بقربي ودماؤه تسيل، بعد يوم استيقظ وقام بالاعتناء بي بينما كنت أتعرق وأتألم، وحين استقرت حالتي، نهض وكتب على جدار الحجرة.

«لا زلت عند وعدي لك» وخرج.

كنت أبكي وأنا أسرّع الشريط، كان يعود من فترة لأخرى ومعه مياه وطعام ويضعها بقربي، لم يتناول هو الطعام، لا أدرى إن كان السبب أن ما تبقى من طعام على الغواصة كان قد فسد معظمه من التلوث البيولوجي الذي حصل وأراد إبقاء الصالح لي! أو أنه فقد شهيته نحو الطعام البشري وأصبح يشتهي اللحم كما حدث لمتطوع سابق، كان يخسر من كتلته الجسدية، إلى أن جاء يوم بدا أنه لم يعد يتحمل وبدأ بأكل أحد الجثث، بعد ذلك بأيام انقطعت الكهرباء بسبب تلف أحد القواطع وتوقف التسجيل هنا.

إلهي.. ما الذي فعلته؟! لقد كان غابرييل يحميني ويدافع عني إلى النهاية، لقد أعطاني المصل وشفيت من العدوى البكتيريا، وأنا كنت أعامله كوحش وعشت في خوف منه، لقد كان إنسانا أكثر من أيّ

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

شخص كان في الغواصة، لقد كان يتبعني خوفًا علي من أن أعود للمختبر المليء بالبكتيريا، وحين يمسكني يعيدني إلى الحجرة التي تقع في أبعد مكان عن المختبر، لا أعلم إن كانت البكتيريا قد ماتت خلال الشهرين أم أني قد اكتسبت مناعة مطلقة نتيجة ذلك المصل، ولا أعلم إن كنت قد فقدت ذاكرة الشهرين بسبب الخوف الشديد الذي أوهمت نفسي أعيشه أم كان عرضا جانبيا بسبب الفصل، لكن الشيء الوحيد الأكيد الذي أنني أحمق ولا أستحق أن أكون طبيبًا، لقد تركته للموت بينما كان هو سبب نجاتي وبقائي على قيد الحياة طوال تلك الفترة، لقد كان ينتظرني لأتعافى ونهرب معًا بطريقة ما..

أنني أعلمه لقد خذلت الفتى، الآن فهمت نظراتك لي، أنا أحمق.. أحمق كبير، لا أمل لإنقاذ غابرييل، فلا توجد غواصة تتفوق على الإعصار، لقد تركت الفتى وحده ليلقى حتفه تلك التجربة اللعينة قد غيرت شكله، لكن لم تحول هكذا؟!

بحثت في القرص عن المقابلات التي قام بها غابرييل مع الطبيب الآخر بعد أن منعني جاك من مقابلته، وجدت المشاهد وشغلتها..

كان غابرييل مقيدا ويجلس على كرسي وفي مقابلة أحد الأطباء، قال غابرييل:

- «أين الدكتور نور؟»

- «لم يعد يسمح له بمقابلتك، أنا من سأكمل معك من الآن فصاعدًا»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لكن كنت أشعر بالراحة مع دكتور نور، لا أريد أن أكمل التجربة إلا أن كان هو من يتابع حالتي»

- «هذا ليس خيارًا متاحًا لك، لا يحق لك حتى أن تطلب هذا، التزم بما تعهدت به في العقد»

ضغطت على زر التسريع وأوقفت الشريط، كان غابرييل قد ساءت حالته وكان يقول بصوت متألم

- «هناك تغيرات جسدية تحصل لي.. لقد فقدت العديد من أسناني وأصبحت لا أطيق الطعام»

- «لا بأس، تستطيع أن تكمل»

ضغطت على زر التسريع مرة أخرى وتوقفت، كان غابرييل قد فقد جلده بأكمله، كان يرتجف ويقول بصوت مبحوح:

- «أريد أن أرى الدكتور نور، أرجوك، أريد أن أراه»

- «ليس مجددا، لقد أخبرتك أن هذا خيار غير متاح»

- «إن جلدي يفرز مادة هلامية غريبة.. لقد قالوا أن الجلد يعود ويتعافى.. لكن هذا كذب.. أليس كذلك؟»

- «لا استطيع إجابتك على هذا، كما أنني أرى أن أسنانًا أخرى بدأت بالظهور، هذا يدل على وجود تحسّن»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

غابرييل: «لا أظن أنك تستطيع تسمية هذا بتحسن، هذه الأسنان ليست طبيعية، إنها حادة»

سرعت الشريط، كان غابرييل قد تغير وأصبح ذلك الكائن الذي رأيته! غابرييل بصوت متقطع:

- «أصبح.. أصبح الكلام صعبًا.. أشعر بأن أوتاري.. الصوتية.. تتمزق»

سرعت الشريط، كان الطبيب يطرح الأسئلة، حين مالت الغواصة وسقط الجميع وحصل التسرب البيولوجي، كان الطبيب يختنق ويقول:

- «لا أستطيع التنفس.. أنا أموت.. لقد تسربت البكتيريا..»

وبدأ يتلوى الطبيب بألم إلى أن فارق الحياة أمام غابرييل، وقف غابرييل ونظر من النافذة وكان كل من في المختبر قد لاقى مصير الطبيب، في هلع حاول غابرييل تحطيم السلاسل، وبصوت أجش قال:

- «نور.. نور»

ثم تحول الصوت إلى زئير، ونجح بتحطيم القيد وحطم النافذة ثم.. خرج من باب المختبر لينقذني!

وصلت إلى سطح المحيط، أنا لا أستحق الحياة.. لو كان هنالك وسيلة لاستبدل حياتي بحياة غابرييل لقمت بها، لكن ما بوسعي أن أفعل!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الغواصة وصلت إلى عمق لم تصل له غواصة أخرى.. تقبلت الواقع على مضض، سأبقى أنتظر حتى تأتي أيّ مركبة ويتم إنقاذي، قد يستغرق هذا أيامًا، تفقدت الكبسولة، يوجد جهاز اتصال ذو تردد عال في أحد الصناديق، أستطيع أن أتواصل مع ترددات مختلفة حتى يسمع أحد نداء الاستغاثة وسيتم إنقاذي في وقت أقصر، كيف يعمل هذا الشيء؟!

أمسكت كتيب التعليمات.. شاهدت هناك شيئا ألهمني بفكرة.. رقم التردد الخاص بالغواصة، أجل.. يجب أن أفعل هذا!

هناك طريقة لإنقاذ غابرييل!

أمسكت الجهاز ووضعت التردد الخاص بالغواصة على الجهاز.. لا أعلم إن كان سينجح الأمر.. لكن هذا الشيء الوحيد الذي أستطيع فعله الآن!

- «غابرييل.. إن كنت تسمعني فأنا آسف.. لم أكن أعلم بأنك أنت من أنقذني.. لم أكن أعلم بأن شكلك قد تغير.. لكني أدركت الآن بأنك ما زلت الشخص نفسه، لقد أدركت ذلك متأخرا للغاية، لقد تركتك تغرق بداخل الغواصة، لقد تركتك وحيدا في الظلام والبرد يا غابرييل.. بينما كنت تحرص على البقاء معي، أنا أحمق.. لكني لن أيأس من أن أنقذك.. أرجو أن تبقي شعلة الأمل في عينيك متقدة، أرجو ألا يكون العجوز الأحمق قد أطفأها، تذكر ما وعدتني به.. أنت ستبقى على قيد الحياة، أنت لا زلت عند وعدك لي، أليس كذلك؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لهذا اسمعني جيدًا، أنا أعلم أنك على عمق يتجاوز الأربعمائة متر تحت سطح البحر.. ولست متأكدًا إن كان ما سأخبرك به سيفلح أم لا.. إن أكثر عمق وصله بشري في الغوص هو 250 مترًا وإن تجاوز ذلك فسيموت من ضغط الماء عليه، لكن.. لقد رأيت تلك الطبقة الهلامية، لقد قامت بصد الرصاص، لا يوجد حل سوى أن نراهن على هذا، سنراهن أن الطبقة الهلامية ستحميك، اخرج من الغواصة بسرعة، واسبح نحو الأعلى، وأنا سأفعل ما يلزم من علاج حين تصل للسطح، أتمنى لو كنت أستطيع فعل شيء أكثر من الدعاء والقلق.. أنتظرك على سطح المحيط»

كررت ذلك عدة مرات، قد لا يستطيع سماعي، قد تكون المياه المتسربة نتيجة إطلاقي للنار قد سببت في تماس كهربائي آخر، قد يكون بعيدًا عن جهاز الاستقبال في الغواصة أو قد تكون الإشارة اللاسلكية لا تصل إليه، على الكتيب مدون أن الإشارة تصل إلى 100 كيلومتر، لكن هذا إن كان الوسيط هو الهواء، لا أعلم إن كان هذا يصلح في الماء! كان جهاز الاتصال يشير إلى أن الطاقة شارفت على الانتهاء، لكني كررت ندائي إلى أن فرغ الجهاز من الطاقة!

بقيت أنتظر بقلق، كنت أنظر للسماء الصافية والنجوم وأدعوا الله ألا تكون هذه المرة الأخيرة التي أرى فيها غابرييل..

فجأة طفا شيء على سطح المحيط.. قفزت نحو الماء إلى أن وصلت له، الحمد لله، أجل.. إنه هو.. بالكاد كان يتنفس.. كانت مياه المحيط قد ملأت رئتيه، لكن لا تقلق يا غابرييل.. لا تقلق.. حان الوقت لأرد الجميل لك.. سأعتني بك.. لقد وفيت بوعدك يا فتى..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الفصل الثالث

رحلة إلى حافة الموت

أنا غابرييل كاستيلو.. شاب في العشرين من العمر، منذ صغري كانت الحياة قاسية علي كوني مهاجرا غير شرعي، وقد قتل والدي أمامي بعد تعذيبه، وعانت عائلتي في الحصول على لقمة العيش، ومقابل أن أضمن لعائلتي حياة أفضل، قمت ببيع نفسي للقيام بتجارب مجهولة لمدة شهر، كانت التجارب مؤلمة للغاية، مشاعر الرعب من الموت والألم الذي لا يتوقف سيطرا على تفكيري وخسرت الكثير من نفسي كنت أغرق في ظلام لا نهاية له، لكن في وسط ذلك الظلام.. كان هناك نور!

لقد تعامل الطبيب العربي نور بإنسانية معي، إنسانية كانت قد اختفت من قلوب الكثير ممن التقيت بهم، ولم يعاملني بأنني فأر تجارب كما كان الأطباء والطاقم يعاملوا المتطوّعين، شعر الدكتور نور بألمي وخوفي، وكان أول شخص يخبرني بأنني أستحق الحياة وأستحق أن أحقق أحلامي، تلك الأحلام التي كنت أظن أنها رفاهية يجب أن يتخلى عنها من هم بحالي، لقد آمن بي وبقدراتي، ولأول مرة أشعر بأنني قادر على تحدي الواقع المظلم.. لهذا وعدته بأنني سوف أعيش وأنجو من هذه التجارب لأحقق أحلامي!

ما شهدته من تجارب كان مؤلفا للغاية وكان من الواضح أن الأطباء يتخبطون فيها، فقد مات العديد من المتطوّعين أمامي بمشاهد شنيعة، كنت أتغير بشكل مؤلم من الخارج والداخل، أتحلل، أتحطم، أشعر أن

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

خلاي أيّ تصرخ من الألم، وبالرغم من كل هذا العذاب، فأنا لن أيأس، خسرت طبقة الجلد الخارجية وصوتي بدأ يتلاشى، أسناني تساقطت ثم بعد أيام خرجت أسنان مدببة غيرها، بعد ذلك بدأ جسدي يفرز مادة هلامية شفافة غطت جسدي، لقد أصبح شكلي أقرب لمسخ، ولم يعترض أحد الأطباء الآخرين على ذلك، بل أصروا على إكمال التجربة!

هتف أحد الأطباء لآخر في حماس:

- «لقد حصلنا على نتائج جيدة من هذا الفتى، إنه مختلف ويمتلك قدرة تحقل عالية، لقد اقتربنا جدًا من الحصول على مصل مستقر!»

بعد أيام وفي أثناء مقابلتي مع الطبيب البديل، كنت قد خسرت صوتي كليا، ثم لسبب ما لا أعلمه دارت الغواصة فجأة بزاوية حادة، جعلتنا نسقط إلى الجدران تبعها أصوات تحطم قادمة من المختبر، ثم بدأت إضاءة حمراء تومض، كان الطبيب البديل يتلوى أمامي مختنقا وهو يعاني كأنه أفعى تصارع عدوًّا خفيًّا، أدركت حينها بأن شيئا ساقا قد تسرب من أحواض التجربة، تسارعت ضربات قلبي وأصابني الخوف، ليس على نفسي، بل على الدكتور نور، لا أريد أن ينتهي أمره مثل الطبيب البديل، ويبدو أن تلك التجارب القاسية أعطتني مناعة ضد ما تسرب لأن كل من في المختبر قد انتهى أمره بشكل مشابه للطبيب البديل، قفزت من مكاني، لكن القيود أسقطتني أرضا، وبكل ما أوتيت من قوة حطمت القيود وسارعت بالبحث عن نور.

بعد البحث في قاعتين، وجدته ممدًا على الأرض في غرفة الطعام، يتنفس بصعوبة ويتعرق والألم ظاهر على وجهه، حملته وهربت به

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

إلى الطابق السفلي. حيث أبعد نقطة عن المختبر، كان يردد بأن ساقه تحطمت، لهذا سارعت بالبحث عن صندوق إسعافات أولية، وقمت بعلاج إصابة قدمه بالطريقة التي حفظتها من الكتاب الذي أهداني إياه، ثم حقنته بمسكن، لكنه لم يتحسن وكان يتنفس بصعوبة، لا بد من أنه أصيب بعدوى مما تسرب من المختبر! يجب أن أجد له علاجا، مصلًا! ألم يقل أحد الأطباء بأنهم قد اقتربوا من صنع مصل قبل عدة أيام؟

يجب أن أعود للمختبر وأبحث عن ذلك المصل!

حين اقتربت من المختبر تفاجأت بإيفان ورجاله هناك يرتدون الملابس الواقية ويحملون أسلحة، صرخ إيفان:

- «أطلقوا النار على هذا الشيء أيضا، لم يعد له أيّ حاجة»

وبدأوا بإطلاق النار علي بلا رحمة، كنت أصرخ متألقا، لكن صرخاتي لم تعد بشرية، أريد أن أرجوهم أن يتوقفوا، يجب أن أنقذ نور، يجب ألا أتأخر كي لا أفقده، لا قيمة لأحلامي إن تحققت من دون أن يكون حيًا ينظر لي بكل فخر.

لكنهم لم يتوقفوا عن إطلاق النار، كل ما أذكر بعد ذلك بأنني غرقت في الظلام والغضب يملؤ قلبي، حين أفقت وجدت نفسي ممدا على الأرض منهك القوى ودمائي تسيل بلا توقف بينما جثث شنيعة تحيط بي، هل أنا من قمت بهذه المجزرة؟!

لقد فقدت السيطرة على نفسي!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لا يجب أن أفكر في هذا الآن، يجب أن أجد المصل بسرعة وأعود لنور.

على أرض المختبر، كان هناك صندوق مميّز مكتوب عليه كلمة المصل، فتحت الصندوق ووجدت عدة حقنات بها، معظمها محطم جراء السقطة، أخذت حقنة صالحة وأسرعت بها إلى نور كانت بشرته تميل للزرقة، اقتربت منه ووضعت رأسي على قلبه، إنه ينبض بضعف، وتنفشه متقطع سريع، حقنته بالمصل، كنت أبكي خوفًا من أن أفقده، انتظرت لعدة دقائق لكن لم يبد أيّ تحسن، ماذا أستطيع أن أفعل؟

أرجوك لا تمت يا نور!

أريد أن ننجو نحن الاثنين، يجب أن ننجو معًا!

حاولت الضغط برفق على صدره، أرجوك لا تتركني وحيدا! فجأة سعل نور عدة سعلات ثم عاد تنفسه طبيعيا، وعاد قلبه للعمل بشكل سليم، تنفست الصعداء وغرقت في غيبوبة بقربه بسبب نزف الدم من إصابتي السابقة.

حين استيقظت، وقفت بصعوبة وكتب رسالة لنور على الجدار:

- «لا زلت عند وعدي لك»

ثم خرجت لأعالج جراحي.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

في الأيام التالية كنت أبحث في الغواصة عن أيّ شيء قد يساعد، لم يكن هناك ناجون غيرنا، وفي أثناء البحث وجدت القليل من الأدوية الصالحة والطعام السليم، وفضلت أن أبقيها لنور حتى يتحسن.

كان تحسنه بطيئًا، ولم يستيقظ، في كل يوم كنت أفقد جزءا من نفسي وتتلاشى أجزاء من ذكرياتي وإنسانيتي، حتى التفكير أصبح مشوشا، كانت مشاعر الجوع، الخوف، البرد، والوحدة، توقظ غريزة الوحش وتحاول السيطرة علي، لكني لم أخضع لها، أدرك أنني سأموت إن لم أتناول الطعام، وأنا أعلم بأن الطعام غير كاف لكلينا، لهذا وبكل تقزز بدأت بأكل الجثث التي كانت تتحلل ببطء في برد الغواصة سأبقى حيًا أنا ونور مهما كلفني ذلك.

مرت الأيام وأخيرا استيقظ نور، لم يعد التفكير مهمة سهلة، وأصبحت مشاعر قوية هي التي تتحكم بي أكثر، مشاعر تخبرني بأن أحميه من الوباء الموجود بالأعلى.

حين رآني أول مرة بعد أن استيقظ خاف مني!

- «إنه أنا يا نور، أنا غابرييل»

لكن هذه الكلمات صدرت كزئير جعل خوف نور يزداد مني وجعله يزحف بجبيرته هاربا، أمسكته وأعدته إلى فراشه، يجب أن أحميه مهما كلفني ذلك، يجب أن يعيش! يبدو أن نور مشوش كأنه فقد ذكرياته، لقد حاول الهرب مني عدة مرات بعد أن تحسنت ساقه.

يجب أن أحميه وأعيده!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

سوف أنتظرك حتى تتذكر، سوف أحميك حتى تسترد كامل عافيتك! في النهاية، وجد مسدسًا محشوا وأطلق على النار، ثم أصاب الغواصة بإحدى الطلقات، الغواصة ستغرق، يجب أن أغلق الماء المتسرب، يجب أن أحميه! وضعت ما وجدت من أجسام ثقيلة لتخفف من سيلان الماء ولحقت بنور، لقد وصل إلى كبسولة النجاة!

لمَ لم ينتظرني!

- «نور إنه أنا، غابرييل!»

بالطبع لم تخرج ككلمات، بل كزئير، كان ينظر لي من خلف زجاج نافذة كبسولة النجاة، لم أتمالك نفسي وبدأت أبكي!

- «لا بأس يا نور، لا بأس، أنا سعيد بأنك نجوت»

ابتعدت كبسولة النجاة، وشعرت بأن شعلت الأمل قد انطفأت، لا بأس، لقد عشت فترة مؤقتة سعيدة شعرت بأنني قادر على تحقيق أحلامي..

لا بأس، عائلتي في أمان الآن..

لا بأس، فأنا لم أعد أنا، ولم يتعرف علي الدكتور نور..

لكني حميته.. هو في أمان الآن..

لا بأس بأن أموت الآن..

أستطيع أن أموت بكل رضا!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كانت المياه قد ملأت معظم أجزاء الغواصة واقتربت أن تصل لطابق المنصة حيث أجلس منتظرا الموت..

أغلقت عيني، البرد يزداد، والأمل يتلاشى!

- «غابرييل.. إن كنت تسمعني فأنا آسف.. لم أكن أعلم بأنك أنت من أنقذني.. لم أكن أعلم بأن شكلك قد تغير.. لكني أدركت الآن بأنك ما زلت الشخص نفسه، لقد أدركت ذلك متأخرا للغاية، لقد تركتك تغرق بداخل الغواصة، لقد تركتك وحيدا في الظلام والبرد يا غابرييل.. بينما كنت تحرص على البقاء معي، أنا أحمق.. لكني لن أيأس من أن أنقذك.. أرجو أن تبقي شعلة الأمل في عينيك متقدة، أرجو ألا يكون العجوز الأحمق قد أطفأها، تذكر ما وعدتني به.. أنت ستبقى على قيد الحياة، أنت لا زلت عند وعدك لي، أليس كذلك؟»

فتحت عيني التي امتلأتا بالدموع واشتعل بريق الأمل فيهما، كان هذا صوت نور قادما من الإذاعة في المنصة، لقد تذكر! أجل يا نور، أنا لا أريد الموت، أريد أن أعيش، أنا لا زلت عند وعدي لك!

- «أرجوك اسمعني جيدًا، أنا أعلم أنك على عمق يتجاوز الأربعمائة متر تحت سطح البحر.. ولست متأكدًا إن كان ما سأخبرك به سيفلح أم لا.. إن أكثر عمق وصله بشري في الغوص هو 250 مترًا وإن تجاوز ذلك فسيموت من ضغط الماء عليه، لكن.. لقد رأيت تلك الطبقة الهلامية حين قامت بصد الرصاص، لا يوجد حل سوى أن نراهن على هذا، سنراهن أن الطبقة الهلامية ستحميك، اخرج من الغواصة بسرعة، واسبح نحو الأعلى، وأنا سأفعل ما يلزم من علاج حين تصل للسطح،

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أتمنى لو كنت أستطيع فعل شيء أكثر من الدعاء والقلق.. أنتظرك على سطح المحيط»

وقفت على قدمي وأسرعت بالبحث عن مخرج، أنا.. لا أعرف السباحة، لكن سأحاول، سأحاول أن أعيش بكل ما أملك من طاقة، بحثت عن مكان أخرج منه من الغواصة، يوجد فتحة مغلقة في سقف المنصة، صعدت السلم وأمسكت بالحلقة ثم أدرتها وحاولت فتحها، لكنها لم تتحرك، ضغط الماء الهائل فوقها جعلها لا تتزحزح، لا يوجد مخرج!

لا.. لن أيأس!

تذكرت الجدار الذي تتسرب المياه منه للغواصة، أخذت نفسًا عميقًا وغصت في المياه المتسربة، كنت أمسك بالأنابيب وفتحات الأرضية لأدفع نفسي لأنني كما ذكرت لا أعرف السباحة!

وصلت لفتحة الجدار المثقوبة، الفتحة لا تتسع لي، كما أن المياه تتسرب بقوة وتدفعني للخلف، بكل ما أوتيت من عزم، دفعت جسدي وأمسكت بأطراف الثقب، ثم دفعت الطرفين بالاتجاه معاكس، كان يدي تتمزق، لكني بالقوة الوحشية التي امتلكتها، استطعت توسعت الفتحة ما يكفي للمرور، لم يتبق معي هواء كاف وكانت قوة الماء الدافعة قد زادت، فقدت السيطرة على جسدي وكنت أدور في دوامات.

أشعر بدوار، بصعوبة استطعت أن أمسك أحد الأنابيب، وأسرعت بدفع نفسي عائدا إلى المنصة، كان المشهد مروعًا، بالكاد تبقى هواء فيها، صعدت لأعلى نقطة وأخرجت رأسي بشكل أفقي، وارتفاع الماء عند

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أذني، أتنفس قبل أن أخذ الشهيق الأخير، هذه لحظة الحقيقة، أنا خائف بحق، لكن لا وقت للخوف، أخذت نفسا عميقا وغطست من جديد في الماء.

حين وصلت لفتحة الجدار كان اندفاع الماء قد قل، ذلك لأن الغواصة قد امتلأت بالماء، خرجت وشعرت بضغط هائل على جسدي، شعرت بأن عيني ستخرج من مكانهما وبأن رئتي ستنفجران، بدأت الدماء تنساب من أذني وتسبح في المحيط مبتعدة، من الجيد بأن جسدي يطفو للأعلى، أهو يطفو فعلا أم أن الغواصة هي التي تغرق بسرعة مبتعدة عني؟!

أغلقت عيني التي تشوشت الرؤية فيهما، وأنا أرغم الهواء بأن يبقى في مكانه في رئتي عنوة، يكاد يغمى علي، الألم لا يطاق، لكن.. أريد أن أعيش! شعرت بأنني غريق منذ الأبد، وبأنني سأبقى في أعماق المحيط للأبد، لا أدري كم مضى من الوقت، وحش اليأس يصارعني ويحاول إطفاء شعلة الأمل بكل ما يمتلك من طاقة، وأنا أخبره بأن ينتظر، ينتظر لقليل من الوقت، فالدكتور نور ينتظرني فوق سطح المحيط.

في لحظات الحياة الأخيرة، يتذكر الدماغ أمورًا غريبة، ذكريات قد اضمحلت ودفنت في طي النسيان، أتذكر والدي قبل أن نصل إلى حدود روسيا، كان يحمل أخي الصغير ويسير بحذر والعرق يهطل منه بغزارة، كنا نسير أنا ووالدتي خلفه، التفت لنا وقال بصوت منخفض مرتجف:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لقد اقتربنا»

«دعنا نرتح قليلا يا مارك» قالتها أمي لاهثة.

- «حسنا، سنرتاح لدقائق ثم سننطلق، إن عبرنا الحدود سيكون كل شيء بخير»

وضع أخي الصغير وجلسنا بين الأشجار، اقترب مني وقال:

- «لا أعلم ما سيحدث يا غابرييل الآن، قد يفقد أحد منا حياته إن كان حرس الحدود قساة»

- «لا تقل هذا يا أبي، ستكون الأمور بخير»

- «أرجو هذا، غابرييل، أنت في السابعة من العمر وتستطيع فهم ما سأقوله لك، أنت من سيتحمل المسؤولية إن حدث لي شيء، هناك سر يجب أن أخبرك به، كل ما حصل حتى الآن كان بسببي، إنهم يلاحقوننا ويريدون المادة الكيميائية 08 وسيفعلون أيّ شيء للحصول عليه»

- «المادة 081؟! ما هذه؟»

- «إنها ثمار أبحاثي يا بني، فور أن ندخل إلى روسيا فسوف نكون في أمان»

سمعنا صوت إطلاق طلقات نارية من بعيد، قال والدي:

- «لقد كشفوا مكاننا»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «ماذا سنفعل يا أبي؟»

- «يجب أن نتحرك»

زاد انهمار الطلقات.

«فلندخل إلى الغابة» صرخت أمي.

ثم فجأة.. أصابتني طلقة آلمتني بشدة ثم أردتني مغمًا علي!

لم نسيت هذا! لم أتذكر هذا الآن؟!

لقد شعرت بنفس هذه المشاعر في تلك اللحظة!

لكن لحظة!

هل المياه أصبحت أكثر دفئا أم هذه حرارة الروح قبل أن تغادر جسدي؟ فتحت عيني، كان التشويش في الرؤية يتلاشى وأصبح المشهد واضحا! ضوء القمر يخترق مياه المحيط ويجعل الأسماك تتلألأ في مشهد بديع! إذن لقد اقتربت، لكن رئتي لم تتحملا أكثر وخرج الهواء منهما، كنت أختنق والماء يتسرب إلى رئتي، أسرعت ودفعت جسدي للأعلى بحركات غريزية، ثم خرجت، والدماء والمياه تخرج من رئتي وأذني، لم أعد قادرا على فعل أيّ شي آخر!

- «لا تقلق يا غابرييل.. لا تقلق.. سأعتني بك.. لقد وفيت بوعدك يا فتى» كان هذا نور وقد أمسك جسدي وسبح بي إلى كبسولة الطوارئ،

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الآن أستطيع أن أرتاح، لقد وفيت بوعدي! لا أعلم إن أغمى علي بعد ذلك أو إن مت! عدت إلى الذكرى القديمة، فتحت عيني بضعف وكان والدي واقفًا فوق رأسي، قال بارتباك والدموع تتسرب من عينيه:

- «غابرييل هل تتذكر من أنا؟»

- «رأسي يؤلمني بشدة يا أبي»

نظر لأمي وقال:

- «إنه بخير الآن، لقد نجح الأمر!»

ثم قال لي باكيًا:

- «لا بأس يا بني، ستكون بخير»

كانت والدتي ترجف باكية وتقول كلمات متقطعة غير مفهومة:

- «مارك.. لكن كيف.. الطلقة.. اخترقت رأسه؟! كيف أعدته للحياة؟! ولم يبدو أكبر سنًا؟»

- «لا وقت لهذا.. يجب أن نتحرك» ثم احتضنتني والدتي وقالت:

- «لا يهم، المهم أنك عدت لي، هذا يكفي»

لم يكن هناك الكثير من الوقت لأفهم ما حدث، لكني كنت سعيدا بأن الكل بخير قال والدي:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «هل تستطيع التحرك؟»

وقفت وكنت أسير بشكل طبيعي:

- «أظن ذلك»

- «حسنا، يجب أن نرحل الآن، بعد قليل ستشرق الشمس وسيصبح من السهل كشف موقعنا»

ستشرق الشمس! ألم نكن في الصباح قبل أن أصاب، كم من الوقت لبثت مغفى علي؟!

وضع والدي يديه المرتجفتين على كتفي وقال:

- «سأذهب وأتكلم مع حرس الحدود وأشغلهم، في أثناء ذلك تسلل أنت وأمك وأخوك إلى خلف السياج واختبئوا عن أعين الحرس، سأتبعكم فيما بعد»

- «لكن هذا خطر يا والدي»

- «إن حدث لي شيء فأنا أعتمد عليك في حماية الجميع، ابحث عن رافاييل فيدوروفا في وزارة الخارجية في موسكو وأخبره..»

إني أرى نورا ساطعا قاطع شريط الذكريات، أهذا النور الموجود في نهاية النفق! أرجوك.. أعدني لتلك الذكرى، لقد قال شيئا ما مهما.. أشعر بذلك.. أريد أن أتذكر ما قال! هذه الذكريات كانت في طي

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

النسيان! فتحت عيني بينما شعاع من الشمس الحارقة قد أعمى بصري، تحركت في ألم مبتعدا عن هذا الشعاع، ثم رأيت نور، كان يبدل الضماد ووجهه محترق من أشعة الشمس، حين رآني أستعيد الوعي، بكى قائلًا:

- «الحمد لله يا غابرييل، لقد استيقظت»

نظرت إلى جسدي، الجراح مضمدة، وهناك أنبوب خارج من فمي وبالقرب مني صندوق إسعافات أولية مفتوح وقد تم استخدام معظم ما فيه.

- «أنت تفهم ما أقول يا غابرييل، أليس كذلك؟»

هززت رأسي وحاولت قول نعم، لكنها صدرت كزئير مني!

- «ممتاز، أنا حاولت أن أعالج كل ما يمكن علاجه، لكن لم أتمكن من علاج الإصابات الشديدة والخطيرة لنقص المعلومات الطبية عنها لدي ولقلة المواد العلاجية هنا، لقد كان هناك تمزق في طبلة أذنيك وتمرق في العديد من العضلات والأنسجة، لكن في المقابل جسدك عجيب، كان يعالج نفسه بنفسه بسرعة أكبر من التي لدى الإنسان العادي، في العادة ثقب صغير في طبلة الأذن يحتاج أسابيع وحتى أشهر حتى يلتئم الثقب من دون تدخل طبي، لكن جسدك قام بذلك من تلقاء نفسه في أيام»

أيام؟ كم يوما بقيت فاقدا، حاول أن أتكأ على يدي وأجلس، لكني شعرت بالألم، كل خلية في جسدي تصرخ، زارت متألقا، فساعدني الدكتور نور على الاتكاء وقال:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا تتحرك كثيرًا، يجب أن تنتظر حتى تلتئم كل جراحك»

كان جسد نور هزيلًا، وحروق الشمس ظاهرة على وجهه بينما هناك خدوش عميقة على يديه، أخرج بعض الطعام من حقيبة في الكبسولة، وقال:

- «جسدك يتعافى بشكل أسرع عندما تأكل، كان من الصعب وضع الطعام في فمك من دون أن أجعلك تختنق، لهذا زرعت هذا الأنبوب الذي يصل للمريء لديك»

هل جُرح من أسناني في أثناء زرعه للأنبوب؟

هل تناول أيّ شيء خلال هذه الفترة؟ هذا العجوز الأحمق... هل يريد الموت بعد أن قمت بتلك التضحيات لرؤيته؟!

زأرت ودفعت الطعام نحوه ففهم قصدي.

- «غابرييل، أنت يجب أن تعيش، نحن هنا في وسط المحيط منذ ثلاثة أيام ولم يمر أحد، لم يتبق الكثير من الطعام، وأريدك أن تعيش حتى لو اضطررت لأن تأكلني»

زأرت بغضب وحاولت أن أشير بيدي وأصابعي محاولًا أن أوصل له رسالة!

ضحك ضحكة ضعيفة وقال:

- «أنت تقصد أنه إما أن ننجو معًا أو نموت معا، أليس كذلك؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هززت رأسي بنعم، لكنه أكمل:

- «أرجو أن ننجو معًا إذن، لكن لا تيأس وتفقد الأمل إن حدث شيء ما لي، أريدك أن تحاول أن تبقى على قيد الحياة وأريدك أن تتعالج، هناك صديق عزيز علي، طبيب عربي بارع اسمه رامي إبراهيم، أعتقد أنه قادر على علاجك، إنه نابغة في علاج الأمراض التي تصنع التشوهات، يجب أن تجده في حال إن مت و..»

لم أجعله يكمل ما يقول ووضعت الطعام عنوة في فمه كي لا يكمل، وأعدت حركات اليدين والأصابع السابقة!

قال وهو يمضغ الطعام ويضحك:

- «تمام، تمام يا غابرييل، إما أن ننجو معًا أو نموت معًا»

فيما بعد قال لي:

- «دعني ألخص لك موقفنا، كبسولة الطوارئ نفدت منها الطاقة، ولم يعد هناك مجال لنداء استغاثة، والطعام والماء لم يتبق منهما شيئا، وبالرغم من برودة الجو إلا أن الشمس ساطعة وحارقة في النهار، غطيت ما أستطيع من الكبسولة كي لا نصاب بحروق لكن من الواضح أن هذا لا يكفي، نحن لا نملك الكثير من الوقت وإن لم تجد حلا فسوف نموت»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

نظرت حولي، محيط يمتد بلا نهاية في الأفق، لكني رأيت شيئا، شيئا بعيدًا للغاية، أظن إنها اليابسة، أشرت لنور، لكنه قال في حيرة وهو يدقق:

- «أنا لا أرى شيئا» لكني تابعت في حماس وأنا أزأر، قال:

- «هل من الممكن أن التغيرات التي حدثت لك جعلت نظرك أقوى من العين البشرية؟! أظن هذا؟! أنت كنت قادرا على الرؤية بوضوح في ظلام الغواصة»

هززت رأسي بحماس، فتلفت نور باحثًا في الكبسولة، ثم أشار للألواح المعدنية على الجدران وقال بحماسة:

- «نستطيع استخدام هذه الألواح المعدنية كمجاديف، قم بخلعها يا غابرييل»

فعلت ذلك وأزلت الألواح، ثم بدأنا نجذف بكل ما أوتينا من قوة، كان نور منهكا لهذا كان يرتاح كل بضع دقائق، لكني لم أتوقف! بعد الكثير من الوقت والجهد بدأت الجزيرة تظهر بوضوح أمامنا، قال نور لاهثًا:

- «بالفعل يا غابرييل، هذا شاطئ»

أكملنا التجديف بحماس إلى أن وصلنا! نزلنا إلى اليابسة، هذه أول مرة تلمس قدمانا اليابسة بعد أكثر من شهرين في المحيط، هتف نور:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «الحمد لله يا رب، أن تشعر بأرض ثابتة لا تتحرك تحتك لنعمة لا يدركها الكثيرون».

تفحصنا المكان، هناك قوارب مما يدل أن هناك حياة قريبة!

- «من الغريب أننا في وضح النهار ولا يوجد شخص هنا! لا بد من أن السكان يتوقفون عن العمل بسبب أشعة الشمس الحارقة، لقد اعتادوا درجات الحرارة الباردة»

قالها نور ثم أشار لطريق رملي يوصل لتلة وأكمل:

- «دعنا نتقدم ونر ما يوجد خلف تلك التلة»

بدأنا السير أنا ونور، حين وصلنا تفاجأنا بالمشهد!

كان هناك سور معدني منحن بارتفاع أربعة أمتار على الأقل ويمتد على مدى الأفق، المشهد من بعيد أشبه بقبة قد قضت من فوق حتى تدخل الشمس للداخل. ترى ما هذا المكان؟! اقتربنا أكثر وكان هناك سياج كل بضع أمتار، كنت أرفع نور ثم أضعه على الجهة المقابلة، ثم أقفز ونكمل السير.

حين وصلنا للسور المعدني كانت هناك بوابة على شارع ممهد، قال لي نور:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «سأذهب وحدي وأقرع الباب، بالرغم من أن الضمادات تغطي جسدك لكن من الحكمة ألا نجعل من سوف نجد خلف الباب يرونك عن قرب حتى لا يهلعوا، سوف أشرح لهم ما حدث ومن ثم أناديك»

هززت رأسي بالرفض، وحاولت أن أوصل رسالة بيدي، قال نور ضاحكًا:

- «لا تقلق، سأكون حذرا، هيا اذهب واختبأ خلف الأشجار»

اختبأت خلف الأشجار متأهبًا، كنت أنظر إلى نور بينما يخيل لي أنه والدي ذاهب ليواجه حرس الحدود، أرجوك كن حذرا يا نورا قرع الباب مرة، وانتظر ثم قرعه مرة أخرى وصار ينادي:

- «نحن ضائعون وبحاجة للمساعدة»

لم يحدث شيء لعشر دقائق، وحاول نور دفع الباب، لكنه لم يتزحزح، عاد لي وقال:

- «لم يُجب أحد، لقد نظرت من فتحة صغيرة في الباب إلى ما خلفه، توجد مدينة!»

تقدمت نحو السور، أستطيع تحطيم الباب بسهولة، لكن هذا قد يصنع لنا مشكلات إن رآنا أحد، لهذا بدأت تسلق السور المعدني، إنه منحن للداخل، بقوتي العضلية أستطيع تسلق الخمسة أمتار هذه، وصلت للأعلى ونظرت للداخل.. إنها بالفعل مدينة، هناك دخان يخرج من عدة أماكن، وتوجد سيارات متوقفة في كل مكان في الطرق ومنها ما هو

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

محطم ومقلوب، حواجز ترابية قبل أمتار من الجدار المعدني، ماذا عن البشر؟

يوجد عدة أشخاص في أماكن بعيدة، هناك شخص ما جالس على الأرض بضعف، هناك شخص على سطح أحد المباني يدخن سيجارًا، وشخص يجلس في إحدى السيارات، إذن المكان غير مهجور، قفزت للداخل مسافة الخمسة أمتار، وسقط على أطرافي الأربعة كقط، لكن السقطة ألمتني، ماذا كنت أظن؟! لم تلتئم جراحي بعد!

عدت مسرعا إلى البوابة ودفعتها من الداخل، فتحت ما يكفي لدخول نور وانتظرت إلى أن دخل، تراجعت للخلف وأغلق الباب! كنا نسير في المدينة التي كانت أقرب لمدينة أشباح، انتبهنا لوجود أشخاص في المباني، لكنهم كانوا يغلقون الستائر حتى لا نراهم!

- «ترى ما الذي حدث هنا؟! لم يبدو الكل خائفا؟»

قالها نور وهو يتلفت حوله، ثم قرع أحد الأبواب:

- «أرجوكم، نحن ضائعون وبحاجة لمساعدة!»

لكن لم يجب أحدا!

- «غابرييل، دعنا نبحث عن شخص قادر على إخبارنا ما الذي يحدث هنا»

شممت رائحة حريق، ونبهت نور بأن يتبعني، ركضت خلف الرائحة الشنيعة، وتبعني نور، إلى أن وصلنا إلى المصدر، مشهد شنيع، شنيع

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ومثير للغثيان! كان هناك عدة رجال يرتدون بدلات الوقاية، في أيديهم أسلحة، وأحدهم يمسك قاذف لهب ويحرق به جثة على الأرض، بالكاد تعرفت على الشخص، إنه الرجل الضعيف الذي رأيته من فوق السور، توقف الجميع ونظر نحونا ونور يقول بالإنجليزية:

don't shoot, we are not from here» -

لا تطلقوا النار، نحن لسنا من هذا المكان»

رفع أحد الرجال يده بإشارة جعلت الرجال يتوقفوا، كنت أرتجف فالمشهد مشابه لما حدث في الماضي، ثم حرك الرجل يده بإشارة ذات معنى! بدأت أصوات الطلقات بالعلو!

«أرجوكم توقفوا، نحن لسنا خطرا عليكم و..»

نظرت نحو نور، لم توقف! لقد أصيب وسقط ميتًا على الأرض!

لا! لاااااا!

امتلأت بالغضب وزأرت مهاجمًا على من يطلقون النار، أغرق في ظلام بينما أسمع صوت المزيد من الطلقات تطلق نحوي!

ما بعد ذلك كان ظلامًا دامسا!

***

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أنا نور كريم، كنت أسبح في الظلام، ماذا حصل؟، سمعت شخصا يتحدث:

«من أنت؟ أنت لست من هنا، أليس كذلك؟» كان صوتا مشوشًا كأنه صادر من خلف قناع!

فتحت عيني، ضوء ساطع ينير مباشرة نحو عيني، حاولت التحرك لكني لم أستطع أنا مثبت على كرسي، ابتلعت ريقي وقلت بصعوبة:

- «أنا.. أشعر بدوار كبير، ماذا حدث؟!»

- «شعورك هذا بسبب طلقة التخدير التي أطلقها الجنود عليك، سيذهب مفعول التخدير بالتدريج، أخبرني الآن من أنت وكيف وصلت إلى هنا؟»

- «أنا الدكتور نور كامل كريم، وكنت في مهمة في غواصة الإعصار و..»

قفز من كان يسأل في حماس وأزال الضوء عن وجهي ثم اقترب مني، فتبين أنه يرتدي ملابس واقية وقناع تنفس، وخلفه شخص آخر كذلك، كان من الصعب تحديد ملامحهم خلف القناع، قال من اقترب مني:

- «هل هذا حقيقي؟ أنت كنت في مهمة الغواصة؟!»

«أجل، كنت الطبيب النفسي المسؤول عن صحة المتطوّعين»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «ماذا حدث إذن؟! لم اختفت الغواصة في أعماق المحيط؟! لقد فقدنا جميع وسائل الاتصال بها!»

- «لقد حدث انقلاب ومعركة في الغواصة، ونتيجة لذلك تسربت أحواض البكتيريا وأدى ذلك إلى كارثة صحية وموت الجميع»

- «إذن كيف نجوت أنت؟!»

«لقد تم إنقاذي»

- «مِن من؟»

- «من غابرييل...

- «أنت تقصد ذلك المسخ الذي كان يرافقك»

تلفت حولي وأنا أبحث عن غابرييل، وقلت في قلق:

«أين غابرييل؟! أرجوك أخبرني أين هو؟»

- «لقد احتجنا لإطلاق عشرات من طلقات التخدير حتى نوقفه، طلقة واحدة كفيلة بإسقاط فيل عملاق مغشيًا عليه، لكن هذا المسخ توحش وهجم على جنودي بعد إطلاقهم لعشرات من طلقات التخدير، وحطم عظام ثلاثة منهم قبل أن يسقط مغشيًا عليه»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أرجوك لا تؤذوه، هو أحد المتطوّعين الذين كانوا في الغواصة.. اسمه غابرييل كاستيلو، وما حدث له من تغير في الشكل هو نتيجة للتجارب غير الأخلاقية التي كانوا يجرونها على المتطوّعين»

قال الشخص الواقف في الخلف:

- «لقد خرجت نتائج فحص دمه سيدتي»

سيدتي؟! من يقصد؟

أكمل من بالخلف وهو يتصفح جهازًا لوحيًا محمولًا:

- «نتيجة الفحص سلبية، غير مصاب»

قال الذي يقف أمامي: «ماذا عن هويته؟»

- «نور كامل كريم، الصورة والاسم وعينة الحمض النووي مطابق بالفعل لما في الملفات»

قام من أمامي بفكّ وثاقي..

- «أعتذر عن تقييدك، هذه إجراءات تقليدية»

- «مفهوم، لقد اعتدت الفظاظة غير المبررة من الروس»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ثم أزال قناع التنفس وغطاء بذلة الوقاية، و.. كانت امرأة تبدو في منتصف الأربعين من العمر، ذات شعر أسود وخصلات، أخرجت من جيبها عوينات مربعة الإطار وارتدتها، قالت لي:

- «أنا الدكتورة فيرونيكا زاتسيفان وهذه مساعدتي أولغا، أنتم في مدينة آرتش آنجل (Archangel) الواقعة على أطراف روسيا، هذا المكان هو مركز آرتش آنجل العسكري للبحوثات، وأنا القائد الحالي للمكان هنا»

من غير المعتاد وجود أنثى في مكان قيادي حساس كهذا، لهذا ظهرت ملامح العجب على وجهي!

لم تهتم لردة فعلي وقالت:

- «كيف دخلتم إلى المدينة؟ إنها محاطة بسياج عال ولا أحد يستطيع فتح الأبواب إلا من خلال أجهزة التحكم هنا!»

- «رفيقي غابرييل، لديه قوة أكثر من تلك التي للبشر العاديين نتيجة تجارب الغواصة، وقد قام بتسلق الجدار والقفز للداخل، وفتح ما يكفي لعبوري من الباب»

- «أنت تتحدث عن مسافة خمسة أمتار! هذا لا يعقل!»

- «هذه هي الحقيقة»

التفتت مجددا إلى أولغا التي أزالت القناع أيضا وقالت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «ماذا عن المدعو غابرييل كاستيلو؟ هل انتهت إجراءات الفحص؟»

- «لا زلنا غير قادرين على أخذ عينه منه! الحقن تتحطم بسبب الطبقة التي تغطيه!»

فكرت فيرونيكا وقالت:

- «لقد كانوا يقومون بتجارب عليه في الغواصة، لا بد أنهم حقنوه مئات المرات، لم لا ينجح الأمر الآن؟!»

- «لا زلنا نجهل السبب، قد تكون السبب هو الحقن نفسها، سوف أتابع الأمر سيدتي ونحاول تأمين حقن من نوع أمتن»

- «كلما أسرعنا كان ذلك أفضل، يجب البدء بقائمة اختبارات البكتيريا الخارقة عليه ولا نملك الكثير من الوقت!»

قاطعتهم بعصبية:

- «لا يمكنكم فعل ذلك! لقد أوفى الشاب شروط العقد، وانتهت مدة الشهر التي كانت فترة التجربة!»

- «أنا على علم بذلك، لكن المصلحة العليا أهم من مصلحة الفرد وتقتضي بعض التضحيات»

- «هذا إخلال صريح في الاتفاق، يجب أن تطلقوا سراحه!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لقد راهنا بكل شيء على التجربة التي حصلت في الغواصة لإيجاد مصل، وكنا ننتظر بفارغ الصبر أن نحصل على نتائج، لكن خسرنا الرهان وكانت النتائج وخيمة.. وقد خرج أمل بعد أن اقتربنا من النهاية، هذا الأمل هو هذا المتطوع؟»

- «الشاب عاني بما فيه الكفاية وأنا لن أسمح لكم بعمل المزيد من التجارب عليه؟»

- «للأسف يا دكتور، أنت لا تملك أيّ صلاحية لفعل ذلك، نحن على درجة عالية من احترام الاتفاق ونقدر ما قمت به حتى الآن، سوف نعالجك ونقوم بالاتصالات اللازمة لنعيدك لموطنك، كما أننا سنضاعف مكافئتك المالية عوضا عن الأضرار والمصاعب التي قد أصابتك في الغواصة، ستعيش برفاهية حتى آخر لحظة في حياتك»

«ألم تسمعي جيدًا؟ أنا لن أغادر من دون الفتى، لقد تعهدت بأن أرعاه كأنه ابني، لا أريد مالكم هذا!»

قالت بغضب:

- «هذه العواطف الشخصية لا قيمة لها هنا، إنها مجرد أنانية مطلقة، هل ستضحي بملايين الأشخاص للحفاظ على حياة شخص واحد؟»

- «لا بد أن هناك طرقا أخرى غير أن تضعوا عاتق النجاة الثقيل على كاهل شاب في مقتبل العمر، هذه وحشية!»

نظرت نحوي في غضب، ثم تنهدت وقالت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «حسنا إذن، سوف أريك ما حدث في العالم من تغيرات خلال الشهرين الماضيين وستقوم أنت يا دكتور بإخباري ماذا سأفعل!»

تعجبت من هذا وقلت:

- «أنا؟!»

- «أجل، أنت ترى أننا وحوش عديمة الرحمة، أريد أن أرى ماذا ستقوم بفعله أنت لو كنت مكاني!»

توجهت فيرونيكا إلى أحد الأدراج في الغرفة وأخرجت ملفًا من داخله ثم ألقت بالملف المليء بالصور أمامي وأكملت كلامها:

- «خلال الشهر الأول كانت الإصابات محدودة بالبكتيريا الخارقة ورغم حرصنا على عزل المرضى وبذل كل جهد لعلاجهم، مات معظمهم وفشلت كل محاولاتنا، أخبرني يا دكتور، هل تعرف ما هو شعور أولئك المرضى وهم يتحللون ببطء؟ شعور أن كائنا يعبث بجسدك بكل حرية وأنت ومن حولك عاجزون عن إيقافه»

كانت الصور لمصابين بالمرض وكانت حالتهم شنيعة للغاية، وضعت صورًا أخرى أمامي وأكملت:

- «هناك من أكل دماغه بالتدريج، وهناك من تحلل جلده وتساقط، هذا هنا تعفن من الداخل إلى الخارج، وهذا الطفل..»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

«أرجوكِ توقفي..» كان ذلك أكثر مما أستطيع التحمّل، إلهي.. ما هذا الرعب؟!

- «لا زال هناك المزيد، بعد أن فشلت غواصة الإعصار في العودة وفقدنا الأمل بعلاج المصابين، أصدر مجلس الأمن القومي قانونا يسمح بالقتل الرحيم عوضًا عن جعل المريض يتعذب من دون وجود ما يوقف هذا العذاب، هل هذه وحشية يا دكتور نور؟»

- «أنا أعلم أن الوضع خطير للغاية، لكن يجب أن تدركي أن الفتى تحمل أكثر مما يستطيع أيّ شخص»

- «لم تنته الحكاية بعد يا دكتور، قبل ثلاثة أسابيع تعرضت مدينة آرتش آنجل إلى وباء البكتيريا الخارقة، لقد انتشر في مياه الشرب، حين أدركنا الأمر كان الوباء قد انتشر بسرعة جنونية، لهذا قمنا بعزل المدينة وقطع جميع وسائل التواصل إلى الخارج حتى لا يصاب العالم بالهلع، هل أنت مدرك بأن كل سكان هذه المدينة هم في عداد الموتى يا دكتور نور إن لم نجد الترياق؟»

- «كيف؟ كيف حصل هذا؟ لم تصاب مدينة بأكملها مرة واحدة؟!»

- «لقد خرجت منظمة إرهابية وتبنت مسؤوليتها عن تلك الأحداث»

قالت لمساعدتها أولغا:

- «أرجو أن تشغلي فيديو ملائكة الموت الأسود!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ضغطت أولغا عدة ضغطات ثم وضعت جهاز اللوح المحمول أمامي، كان هناك شخص ذو جسد ضخم الجثة يرتدي زي أطباء الطاعون في القرون الوسطى ومعطفا أسود اللون!

قال بصوت مخيف:

- «أعزاءي البشر، نحن ملائكة الموت الأسود، نحن هنا لنحرر البشرية من مستقبل مظلم كتب لها، لهذا لا داعي للخوف مناء في البداية يجب أن تدركوا أين تتوجه البشرية...»

تغير المشهد وأصبح بالأبيض والأسود لمدينة مصغرة للفئران..

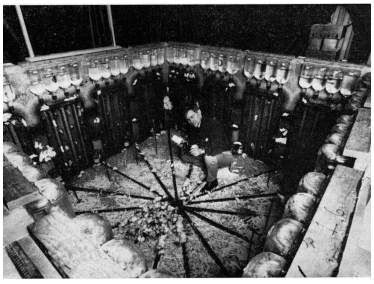

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

«هناك تجربة فريدة قام بها العالم جون كالهون في عام 1968، تلك التجربة المسماة بالكون 25 (universe 25)، هذه التجربة جعلتنا ندرك المستقبل المظلم القادم، لهذا استمع جيدًا لما حدث فيها، قام العالم جون بصنع جنة للفئران، مدينة فيها كل ما تشتهي هذه القوارض، من طعام وماء وفرص غير مقيدة للتكاثر، من دون وجود مفترسات أو أمراض، وتوفير درجة حرارة مثالية للفئران على عشرين درجة مئوية، يوتوبيا مخصصة للفئران، ووضع في هذه الجنة القليل من الفئران، لكن ما حدث بعد عامين في يوتوبيا هذه كان خارجا عن التوقعات!

بعد عامين وصل عدد الفئران إلى ألفين ومئتين في المدينة التي تتسع لثلاثة آلاف فأر، شعرت الفئران بالكثافة السكانية وأصبحت تجمع الطعام وتخبئه عن الآخرين، بعد ذلك بدأت تتصرف بشكل غريب، وبدأت الذكور منهم تتصارع وتقتل بعضها البعض، وتأكل لحم الفئران المهزومة بالرغم من توفر الطعام! وأصاب الإناث حالة عدائية وتوقفوا عن رعاية أطفالهم، وعوضًا عن رعايتهم كانوا يأكلونهم لتصل الوفيات في الفئران الصغيرة إلى أكثر من 95%.

فئة من الفئران الضعيفة اختبأت وأصبحت تخرج بسرعة فقط لأخذ حاجتها من الطعام والشراب، استمرت التجربة إلى أن اقترب الفئران من أن يموتوا أجمعين، ورغم من محاولة كالهون حينها من عزل المجموعات، إلا أن سلوكيات العنف لم تتغير وماتت كل الفئران في النهاية!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ثم عاد المشهد إلى الرجل الذي يرتدي زي أطباء الطاعون وأكمل:

«ألا يشبه ذلك ما يحدث الآن مع البشر، لقد وصلت البشرية إلى أعداد هائلة، وبدأت بعض الدول تجمع الطعام وتخبئه عن دول أخرى، على مستوى فردي.. نحن نشاهد على شاشة التلفاز أولئك الذين يعيشون في مجاعات بينما نتناول وجبة طعام أكثر من حاجتنا دون أن تهتز شعر لدينا!

العنف والجريمة في ازدياد، فرص العمل تقل، الأسعار ترتفع بجنون، كل هذا مؤشرات لنهاية مأساوية قادمة للبشرية.. منذ 20 عاما بدأنا بالعمل في الخفاء، وقد أتينا نحن ملائكة الموت الأسود لإنقاذكم ولنشر العدل والمساواة، لقد جئنا لنضمن حياة أفضل للبشر وهذا يتطلب تضحيات، يتطلب أشخاصا مستعدين لحمل وزر قتل بعض الأرواح لمصلحة أرواح أخرى، نحن لسنا أشرارًا، بل ملائكة مستعدين أن نخطو خطوات في الجانب المظلم نحو الجحيم حتى يعيش البقية في نعيم.

فيما مضى.. اقترب العالم أن يصل إلى نهايته الحتمية في العصور الوسطى، لكن الموت الأسود (الطاعون) قد أنقذ البشرية من نهاية حتمية، وقبل ذلك قامت الإنفلونزا الإسبانية، الملاريا، التيفوئيد، والسل وغيرها من الأمراض المعدية بقتل ملايين البشر لتحد من كارثة زيادة أعدادهم. لقد أوجد الخالق كائنات دقيقة الحجم لا نراها لتكون هي ما تعادل الحياة على الأرض ولتمنع حدوث الكارثة المتوقعة. فكر في الموضوع.. البكتيريا بأنواعها المختلفة هي أكثر الكائنات الحية عددا على سطح الأرض، ويفوق عددها عدد باقي الكائنات الحية بخمسة

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ملايين مليار مليار مرة كما أنها وجدت على الأرض قبل أيّ كائن حي آخر منذ أكثر من ٦ مليار عام، والبشر وجدوا منذ أقل من مليون عام فقط!

تخيل أن تأتي بضع كائنات من الفضاء وتبدأ بقتلك وإعلان أن الأرض لها! ماذا ستكون ردة فعل البشر؟! لقد قام البشر بتحدي البكتيريا وصنعوا أدوية لتقضي على تلك الكائنات دقيقة الحجم، في النهاية أساء البشر استخدام أدويتهم وتطورت البكتيريا وأصبحت لا تتأثر بأسلحة البشر، ونحن ملائكة الموت الأسود سوف نساعد هذه الكائنات المتطورة على الانتشار حتى تعود موازين الحياة على الأرض إلى نصابها!

لقد نشرنا أول عينة من البكتيريا الخارقة في مدينة آرتش آنجل في روسيا قبل أيام وسنقوم بنشر المزيد إن لم تلب السلطات طلباتنا في أقرب وقت، سوف تعاني المدينة رغم أننا لم نطلق سوى القليل مما في جعبتنا من أنواع البكتيريا الخارقة»

انتقل المشهد لمجموعة من الصواريخ ثم أكمل الرجل:

«هذه الصواريخ تحتوي على ما يكفي لإصابة دولة بأكملها بأنواع لا حصر لها من البكتيريا الخارقة، إن حاولت أيّ جهة مقاومتنا، فسوف نحرص على أن تنال عقابنا»

أوقفت فيرونيكا الفيديو، وقالت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لقد تم بثّ هذا في إحدى القنوات الروسية المشهورة، استطعنا أن نوقف القناة من إكمال البث حتى لا يصيب العاقة الهلع..

إن سكان مدينة آرتش آنجل مصابون بالهلع ولا يعرفون ما يحدث لهم، المستشفيات امتلأت فيها بشكل لم يحصل على مدى تاريخ هذه المدينة، أخبرناهم بأن وباء جديدا قد انتشر ويجب الالتزام بالحجر الصحي إلى أن يتلاشى، وأن الصبر هو العلاج الوحيد الحالي، لكنها كذبة، فلن يشفى أحد وسيموت المصابون موتًا بطيئًا، والبعض أدرك هذا وحدث حالات شغب انتهت بموت الكثيرين، ومن يموت نقوم بحرقه! نحن ملزمون بحرق الجثث حتى لا ينتشر المرض بشكل أكبر»

يا للرعب، تذكرت الرجل الذي سقط على الأرض وكان رجال فيرونيكا يحرقونه..

- «لم لم تحققوا مطالبهم؟ أليست حياة البشر أهم من أيّ شيء آخر؟»

«هذا لأن مطالبهم غير قابلة للتحقيق، هذا ما قاله رئيس هيئة الدفاع، دعني أرك المقطع الآخر الذي أرسلوه»

شغلت فيرونيكا فيديو آخر على اللوح المحمول، خرج نفس الشخص ذو الصوت المخيف:

«تستطيعون إنقاذ سكان آرتش آنجل وإيقاف البكتيريا من الانتشار، هذا إن حققتم مطالبنا في فترة لا تتعدى الشهر، يجب على جميع رؤساء الدول التنازل عن الحكم لملائكة الموت الأسود، أولئك من يرفضون هذا فقد حكموا على شعبهم بالموت. بعد هذا وفي كل عام سيتم التضحية بعشرة في المئة من سكان الأرض بشكل عشوائي وبطريقة رحيمة جدًا

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لا ألم فيها، ليعيش ما تبقى في راحة وأمان! بعد الموافقة، سنعالج ١٠ آلاف شخص مختارين من قبلنا من المصابين، في النهاية نحن ملائكة، ولا نريد سوى الخير للبشر»

قلت بصوت مرتجف:

- «ما هذا السخف؟ يريدون أن يحكموا العالم؟» قالت فيرونيكا وهي تصك أسنانها بغضب:

- «أجل، سخف، لكنهم يملكون سلاحًا قادرًا على لي ذراع العالم وتحقيق ذلك»

- «كيف حصلوا على كل هذه البكتيريا الخارقة؟!»

- «الأهم يا دكتور نور هو كيف حصلوا على المصل؟ لقد كان المختبر في غواصة الإعصار هو المختبر الوحيد القادر على صنع المصل! لم نجد إجابة بعد لهذا»

- «أعتقد أنه من الحكمة أن تتنازل المدينة على الأقل لهم! سوف يعالجون ١٠ آلاف شخص..»

قالت وقد ضربت بيدها على الطاولة:

- «١٠ آلاف لا تشكل سوى اقل من ٧٪ من سكان المدينة هنا، هذا لن يغير حقيقة أن ما يحدث هو إبادة جماعية ظالمة للمتبقين!»

- «٧٪! لو علم الناس بذلك سينتهي الأمر بحرب أهلية للتخلص من التنافس على الترياق»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أجل، لهذا قمنا بقطع بث المقطع»

- «لكن لم هذه المدينة بالذات؟»

- «لقد تساءلت عن ذلك العديد من المرات، على الأغلب هذه المنظمة تعلم عن الأبحاث السرية التي قمنا بها في الغواصة وتعلم أن نقطة الالتقاء وإكمال البحث سيكون في المختبر هنا؟ نحن هنا خط الدفاع الأخير من هذه البكتيريا»

فكرت في اسم المنظمة قليلا، ملائكة الموت الأسود.. يا له من اسم! الموت الأسود هو الطاعون والزي الذي يرتدونه يعود إلى الأطباء الذين كانوا يعالجون هذا المرض البكتيري الذي قتل ثلث سكان أوروبا في العصور الوسطى، هناك العديد من الرموز هنا.. لهذا قلت:

- «هل من الممكن أن السبب هو اسم المدينة؟ آرتش آنجل والتي تعني الملاك الأعظم، قد تكون رسالة مبهمة من ديانة ما بأن ملك الموت قد انقلب على الملاك الأعظم لينقذ البشرية»

- «هذا ممكن أيضا!»

- «من الواضح أنهم يقصدون في النهاية بأنهم سوف يقتلون الكثير من البشر بالبكتيريا الخارقة كما حصل حين انتشر الطاعون، لكن ما رأيّ رئيس هيئة الأركان ورئيس دولتكم في كل هذا؟»

تنهدت فيرونيكا وقالت:

- «أعتذر، هذه أمور سرية لا أستطيع الإفصاح عنها، لكنهم كادوا يقصفون المدينة حتى ينهوا المشكلة لولا تدخلي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا أستطيع أن أصدق أن كل هذا حدث في الأسابيع الماضية؟ إلهي! إلى أين يتجه العالم؟!»

- «أخبرني يا دكتور نور، بعد أن علمت كل هذا، أترى أننا عديمو الأخلاق؟ أترى أنه لو أكملنا التجارب على غابرييل فنحن أوغاد لا يحترمون الاتفاق؟»

قلت وأنا أتعرق وأشعر بالحيرة:

- «أنا أعلم أن الأمور صعبة، لكن..»

- «لكن؟! هل ما زلت قادر على قول لكن بعد كل هذا؟! انتظر»

أخرجت هاتفها وبحثت لدقيقة ثم وضعت هاتفها أمامي، كان فيديو لامرأة تبكي أمام حاجز يقف أشخاص ببدلات واقية يحملون مسدسات ويمنعون المرأة من الدخول وهي تدفعهم محاولة أن تخرج بينما تبكي وتصرخ:

- «أريد رؤيتهم، أريد أن أرهم، لا يحق لك أن تمنعوني، أريد أن أرى أطفالي، أنا أعلم أن هناك خطبا ما، أريد أن أرهم قبل أن أموت»

قالت فيرونيكا:

- «هذه شاسا كوفاليف، ممرضة من مدينة مجاورة وتعمل في مستشفى المدينة، هي ليست من السكان هنا، كانت ترجونا أن نخرجها لترى ابنتيها لمرة واحدة وأخيرة أو على الأقل أن تتمكن من التحدث معهما لكننا رفضنا، لم تخبرهم بأنها مصابة بتلك البكتيريا اللعينة، إنها الآن في إحدى غرف المستشفى عاجزة عن الحركة بينما تتحلل بالتدريج وقد

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

فقدت جزءا من ذراعها، أخبرني يا دكتور نور، ماذا ستفعل لو كنت مكاني؟»

عجزت عن الرد، أعلم أن الأمور سيئة لكن لم أتوقع أنها قد وصلت إلى هذه الدرجة، لا أريد لأحد أن يموت في المقابل لا أريد أن يعاني غابرييل المزيد، يا لها من معضلة..

- «هناك المزيد.. الناس يقتلون من يحبون ويقتلون أنفسهم ليهربوا من العذاب في الخارج يا نور، الناس تموت ببطء والكل ينتظر النتائج منا، نحن آخر أمل لمن تبقى حيًا منهم»

لوهلة رأيت الدموع في عيني فيرونيكا، أدركت صعوبة الموقف الذي هي فيه وأدركت أنها نقية القلب!

- «أخبرني.. ماذا ستفعل يا نور لو كنت في مكاني؟ هيا أجبني!»

اللعنة، أنا لا أعرف..

هذا صعب للغاية...

أنهم يريدون رؤية النتائج..

وما تبقى من نتائج هو أنا وغابرييل..

لحظة.. سأخبرهم بأن غابرييل أعطاني المصل؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

إن فعلت هذا.. هل سيتركون غابرييل وشأنه وسيجعلون مني فأر تجاربهم؟ رغم أن هذا مخيف لكن لا مانع لدي إن كانوا سيتركونه بالفعل، في المقابل أعرف أن غابرييل لن يقبل بأن يتركني ويذهب؟

- «إما أن ننجو معًا أو نموت معًا»

هذا قرار صعب للغاية..

أنا وغابرييل نمتلك في دمائنا ما تبقى من نتائج تجارب غواصة الإعصار! وبالفعل أن أخفي هذه الحقيقة هي أنانية مطلقة! قد أكون أنا أمل غابريل وأمل المدينة بالنجاة..

لهذا سوف أخبرهم.. سامحني يا غابرييل! سأجعلهم يخبرونه بأنني مت على أمل أن يرحل وينساني..

- «دكتورة فيرونيكا، في الحقيقة أنا أخذت المصل! هل من الممكن أن تقوموا بالتجارب علي وتتركوا الفتى في حال سبيله؟!»

وقفت فيرونيكا وقالت:

- «هذه شجاعة منك يا نور، أنت تعلم أن التجارب ستكون مؤلمة وقد تؤدي لموتك رغم ذلك تضحي بنفسك من أجل ذلك الشاب، أعترف بأنك أثرت مشاعر الاحترام لك، في الحقيقة لقد أدركنا أنك قد أخذت المصل منذ أن قمنا بفحصك من إصابتك بالبكتيريا الخارقة، لقد كنت تسير في خارج المدينة من دون قناع تنفس، رغم ذلك لم يكن هناك أيّ إصابة أو أعراض..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لكن.. للأسف أنت لا تصلح للقيام بالتجارب!

لست صغيرا بالعمر ولم تعد عمليات الأيض والبناء في جسدك تعمل بشكل جيد كشاب مثل غابرييل، أيّ أنك لن تكون قادرا على تحقل التجارب وستموت بعد تجربة أو اثنتين على أقصى تقدير»

- «ماذا عن استئصال المصل من دمائي؟!»

- «هذا مستحيل حتى لو قمنا بتصفية كامل دمك، المصل اندمج في الحمض الريبوزي داخل خلايا جسدك.. للأسف يا دكتور نور، الحل الوحيد لنا هو غابرييل، أنا أتفهم أنه بمثابة ابن لك، لكن هذه تضحية لأنفاذ مئات الآلاف من الأرواح»

اللعنة.. أنا لن أضحي بغابرييل مهما حدث!

فكر يا نور كيف ستحل هذه المعضلة..

حياة فرد يهمك أمره جدًا مقابل حياة مئات الآلاف الذين لا تعرفهم!

بالطبع أنا لا أريد أن يموت أحد من كلا الطرفين!

يا لها من ورطة!

لحظة!

لا يوجد أيّ داع للتضحيات، من قال أننا آخر من تبقى من نتائج البحث؟!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

يوجد هناك ما سوف يساعدهم!

- «دكتورة فيرونيكا، أنتم بحاجة لرؤية نتائج البحث، أليس كذلك؟»

- «هذا ما كنت أقوله منذ البداية!»

- «هناك حل سوف يرضي جميع الأطراف، هل سوف تتركونا في حال سبيلنا إن كان كافيا لإيجاد المصل؟»

- «بالطبع إن حصلنا على النتائج فلا حاجة لوجودكما هنا!»

- «حسنًا، الحل يا دكتورة فيرونيكا موجود في كبسولة الطوارئ التي أتيت بها إلى هنا، إنها موجودة الآن على الشاطئ، في داخلها يوجد قرص التخزين المستخدم في تسجيلات كاميرات المراقبة، وهو مثبت على شاشة كبسولة الطوارئ، وفيه كل قام به الأطباء في المختبر ونتائج الأبحاث»

قفزت فيرونيكا من مكانها وأشارت لأولغا:

- «سأذهب مع الرجال الآن لتفقد صحة ذلك، أولغا.. خذي الدكتور نور للعيادة واطلبي من أندري أن يعالج جراحه وإصاباته»

ثم غادرت على عجل، قالت لي أولغا:

- «أرجو أن تتبعني يا دكتور نور».

تبعتها وغادرنا إلى العيادة..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

في نهاية ذلك اليوم، كنت جالسا على السرير وقد ضمدوا جراحي، أخبرني الطبيب أندري أنني أعاني من جفاف ونقص في بعض العناصر الغذائية المهمة نتيجة لعدم تناولي طعامًا متنوعًا الفترة الماضية، وقد أعطاني محاليل وفيتامينات لعلاج ذلك. ثم طلب لي بعض الطعام والماء، لم استطع التوقف عن القلق على غابرييل، بعد أن أغمي علي لا أدري ما حل به، لقد أخبروني بأنه بخير، وحسب نظرتي كطبيب نفسي لفيرونيكا، فهي صادقة للغاية، أدعو الله أن يكون بخير..

***

أنا فيرونيكا زاتسيفان، ولدت في موسكو لعائلة ذات منصب سياسي، منذ أن ولدت وقد كنت خيبة أمل لوالدي، لقد كان يريد أن يحظى بابن يحمل اسم العائلة. لكنه لم ينجح، كان كل من أتى بعدي إناثا، لهذا دربني وعاملني كأني رجل، وكنت أبذل قصارى جهدي لأجعله فخورا بي. كنت أدرس بجد، وأتدرب بلا توقف، حتى تخرجت من الجامعة العسكرية، تخرجت على أنني الأفضل في تاريخ الجامعة، وكان هو يجلس بين الحضور لكني لم أر نظرة الفخر في عينيه.

ذات يوم تشاجرنا وأصر علي أن أتزوج من أحد السياسيين حتى أنجب له حفيدا ذكرا، وبعد مشاجرات عدة، خضعت له، وتزوجت شخصا أكبر مني بكثير، لم يكن زواجا سعيدا وكنت أعامل بقسوة من زوجي، كان يقوم بضربي بشدة لأتفه الأسباب، في النهاية أصبحت حبلى منه، وحين أدرك أنها فتاة، قام بضربي وأنا أرجوه أن يتوقف كي لا يصيب الجنين لكنه لم يتوقف وتابع إلى أن أغمي علي!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

استيقظت في المستشفى وكان الجنين قد مات بسببه!

انتهى زواجي منه بأذى نفسي، ولأنسى الألم أكملت الدراسة العليا وترفعت في مناصب عسكرية بالتدريج، كان هذا المفرّ الوحيد لي، ومع الوقت كنت من النساء القلائل اللواتي وصلن لرتبة ضابط درجة فريق أول بالإضافة لأخذي دكتوراه في الطب، أخبرت والدي في زيارتي الأخيرة له بما حققت، لكني لم أر نظرة الفخر بي لديه! حينها شعرت باليأس، لقد صنعت المستحيل لكن ذلك لم يكن كافيا له! لهذا رحلت ولم أعد له مرة أخرى!

بعد أن اكتشفنا انتشار البكتيريا الخارقة في آرتش آنجل، كنت جالسة على طاولة اجتماعات رئيس هيئة الأركان برفقة عشرة من الضباط من ذوي الرتبة العليا، كان أعلاها أنا والجنرال رافاييل فيدوروفا من بعد رئيس هيئة الأركان، عرض أحد الضباط الفيديو الذي قامت جماعة ملائكة الموت الأسود بنشره، ثم قال:

- «الموقف خطير جدًا يا سيدي، يجب أن نجد حلا قبل أن ينتشر الخبر، أمر كهذا قد يسبب حربا أهلية»

قال رئيس هيئة الأركان:

- «أنتم تعلمون أنه من المستحيل تحقيق مطالبهم، لهذا طلبت من جهاز الاستخبارات الروسي أن يبحث بكل طاقته عن مقر المنظمة، ولم يتوقف الجهاز الاستخباراتي عن العمل من بعد أن أعلنت هذه المنظمة

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

تبنيها للحادث، لم يخذلني جهازنا الاستخباراتي المتفوق ووجدوا مقر تلك المنظمة، أريد اقتراحات لما سنفعل في الخطوة التالية؟»

قال أحد الضباط بغضب:

- «إن وجدتم مقرهم، لم لم نهجم عليهم بعد؟!»

قال رئيس الهيئة:

- «هذا لأنهم يحتجزون المصل كرهينة وقد يتلفوه في حال أن رأوا إخلالًا في المهلة التي أعطونا إياها، بالإضافة للصواريخ المعبأة بالبكتيريا الخارقة تلك، هم قادرون على إطلاقها إن قمنا بشن هجوم عليهم!»

قال ضابط آخر:

- «اقترح أن نقصف مقر العدو بقنبلة نووية تذيب القنابل وتحرق كل تلك البكتيريا اللعينة»

قلت معترضة:

- «ماذا عن سكان آرتش آنجل؟»

- «سوف نقصفها حتى لا ينتشر المرض ونوقف معاناة سكانها، وسنضع اللوم على تلك المنظمة الإرهابية»

قال رئيس هيئة الأركان:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «يبدو حلًا منطقيًا وسريعا لي، كم عدد الأشخاص الموافقين على ذلك؟»

رفع معظم الحاضرين أيديهم، وقفت في غضب وقلت:

- «لا أظن أن سكان آرتش آنجل موافقون على هذا!» قال رئيس هيئة الأركان:

- «هل لديك حل آخر؟» جلست وقلت:

- «لا، لكن لا بد من وجود حل آخر» قال الضابط رافاييل:

- «الحل الآخر المتبقي ذو أمل ضعيف بالنجاح، يجب أن يذهب أحد القادة ويتابع العمل مع فريق في مركز آرتش آنجل ويجب أن يجد العلاج قبل نهاية المدة» قال رئيس هيئة الأركان:

- «هذا ممكن لكنه فيه مخاطرة كبيرة، هناك احتمالية أن يصاب أفراد الفريق بالعدوى، وقد لا يجدون العلاج خلال الثلاثة أسابيع المتبقية، إن فشلوا، فسوف نضطر لأن نقصف آرتش آنجل وهم فيها، هل من متطوع يرغب بالقيام بهذه المهمة الانتحارية»

لم يرفع أحد يده، رفعت يدي وقلت بعزيمة:

- «سأذهب أنا لأتابع تلك الأبحاث، أرجو أن تماطلوا ما أمكن مع تلك المنظمة الإرهابية»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قال الضابط رافاييل:

- «أنا أدعم الدكتورة فيرونيكا، وأرى أن سكان آرتش آنجل يستحقون فرصة»

قال رئيس هيئة الأركان:

- «طالما أن أفضل ضابطين لدي موافقين على هذا فأنا موافق، لكن سوف نتبع بروتوكول الحماية من الأمراض المعدية الخطيرة، التهاون يعني موت فريقك والبشرية»

- «مفهوم»

لقد وافقت على تعريض حياتي وحياة فريقي للخطر لكي نجد المصل مقابل أن يعطونا الوقت، وقد بدأنا العمل بالفعل. لم يكن الأمر سهلا، البشر يموتون أمامنا ويحملوننا المسؤولية وآخرون يضعون أمل النجاة على أعناقنا، لا يوجد ما يساعد من أبحاث لأن نتائج الأبحاث المهمة اختفت مع اختفاء غواصة الإعصار، وعمليات البحث عن الغواصة لم تُجدي نفعًا..

هناك من انسحب من أعضاء الفريق وهناك من لم يتحمل شناعة المنظر من وفيات وتشوهات ومعاناة، كنت أخبرهم بأننا الأمل الأخير لمن تبقى، وقد بقي القليل من الفريق معي! اليأس كان يسيطر علينا وكدنا أن نستسلم، لكن للقدر خطط أخرى، وجدنا رجلا من دون قناع تنفس يرافقه مسخ غريب في أحد شوارع آرتش آنجل، قبض رجالي عليهم.. في النهاية تبين أنهما الأمل الذي كنا نبحث عنه! كانا الناجين

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الوحيدين من رحلة البحث عن المصل في الغواصة، وقد أحضر نور القرص الصلب الذي كان متصلا بكاميرات المراقبة، لقد وجدنا كل نتائج الأبحاث فيه!

كل خطوة خطاها العلماء في الغواصة محفوظة في هذا القرص، قمنا باجتماع مع ما تبقى من الفريق، يا لجمال ذلك الشعور، حين تشعر أنك قادر على فعل المستحيل بعد أن اقتربت من فقدان الأمل! كنا نشاهد بحرص كل النتائج ونسجل كل شيء!

قال ستيف أحد العلماء من فريقي وهو يبكي سعيدًا:

- «بوجود هذه المعلومات نستطيع استخلاص المصل في غضون أربعة أيام، أشعر بسعادة لا توصف، نستطيع إنقاذ سكان آرتش آنجل أخيرا»

- «أجل، أخيرا نستطيع إنقاذ الجميع»

قلتها وأنا أفكر في أسئلة لم أجد إجابات لها بعد!

كيف تمكن جماعة ملائكة الموت الأسود على الحصول على المصل؟! إن كان من نجا من مهمة الغواصة هم نور وغابرييل، فهل قاما بلقاء تلك المنظمة قبل أن يأتوا إلى هنا؟ هناك فترة أسابيع بين الوقت الذي فيه مات من على الغواصة والوقت الذي أتى به إلى هنا! حتى أجيب عن هذه الأسئلة بقيت طوال الليل مستيقظة وأنا أراجع مشاهد الكاميرات في القرص الصلب! وبين عشرات المشاهد، وجدت أن

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

إحدى كبسولات الطوارئ غير موجودة بعد حادث التسرب، هناك من هرب بها!

لكن لسبب ما، هناك أجزاء تالفة في القرص الصلب من الجزء المتعلق بالأحداث بعد ميل السفينة..

***

- «دكتور نور، الدكتورة فيرونيكا تريد أن تراك»

كنت نائمًا في عيادة المركز، حين أيقظتني أولغا..

تبعتها إلى غرفة اجتماعات تحتوي شاشة عملاقة، كانت فيرونيكا في الغرفة تراقب الشاشة باهتمام، تلفتت نحوي بعينين حمراوين، يبدو أنها لم تنم منذ يومين! قالت:

- «تفضل يا دكتور نور»

جلست على أحد المقاعد وجلست أولغا بالقرب من الدكتورة فيرونيكا، التي أكملت:

- «أنا بصراحة أشكرك بشدة يا دكتور، القرص الصلب هذا كنز ثمين ويحتوي على نتائج جميع التجارب التي حدثت، هذا سوف يساعد في عملية إيجاد المصل، لكن لدي سؤال مهم بحاجة أن تجيبني عليه»

- «تفضلي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قامت بتشغيل أحد المقاطع، مشهد من غرفة كبسولة الطوارئ، قالت:

- «انظر هنا، أنت قد هربت بكبسولة الطوارئ هذه، هل كنت مدركا أن هناك كبسولة نجاة أخرى هنا مفقودة»

«لا، لم أدرك هذا!»

- «هناك شخص استطاع الهرب قبلك من الغواصة، هناك مقاطع تالفة للأسف بعد مشهد دوران الغواصة»

- «قد يكون ذلك بسبب أشعة الشمس التي تعرض لها القرص أو قد تكون مياه البحر قد وصلت له»

- «على كل حال المسؤول التقني يرجح أن السبب هو تثبيته مع شاشة كبسولة الطوارئ، وأن كهرباء الكبسولة غير منتظمة وغير مخصصة لذلك، لكنه قال أنه قادر على إصلاح هذا الجزء ويحتاج لوقت..»

قاطع كلام فيرونيكا صوت زئير حاد وصراخ من غرفة قريبة تبعتها أصوات انفجارات هرت الأرجاء، قلت:

- «غابرييل!»

خرجنا لخارج الغرفة، كانت الجدران محطّمة والجنود يطلقون النيران بلا توقف على غابرييل، هناك من سقط على الأرض. لا بد من أنه يظن أنني مت ولهذا قد خسر نفسه في نوبة غضب! قفزت في وسط الساحة وأنا أصرخ على الجنود:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أرجوكم توقفوا، إنه خائف فقط!»

لكن لم يستمعوا لي، أصابتني طلقة في ذراعي من أحد الجنود وصرخت فيرونيكا:

- «من سمح لكم بإطلاق النار، فليتوقف الجميع»

جررت نفسي نحو غابرييل، وفيرونيكا تصرخ علي

- «أيها الأحمق، ماذا تفعل؟!»

كان غابريل يحطم الجدار:

- «غابرييل، توقف يا فتى، عُد إلى وعيك»

نظر نحوي، ثم بدأ بالركض بسرعة جنونية باتجاهي، إنه لم يعد يعي من أكون. سوف يقتلني لا محال! أمسكني وألقى بي في الهواء، سوف أموت على يدي غابرييل!

لكنه قفز وأمسك بي ثم احتضنني بقوة، لقد كان سعيدا:

- «يكفي يا غابرييل، لقد اختنقت، أنت تنسى قوتك»

أنزلني وزأر وقد أنزل رأسه كأنه يعتذر، نظرت إلى عينيه التي عادت إلى نظرة الأمل المتقد، ربت على رأسه وقلت:

- «لا تقلق، أنا بخير يا صديقي، لكن أشعر بأن حجمك قد ازداد!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

اقتربت فيرونيكا وقالت:

- «وجوده هنا خطر على قاعدتي، والواضح أنه سيكون من الصعب تفريقكما عن بعض، لهذا سوف أقوم بمرسلة مركز الأمن القومي حتى تخرجا من هنا في أسرع وقت، لن أتحمل خسارة المزيد من الرجال بسبب نوبات غضبك يا غابرييل!»

أخيرا استطعت أن أنام مرتاح البال، سأعود إلى مصر قريبا، وسأخذ غابرييل معي، لقد بدأت الأمور تتحسن..

***

في مساء اليوم، سُمح لي بإجراء مكالمة إلى أرض موطني، قالت أولغا:

- «لا بد من وجود شخص ينتظرك في بلادك، لقد علمت السيدة فيرونيكا أن هاتفك تحطم في أحداث الغواصة، وسمحت بأن تجري مكالمة واحدة شرط ألا تفصح عما يحدث هنا في آرتش آنجل أو عن أيّ شيء يتعلق بالبكتيريا الخارقة»

- «هذا جميل، لكن دعيني أفكر فمن سأستخدم هذه المكالمة الثمينة من أجله»

أجل، مع من سأتحدث؟ من ينتظرني في البلاد سوى مرضاي؟ هل أتحدث مع علي المصاب بالقلق المبالغ به؟ أم أتحدث مع أسماء المصابة بالهستيريا والفصام؟ بالطبع لن أهدر هذا المكالمة في متابعة مرضاي!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لم لا تتحدث مع زوجتك؟» قالت أولغا..

- «لقد توفيت منذ عشرات الأعوام»

- «أعتذر!»

- «لا بأس»

لا زلت لا أعلم مع من أتحدث؟!

هل أتحدث مع جاري رائد؟ لا أعلم إن كان حيًا أم ميتًا، فأنا لم أره منذ زمن، قد تكون هذه فرصة طيبة لأحسن العلاقات بيننا! لا لن أهدر هذه المكالمة على هذا!

ماذا عن جارتي المطلقة سعاد؟ إنها تحاول التقرب مني وكانت ترسل الطعام لي من وقت لآخر رغم أنني أخبرتها أنني غير مستعد للارتباط من بعد زوجتي رحمها الله!

مع من سأتحدث يا ترى؟

نظرت نحو غابرييل، أجل.. لقد عرفت! سأتحدث مع الدكتور رامي إبراهيم!

طلبت من أولغا أن تبحث عن رقم هاتفه في الإنترنت وقامت بإيجاده وإعطائه لي، هو من أولئك البشر النادرين الذين ما زالوا يستخدمون هاتفا أرضيا عوضا عن هاتف محمول، الشيء التقني الوحيد الذي تقبل

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

اقتناءه عن مضض هو جهاز الحاسوب، رن الهاتف، رد علي صوت أنثوي رقيق:

- «ألو»

- «مرحبا، أنا الدكتور نور، هل الدكتور رامي موجود؟»

- «أجل، إن والدي موجود، لحظة واحدة»

ثم بدأت تنادي:

- «بابا، العم نور على الهاتف»

بعد قليل سمعت صوت رامي:

- «شكرًا يا رشا، عودي إلى دراستك الآن»

ثم قرب السماعة وبدأ بالتحدث معي:

- «نور؟ نور كريم؟!»

- «أجل يا رامي!»

- «أنت ما زلت حيا؟»

- «إذن علمت عن غيابي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «بالطبع علمت، عيادة الدكتور نور الشهير مغلقة من أكثر من شهرين وسبب اختفائه مجهول، هذا العنوان قد كتب في إحدى الجرائد المحلية وكانت صورة من ورقة قد طبعتها ووضعتها على باب عيادة موجودة في هذا الخبر، لقد قلت أنك ستعود في موعد قد مضى عليه أكثر من شهر يا صديقي، أخبرني، هل كل شيء بخير؟»

- «إنها قصة طويلة ومعقدة، سأخبرك بها فيما بعد»

قال بقلق:

- «إذن أنت سجين كما توقعت؟ هل قمت بمخالفة أحد القوانين؟ لطالما كنت شخصية الخارج عن القانون بين رفقانا»

- «توقف عن استنتاجاتك هذه، أموري بخير ولا تقلق، لقد اتصلت كي أستشيرك عن علاج صديق عزيز علي، لقد حصلت له بعض التشوهات العميقة، هل من الممكن أن يعالج؟»

- «هذا يعتمد على مسببات هذا التشوه وفترة التعرض لهذه المسببات»

- «للأسف لا استطيع الإفصاح عن هذا على الهاتف»

- «إذن أنت سجين سياسي! كما توقعت»

- «توقف يا رامي عن تحليلاتك التي لا صحة لها، أعدك أنني سأخبرك بكل شيء حين أعود لمصر»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا بأس، مهما كان الضرر فالله خلق علاج لكل شيء، اجلب صديقك هذا وسأفعل ما في وسعي لعلاجه»

- «لقد طمأنت قلبي»

ثم تحدثنا قليلا عن المستجدات التي قد حصلت في الشهرين الماضيين في مصر، في النهاية شكرته وأنهيت المكالمة.

***

أنا فيرونيكا زاتسيفان، استيقظت منهكة القوى، لقد كنت أعمل بلا توقف في الأيام الماضية، سعلت عدة سعلات، أعتقد أنني أصبت بنزلة برد..

ذهبت لتناول وجبة الإفطار مع فريقي، سعل ستيف، ثم تبعه أحد الأطباء بذلك، لاحظت أن صوت السعال يتصاعد بين الحاضرين، لا يمكن أن يكون الجميع قد أصيبوا بنزلة برد بالوقت نفسه، خطر في ذهني خاطر مرعب، صرخت:

- «فليذهب الجميع لفحص الإصابة بالبكتيريا الخارقة»

رد ستيف:

- «لماذا؟ »

- «أعتقد أن الكل مصاب»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لكن.. هذا مستحيل! أنظمة الحماية في المركز متقدمة وتمنع دخول العدوى كل الأجهزة في المركز تقوم بتنقية المركز من البكتيريا»

قال الطبيب أندري:

- «دكتورة فيرونيكا، الجميع ملتزم ببروتوكولات الأمراض المعدية الخطيرة بشكل تام!»

قلت:

- «فقط افعلوا ما أقول!»

بعد ساعات من الفحوصات تبين أن كل أعضاء الفريق مصاب بعدوى متقدمة من البكتيريا الخارقة، قال ستيف:

- «ما معنى هذا يا فيرونيكا؟»

- «هذا يعني بأن هنا خائنًا بيننا، شخص قام بتسميم مياه المركز، لقد أصبنا جميعنا بالبكتيريا اللعينة!»

قال أندري وهو يرتجف:

- «نحن مصابون بأنواع متقدمة من البكتيريا الخارقة وحالنا أسوأ من الموجود عند السكان، سوف نموت، سوف نموت في أيام قلال»

- «تماسك يا رجل، نستطيع صناعة المصل قبل ذلك، نحن وضعنا حياتنا على المحك منذ البداية ونعلم أن هناك مخاطر، لن نستسلم الآن!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قال ستيف: «لا أظن أن الوقت كاف يا فيرونيكا»

قلت: «يجب أن نحاول حتى النهاية.. أليس هذا ما اتفقنا جميعا عليه؟»

أندري: «لكن من؟ من سوف يخون الفريق بعد كل ما مررنا به؟! جميعنا هنا نثق ببعضنا البعض»

قلت: «لا أعلم يا أندري، أنا لم أعد أفهم ما الذي يحدث هنا؟»

صرخ ستيف في عصبية هستيرية:

- «ذلك الطبيب العربي، هو الشخص الوحيد الذي لا نعرفه جيدًا» قلت: «لقد شعرت بأنه صادق، لكن بعد أن رأيت حالة عدم الاستقرار التي كان يعانيها في الغواصة، فلم أعد واثقة من حدسي نحوه»

قالت أولغا:

- «سيدتي، لا أجد تفسيرا لكونه الوحيد الذي نجا من دون إصابات أو تشوهات من بين كل من كان على الغواصة؟ وأين كان في الفترة بعد أن خرج من الغواصة؟ من المحتمل بشدة أنه التقى بأفراد المنظمة، وقام بإعطائهم النتائج!»

قلت: «لنفترض أنه المتسبب، نحن فتشناه بدقة ولم نجد أيّ شيء مثير للشكوك، لا توجد طريقة يستطيع نقل البكتيريا فيها إلى هنا؟!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قال أندري: «دكتورة فيرونيكا، أنت تعلمين أنه يستطيع أن يخبئ مليارات من هذه البكتيريا على رأس دبوس أو في زر مفرغ أو أيّ شيء كهذا مصمم لتخزين البكتيريا»

قلت: «هذا ممكن، لكن لا زال من المبكر أن نثبت التهمة على الدكتور نور، نحن رأينا كبسولة نجاة مفقودة قبل أن يرحل، من الممكن أن من الناجي فيها له علاقة بالأمر»

قالت أولغا: «من الممكن أنه قد أطلق كبسولة النجاة فارغة حتى يبعد أصابع الاتهام عنه»

قلت: «إذن لم قد يعطينا القرص الصلب، إن العلاج موجود فيه؟»

ستيف: «هذا واضح، حتى يبرئ نفسه ويعود بطريقة شرعية إلى بلده من دون أن يثير أيّ شكوك حوله»

أولغا: «أو قد يكون جاسوسًا وقد نال ثقتنا به وهدفه هو القضاء علينا خاصة أنه يمتلك مناعة ضد هذه البكتيريا، هو الوحيد الذي لن يصاب بالعدوى، أليس كذلك؟»

أندري: «ذلك الوغد، أرجو يا فيرونيكا أن تتوقفي عن إعطائه ثقتك، إنه طبيب نفسي في النهاية ويستطيع التلاعب بمشاعرك!»

قلت: «أظن أننا نظلم الطبيب هكذا، سأعطيه فرصة على الأقل أن يدافع عن نفسه، لكن قبل أن أوجهه يجب أن أتحدث مع مايكل» ثم غادرت

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

مسرعة لأتحدث مع مايكل.. المسؤول التقني لأرى إلى أين وصل في إصلاح القرص الصلب!

ولم ألحظ أن الفريق قد انطلق بعدي غاضبًا ليقضي على نور!

***

كنت جالسًا أنا وغابرييل وأنا أحدثه عن مصر، فجأة دخل العديد من الرجال وصرخ أندري علي:

- «أنت تريد أن تقضي علينا أيها الوغد، سوف نقتلك»

أصابني ذلك بالذهول من الموقف، ثم ركض أندري نحوي وبيده مشرط طبي:

- «سوف أقضي عليك!» ل

كن غابرييل وقف أمامه وأمسك يده وأخذ المشرط وألقى به بعيدا، مما جعلهم يتراجعون للخلف!

قال نور:

- «ما الذي يجري؟ ما الذي فعلته لتهجموا علي؟»

صرخ أندري: «أيها اللعين، أتتظاهر بأنك لا تعرف شيئا!»

ثم دخلت فيرونيكا وصرخت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «فليتوقف الجميع، ما الذي تفعلونه! أيّ شخص يعتدي على هذا الرجل سوف يتم سجنه بتهمة الخيانة!»

قال أندري: «لكن..» فيرونيكا: «لا أريد سماع أية أعذار، فليغادر الجميع وليعد كل منكم إلى موقعه، نحن لا نملك الكثير من الوقت ويجب أن نستغل ما نملك منه في صناعة المصل»

غادر الفريق وطلبت مني فيرونيكا أن أتبعها أنا وغابرييل إلى غرفة مغلقة، قالت لي:

- «أعتذر يا دكتور نور عما حصل من رجالي، هناك من قام بتسميم المركز، وقد حدث هذا بعد أن وصلت، وبما أن جميع أعضاء الفريق يعرفون بعضهم البعض بشكل جيد، فأصابع الاتهام كلها توجهت نحوك»

- «تسميم المركز؟! أنا لا يمكن أن أفعل شيء كهذا»

- «أرجو أن تعذر فريقي، الخوف من الموت وفقدان الأمل بعد امتلاكه أعمى بصيرتهم وجعلهم يريدون الانتقام منك! أنا متأكدة أنك لا يمكن أن تقوم بهذا، لكن يجب أن أتعامل مع الأمر بموضوعية بعيدًا عن مشاعري، أحتاج أن تجيب على بعض الأسئلة بكل صدق»

- «حسنا»

***

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

سألتني الكثير من الأسئلة، مثل: «هل قابل أعضاء المنظمة؟ هل كان بحوزته شيء يحتوي البكتيريا الخارقة؟ هل التقى بأحد قبل أن يصل إلى هنا؟»

وكانت إجاباتي هي النفي.. قالت فيرونيكا بعد أن انتهت من أسئلتها:

- «كما أخبرتك، أنا أصدقك يا دكتور نور، لكن يجب أن أقوم بسجنك حتى لا يقوم أحد بالتهجم عليك مجددا»

زأر غابرييل في غضب كأنه يمانع ما قالته، لكن أمسك به وقلت:

- «لا بأس يا غابرييل»

ثم نظرت نحو فيرونيكا وقلت:

- «أنا أتفهم الأمر، لا مانع لدي»

تم سجننا في إحدى القاعات مع بعض الطعام والماء! من المضحك أنني هربت من سجن في أعماق المحيط لأصل إلى سجن في اليابسة، يا لحظي التعس! لو علم الدكتور رامي بهذا فسوف يشعر بالفخر بأن ما توقعه قد حصل! كان غابرييل يشير لي بأنه قادر على تحطيم الباب كي تخرج من هنا، لكنه أخبرته:

- «دعنا ننتظر قليلا»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لمن هم في عمري، يصبح الانتظار تأملًا، راحة للجسد والروح، ووقتا لتنقية الأفكار، لكن في عمر غابرييل كان المال هو المسيطر، كان يتصرف بطريقة مضحكة وكل بضع دقائق كان يحاول أن يلهي نفسه بشيء مختلف، تارة يحاول اللعب بالأنوار، تارة يلعب الرياضة بأثاث الغرفة، تارة ينظر بحنق إلى كاميرة المراقبة ويتوعد من يراقب بالويل، تارة يتلف دهان الجدار ويرسم عليه، وتارة يستلقي على ظهره وينظر إلى السقف في ملل..

كنت أحاول التفكير لم حدث كل هذا الآن؟ لم لم يقم المسبب بتسميم المركز منذ البداية، لم يريد أن يضعني في ورطة؟!

لكن لم أجد إجابة على هذا..

ومر يوم ونصف كاد غابرييل يموت فيها من الملل!

في النهاية فتح الباب، كانت فيرونيكا ويبدو أنها لم تكن على أحسن حال، وجهها مزرق وعيونها ضامرة، سقطت أمامي وقالت بأنفاس متقطعة:

- «نور، لقد اقتربنا.. من صنع المصل.. لكن لم.. لم يعد أحد قادرًا.. على إكمال العمل.. نحن.. بحاجة لك!»

- «لكن أنا طبيب نفسي ولا أملك..»

- «أنت أملنا الأخير!» ثم أغمي عليها، كانت إصابتها متقدمة وتعاني من حمى شديدة جدا!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «غابرييل، احملها واتبعي»

حملها غابرييل وركضنا نحو مختبر الفحوصات، كان الجميع في حال يرثى لها!

- «خذ الجميع نحو قاعة الاجتماعات، سأحاول أن أكمل صنع العلاج»

توجهت نحو الطاولة التي يجرون عليها عملية استخلاص المصل، اللوح المحمول يوجد عليه معادلات كيميائية معقدة وبروتينات وأسماء لم أسمع عنها قط، الأمر ليس سهلًا، فهذا ليس تخصصي، بالإضافة أنني لا أعلم أماكن المعدات والعينات هنا! كنت أتصبب عرقا، لقد أصبح أمل نجاة هؤلاء الأشخاص على عاتقي، ليس هذا فقط، أمل نجاة سكان آرتش آنجل يقع على عاتقي ايضا!

كنت أحاول أن أتمالك نفسي، وأنتقل بين نتائج الفحوصات وملاحظة الأطباء، لا شيء واضح لدي! إن كنت تظن أنه من المستحيل أن تسوء الأمور فأنت مخطئ، خرج نداء من جهاز الراديو:

- «من مركز الأمن القومي إلى مركز آرتش آنجل، هل هناك تطورات صحية لما حصل معكم؟» هل أرد عليهم وأخبرهم، لا بد أنهم على إطلاع لما جرى حتى الآن مع الفريق، أكمل الصوت على الراديو:

- «من مركز الأمن القومي إلى مركز آرتش آنجل، لم لا تجيبون؟ إن كان هناك شخص سليم فليرد!»

أمسكت جهاز الرد مرتجفًا وقلت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أنا الدكتور نور كريم، الجميع هنا أغمى عليه ومصاب بحمى شديدة من عدوى البكتيرية الخارقة»

- «هل الدكتورة فيرونيكا بقربك؟»

- «لا، قد أغمي عليها أيضا»

خرج صوت آخر من المذياع وقال:

- «أنا الجنرال رافاييل، بحسب البروتوكول المتفق عليه سيتم قصف المدينة وقصف موقع العدو»

- «ماذا؟!»

- «دكتور نور.. أنا أتصفح التقرير المخصص عنك، أنت لست روسيا وقد حصل على المصل فيما سبق، لهذا يجب أن تغادر المكان في أسرع وقت، مذكور في التقرير عن وجود شخص آخر معك، غابرييل ماركوس كاستيلو! يبدو أنه كان أحد المتطوّعين في تجربة الغواصة وقد خاض ما فيه الكفاية، اخرجا حالًا، أنا أعلم أن الدكتورة فيرونيكا لن تقبل أن يموت شخص لا علاقة له في هذه المحنة»

- «أرجوك أمهلني بعض الوقت، أعتقد أنني قادر على مساعدتهم»

- «هذه بروتوكولات وأوامر رسمية لا أستطيع تجاوزها، الدكتورة فيرونيكا وافقت على هذا وهي على دراية تامة بأن الأمر قد يصل لهذه الدرجة من الخطورة، إن إصابة الطاقم أسوأ من إصابة السكان، هذا

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

يجعل الأمر شديد التعقيد، البروتوكول ينص أنه في حال سقوط الطاقم الطبي في مناطق الأمراض المعدية شديدة الخطورة، يجب اللجوء إلى تطهير المكان في أسرع وقت»

- «سيدي، إن نتائج البحث ومكونات المصل موجودة أمامي، لقد قطع الفريق شوطًا كبيرا في عملية صنعه، أرجو أن تمهلوني المزيد من الوقت، فترة يومين تكفي كي أكمل صناعة المصل بنفسي!»

- «دكتور نور.. حتى لو قمت بذلك، سيكون الفريق قد مات بأكمله قبل أن تنتهي من المصل»

- «إذن يوم واحد، فقط يوم واحد يكفي»

- «أنت لن تستطيع فعل شيء، هذا تحد أكبر من قدرة طبيب نفسي، غادر أنت وابن ماركوس الآن»

- «اعتذر منك أيها الجنرال.. لكن أنا لن أغادر حتى لو مت هنا!»

- «هذا أمر مباشر، أنت تخالف جنرال عسكري أيها الأحمق، حتى لو نجوت فأنا أستطيع سجنك لمخالفة أوامري»

- «لن أستطيع أن أتركهم للموت، لن أغفر لنفسي هذا أن هربت الآن»

تنهد الرجل وقال: «حسنا، اثنتا عشرة ساعة، سأسمح بإعطائك اثنتا عشرة ساعة فقط وهذا أقصى ما أستطيع فعله، يجب أن تعلم أن هذا

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

من أجل صداقتي التي تجمعني مع فيرونيكا وأنا أقوم بالكثير من التجاوزات هنا، إن اقترب الوقت فغادرا من دون نقاش»

- «لكن هذا لا يكفي!»

- «الأمر بين يديك الآن يا دكتور، هذا ما أستطيع فعله لك، لا زلت أنصحك أن تغادر»

تنهدت: «حسنا، اثنتا عشرة ساعة إذن، سأفعل ما بوسعي لأنقذ الجميع، سوف أبقى إلى النهاية!»

أنهيت المكالمة.. الآن ماذا سأفعل؟!

كنت أقرأ المعادلات وأحاول أن أبسطها، ثم أبحث عن العناصر والبروتينات وحتى عن تلك الأسماء غريبة، أين سأجد هذه الـ Bacteriophages10356؟! الوقت لا يسعفني لفعل هذا وحدي، إلهي يجب أن أسرع، أين سأجدها بين آلاف الأدراج أمامي؟ سأجن من فرط التوتر!

فجأة من خلفي، مد غابرييل يده وهو يحمل علبة عينات مكتوب عليها Bacteriophages10356 أجل، لم نسيت هذا، الفتى يمتلك نظرا خارقا، بالإضافة أنه ذكي وله معرفة في الطب ويستطيع مساعدتي، أنا لست وحيدا! هكذا بدأنا العمل من دون توقف، لقد كان غابرييل عبقريًا بحق، لقد حفظ الكتاب الطبي الذي يعتبر المدخل إلى عالم الطب، لهذا كنت أسأله عن الأساسيات التي نسيتها، وكان يشير لي بالحل.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كنا نحل المعادلات، نأخذ عينات ونخلطها في درجات حرارة دقيقة، ونضع كميات محددة بالميكروغرام لبعض مكونات المصل، خطأ واحد صغير سيفسد كل شيء! صدر صوت من جهاز الإرسال فجأة أفزعني بشدة وكان أن يفسد الأمر:

- «إن لم تنته من صنع المصل الآن، فيجب أن تهرب يا دكتور نور، لم يتبق سوى ساعتين، بالكاد تكفيك لتبتعد من آرتش آنجل حتى مسافة آمنة، أكرر، اهرب الآن وحافظ على حياتك وحياة رفيقك»

لم أرد.. وتجاهلت نداءه المتكرر كل بضع دقائق إلى أن توقف.. كانت أعصابي تكاد أن تتحطم من فرط الانفعال لكني سأحاول حتى النهاية، إن مت فأنا أريد أن أموت مرتاح الضمير..

كم تبقى من الوقت؟

نصف ساعة! كنا قد استطعنا صناعة أول مصل، سيستغرق صناعة المزيد وقتًا أقل بسبب أن المواد الأولية والخلطات قد تم تحضيرها، لكن لن تكفي نصف ساعة لذلك، بعد كل هذا الجهد لم ننجح سوى بصنع ما يكفي لملء حقنة واحدة!؟

ماذا سنفعل الآن؟!

من سوف ننقذ بحقنة واحدة..

بالطبع فيرونيكا.. سوف نعطي الحقنة لها.. إن نجح الأمر فهي تستطيع إيقاف مركز الأمن القومي من إطلاق الصاروخ!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لا أعلم إن كنا سننجح، نحن لم نجرب المصل الذي صنعناه، وقد نكون قد أخطأنا في مقدار بسيط بمادة ما، لكن هذا أملنا الأخير! سامحيني يا فيرونيكا، لا حل آخر سوى أن أعطيك إياه!

حقنت فيرونيكا، التي بدأت تتألم وتتعرق بغزارة لمدة عشر دقائق، ثم توقفت فجأة عن التنفس!

- «اللعنة.. لقد فشلنا، لا بد أننا زدنا عيار شيء ما!»

حاولت أن أقوم بعمل إنعاش لها..

إلهي.. إننا نفقدها!

ثم في حركة سريعة فتحت عينيها وأخذت نفسا عميقا، كانت تتنفس بشكل سريع ..

- «دكتورة فيرونيكا، هل تشعرين بأنك أفضل؟»

قالت لاهثة وهي تتألم:

- «أفضل؟! أشعر بالكثير من الألم في كل جسدي.. أريد أن أصرخ من شدة الألم لكني يمكن القول بأنني أفضل نوعا ما مما كنت عليه!»

- «سامحيني لكن لا يوجد وقت معنا لترتاحي أو نعتني بك، يجب أن تخبري مركز الأمن القومي بأن يوقفوا عملية إطلاق الصاروخ إلى آرتش آنجل»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «إنهم يتبعون برتوكول الأمراض المعدية شديدة الخطورة.. ساعدني على الوقوف بسرعة»

أمسكتها وحاولت إعانتها على الوقوف لكنها كانت غير قادرة على التحكم بساقيها بعد.. الوقت يمضي.. زأر غابرييل في ملل، وحمل فيرونيكا بسرعة وركض نحو قاعة المختبر، وقف أمام جهاز الإرسال، أمسكت فيرونيكا الجهاز وقالت:

- «من مركز آرتش آنجل إلى مركز الأمن القومي، أنا الدكتورة فيرونيكا زاتسيفان، يرجى إيقاف عملية التطهير وإيقاف إطلاق الصاروخ، رمز عملية الإيقاف هو 2596254، لقد نجحنا في صناعة المصل، أكرر أوقفوا عملية إطلاق الصاروخ»

جاء الصوت مشوشًا:

- «لقد أطلقنا الصاروخ..»

هبطت قلوبنا إلى أقدامنا! لا.. لا يمكن!

كل جهودنا باءت بالفشل! لكن الصوت أكمل: «أجل لقد أطلقناه على العدو، من الجيد أنكم أخبرتمونا في الوقت قبل أن نطلق الصاروخ الثاني على آرتش آنجل»

- «أيها الوغد لقد جعلت أعصابي تنهار»

- «هذه دعابة من صديقك رافاييل فيدوروفا»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

سقطت على الأرض وأنا أحمد الله.. لقد نجحنا.. الحمد لله.. أظن أنني استسلمت للبكاء، لقد دمر كل هذا أعصابي، الحمد لله أن الأمور انتهت على خير.. بعد أن تمالكت نفسي.. لاحظت أن غابرييل يتصرف بغرابة، كان كمن رأى شبحا أو تذكر شيئا ما.. ترى ما الذي جرى له؟

***

أنا فيرونيكا زاتسيفان، بعد أن اقتربنا من أن نخسر كل شيء، زرع الدكتور نور الأمل فينا، لقد نجح بمساعدة غابرييل في إكمال صناعة المصل بنجاح، وساعدنا في إيقاف إطلاق صاروخ على آرتش آنجل!

لكن لم ينتهِ دوره بعد، أكمل صناعة مصل بالكمية الكافية للفريق هنا، ولم يتوقف عن العمل حتى تحسن نصف الفريق، وحين كان يتحسن طبيب منا كان يهرع لمساعدته!

في النهاية سقط نور مغشيًا عليه من التعب! في اليوم التالي تحدثت مع مركز الأمن القومي ورد علي رفاييل، قال لي:

- «يجب أن تشكري الطبيب، بفضله تأخرت عملية الإطلاق! لقد انتهت المهلة، لكنني ترددت بضع دقائق في الإطلاق بعد أن أطلقت الصاروخ الأول على العدو بسببه، وهذه الدقائق هي ما أنقذتكم»

- «أشكرك يا رافاييل، أعلم أنك وقعت في الكثير من المتاعب بسبب هذا!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا بأس، المهم أنكم قد نجوتم، لقد أصابت قنبلة نووية مقر ملائكة الموت الأسود، وقد مسحت المقر من الوجود»

- «ماذا عن احتمالية وجود مقرات أخرى؟»

- «لقد أكد جهازنا الاستخباري أنه المقر الوحيد لتلك المنظمة»

- «أخيرا انتهت تلك المنظمة المتطرفة، أشكرك مجددا يا رافاييل على مساعدتك، لو لم تتدخل لتم قصف آرتش آنجل من دون تردد»

- «بالطبع سأفعل هذا من أجلك يا فيرونيكا، كنت ستقومين بهذا من أجلي»

بعد أيام تمكن الفريق من صنع ما يكفي لعلاج سكان آرتش آنجل.. وتم إصدار بيان للإعلام بأن روسيا تقوم بتجارب عسكرية لأحد أسلحتها الجديدة على مكان غير مأهول.. هذا ليتم تغطية إطلاق الصاروخ على مقر المنظمة.. نهاية سعيدة لكن لا زال هناك أسئلة لم أجد إجابة لها بعد!

من يا ترى من تسبب في تسمم أعضاء المركز؟!

تلك الليلة بقيت مستيقظة وأنا أراجع جميع مشاهد كاميرات مراقبة المركز من جميع الزوايا، كدت أن أيأس.. قمت بزيارة المسؤول التقني الذي أخبرني بأنه انتهى من إصلاح القرص الصلب.. ثم شاهدت عدة مشاهد جعلتني أربط الأحداث وأدرك العديد من الحقائق!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لا، يجب أن أقوم ببعض الفحوصات حتى أتأكد!

إذن هذا من قام بتسميم المركز!

***

أنا نور كريم، بعد أن انتهت الأمور بسلام ونجا الجميع، طلبت مني فيرونيكا لقاءها على انفراد، وطلب من غابرييل أن ينتظر قليلا وأبقت جنديا بقربه، قادتني إلى غرفة المراقبة، وقالت:

- «لقد علمت من قام بتسميم المركز!»

- «من؟»

- «لن تصدق.. لقد كان.. غابرييل!»

- «ما هذا الهراء؟! لحظة واحدة يا دكتور فيرونيكا! أنا متأكد أن هناك خطأ ما كما حصل سابقا، غابرييل لا يمكن أن يفعل هذا!»

- «أرجو أن تتمهل قليلا وتشاهد هذا»

ضغطت على أزرار لوحة الجهاز وشغلت إحدى اللقطات من بعد معركة غابرييل برجال إيفان، بعد أن أخذ غابرييل المصل من المختبر وغادر مسرعا إلى الغرفة ليساعدني، زحف أحد الرجال المصابين من خلف أحد الصناديق بضعف، من بين خوذته المتحطمة تبينت ملامحه، لقد كان ذلك الشخص إيفان!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

تابع زحفه نحو المختبر إلى أن وصل لصندوق المصل، كانت كل العبوات متحطمة، لكنه بدأ يجمع بالسائل المتبقي في كل عبوة وأستطاع أن يحقن نفسه بالمزيج، كان يتلوى وسقط على الأرض، بعد دقيقة استيقظ ووقف بصعوبة على قدميه رغم علامات الألم، ثم أخذ عبوات فارغة وخرج نحو القاعة التي حدث بها المعركة مع غابرييل، عبئ العبوات من دماء غابرييل التي صنعت بركا صغيرة في أرض القاعة، ثم عاد إلى المختبر وبدأ بجمع نتائج البحوثات الورقية والرقمية وأخذ بعض العينات البكتيرية السليمة، تهاوى على الأرض مغشيا عليه عدة مرات، لكنه كان يعود للوعي ويقف ويتابع التقدم حتى وصل إلى كبسولة طوارئ وأنطلق مغادرًا بها!

قلت:

- «هذا إيفان، اللعين، لا زال حيًا»

- «ألم تشاهد هذا فيما سبق؟»

- «نعم، أظن أن السبب واضح، هناك مئات الساعات من التسجيل من كاميرات عديدة في القرص الصلب ولم أهتم سوى بتلك التي تدور حول غابرييل، إيفان إذن من أوصل كل شيء لجماعة ملائكة الموت الأسود، لكن لا زلت لا أفهم ما علاقة هذا بما تتهمين غابرييل به؟»

شغلت المشهد الذي أخذ إيفان فيه عينات من دماء غابرييل، ومشهد آخر فيه بعد معركه مع جنود فيرونيكا في المركز..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «نور، أنت لا تعرف ما حقيقة التجارب التي كانت تحصل على الغواصة، أتعلم ما هو حقيقة المصل؟»

- «لا!»

- «العلاج يا نور هو فيروسات آكلة للبكتيريا، هذه الفيروسات من المفترض أنها غير ضارة للبشر وهي ما نطلق عليه «Bacteriophages

تذكرت أنني كنت أبحث عن هذا الاسم سابقا ووضعت هذه الفيروسات بالفعل في المصل، وقد استنتجت لوحدي أن الرقم الذي كان يلي الاسم يدل على نوع مختلف من هذه الفيروسات.. أكملت:

- «لقد كان يتم حقن غابرييل بنوع معين من البكتيريا الخارقة، ثم يتم حقنه بأنواع مختلفة من الفيروسات آكلة البكتيريا إلى أن يجدوا فيروسا قادرا على أكل هذا النوع من البكتيريا، من بين كل المتطوّعين كانت التجارب التي تجري على غابرييل هي الأكثر عددا، ذلك لأن الأطباء أدركوا أن به شيئا مختلفا، لقد كان الأكثر استقرارا وتحملًا، كانوا يحقنونه بأنواع عديدة من البكتيريا الخارقة بشكل متتال في يوم واحد على عكس بقية المتطوّعين الذين كانوا يحقنون بنوع واحد من تلك البكتيريا، وقد وصل الشاب إلى حافة الموت عشرات المرات وعاد منها، لقد امتلأ جسده بأنواع من البكتيريا الخارقة، ومن غير المنطقي أنه لم يمت حتى الآن! ما حدث له غير قابل للتفسير بالمنطق»

- «ما الذي تعنيه؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «الأمر معقد للغاية، لكن التفسير الوحيد الذي خرجت به أن الشاب يمتلك قدرة علاجية خارقة، إن جسده يموت باستمرار وبسرعة، وخلاياه تعالج نفسها بنفسها بنفس السرعة، لا أعلم إن كان هذا عرضا جانبيا من أحد الفيروسات أو البكتيريا الخارقة أو لسبب خارجي آخر، لكن لم نشهد شيئا مماثلا له في جميع المتطوّعين، وحتى في مئات فئران التجارب التي قمنا بالتجارب عليها من قبل، وهذا يفسر القوة الهائلة التي حصل عليها، لم تكن بسبب البكتيريا الخارقة بشكل مباشر، إنما كانت البكتيريا تقوم بجعل لحمه وعضلاته تتحلل باستمرار، وخلاياه تصلح هذا لتصبح العضلات أقوى في عملية هدم وبناء مشابهة لتلك التي تقوم بها في النادي الرياضي لكن في حال غابرييل بلا توقف، والتفسير نفسه لسرعته بالعلاج من الإصابات، هذا سيئ لسبب، إن عمليات الأيض لديه تعمل بشكل سريع للغاية، كل ساعة تمر على غابرييل تعادل يوما من حياة شاب طبيعي، والأمر يزداد سوءًا في حال الإصابة، عمر الفتى قد ازداد أربعة أعوام منذ أن تحول بالكامل، هذا يفسر زيادة حجمه مؤخرا»

- «يا للهول, لقد تحول منذ شهر ونصف يا فيرونيكا، ستضيع سنوات عمره هكذا، أيّ أنه خلال عام من الآن.. سيزداد عمره ثلاثين عاما على أحسن تقديرا لكن لا زلت لا أفهم، لم تتهمين غابرييل بأنه المسبب؟! أنت مخطئة إن كنت تعتقدين أنه ينتقم بسبب كل هذا؟ قلب الفتى أنقى من هذا»

- «لا، الأمر ليس هكذا، بعد أن انتهت معركة غابرييل مع جنودي، أخذت القليل من دمائه التي انسابت من جراحه، واحتفظت بها في ثلاجة العينات، لم أرجع لها لأننا امتلكنا نتائج التجارب من القرص

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الصلب، ولقد طلبت من فريقي أن يقوموا بفحص عينة دمائه صباح اليوم، وحين رأيت نتائج الفحوصات، فهمت لم جمع الدكتور إيفان دماء غابرييل، كنت أظن أن السبب أنها قد تحتوي على آثار للمصل أو قد تفيد في صناعته أو حتى للقيام بتجارب عليها، لكني كنت مخطئة»

- «لماذا؟!»

- «إن دماء هذا الشاب عبارة عن مزرعة ضخمة للبكتيريا خارقة ولفيروسات لا حصر لها، ما حدث أنه بعد معركة غابرييل مع جنودي، تسربت دماؤه من جراحه عبر الحطام إلى البنية التحتية للمركز، لقد كان غابرييل سبب إصابتنا بالعدوى بشكل غير متعقد!»

- «لا يعقل! هذا.. هذا لا يمكن!»

- «يجب أن تدرك كل هذا خطير، إن دماء غابرييل هي المكون الرئيسي الذي تحتويه قنابل ملائكة الموت الأسود البيولوجية، إنه كقنبلة موقوتة قادرة على قتل كل من في الأرض، وفي حال انتهى عمره فسوف تتصرف خلاياه العلاجية بطريقة سرطانية، حينها سيتضخم وسينتفخ جسده عشرات الأضعاف وسينفجر حرفيا ليسبب أكبر وباء سيمر على البشرية، هناك بالطبع حل سريع بأن ننهي حياته الآن ونحرق جثته لتنقذ البشرية من أيّ خطر قد يحدث بسببه»

ما قالته كان كفيلًا بجعلي أغضب وأصرخ:

- «غابرييل ضحي بالكثير حتى يبقى حيًا وأنت تريدين أن تنهي حياته بكل بساطة! لم تدور كل حلولكم حول القتل والحرق؟!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أعلم أنك لن تسمح لهذا أن يحصل، لهذا بقيت أفكر طوال الليل بحل آخر، أحتاج لأن أجرب أمرا على غابرييل لأحكم من النتائج إن كان ما أفكر به سينجح، قد يكون الأمر مؤلفا بشدة، فهل سوف تثق بي في إجراء تجارب بغاية علاجية على غابرييل؟»

جلست على كرسي وأنا افكر بالموقف المعقد الذي وصلنا له، بعد التفكير قلت لفيرونيكا:

- «حسنًا، سأوافق على أيّ شيء لعلاج غابرييل، سأثق بك يا دكتورة فيرونيكا»

- «أشكرك على ثقتك، أرجو أن تحضر غابرييل»

بعد أن قمت بإحضاره، تفحصت فيرونيكا غابرييل وقالت:

- «أنت تملك القدرة لشد المادة الهلامية وجعلها لا تخترق أو جعلها رخوة سهلة الاختراق، أليس كذلك؟»

زأر غابرييل وقام بعمل حركات بيده وأصبحت أدرك بعض معاني زئيره، قلت:

- «اعتقد أنه يقول بأنه لا يعلم، لكن سيحاول»

وبعد بضع محاولات، تبين أن ما قالته فيرونيكا كان صحيحا، هكذا اقتحمت الإبرة الطبقة الهلامية من جسد غابرييل وحقنت الدكتورة فيرونيكا المصل، كان غابرييل يزأر ويتلوى ويتألم بشدة!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «غابرييل، أرجوك أن تتحمّل، سيكون كل شيء بخير»

لكن بعد عشر دقائق من الألم المتواصل سقط مغشيا عليه.

***

أنا غابرييل كاستيلو، قبل عدة أيام، قامت فيرونيكا بإخبار مركز الأمن القومي بإيقاف إطلاق الصاروخ، ثم ألقى شخص على جهاز الإرسال دعابة جعلت قلوبنا تسقط، لكنه قال أنهم أطلقوا على العدو وأنهم لم يطلقوا الصاروخ الثاني بعد وقال في النهاية:

- «هذه دعابة من صديقك رافاييل فيدوروفا»

هذا الاسم! ألا يذكرك بشيء!

أعلم أنني سمعته قبل!

أعلم أنه مهم! أين سمعته؟!

لم أتذكر.. كان ذكرياتي مشتتة..

على مدى الأيام التالية كنت أحاول أن أتذكر، في يوم من الأيام طلبت فيرونيكا من نور أن تقابله على انفراد. ثم نظرت نحوي وقالت:

- «أرجو أن تنتظره بصبر أيها الشاب، لا أريدك أن تدخل في نوبة غصب أخرى في أثناء ذلك، لن أتعاطف معك إن حصل ذلك»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

وتركت جنديًا مسلحًا بقربي، هززت رأسي، لم تريد أن تراه على انفراد يا ترى؟ هل.. هل ستخبره أنها تحبه؟ ضحكت على الخاطر وجلست أنتظر، بعد دقائق تفاجأت بنور يدخل ويقول:

- «أحتاج أن تثق بي، سوف تحاول فيرونيكا إيجاد علاج لك»

قلت أنني موافق، لكن بالطبع خرج هذا كزئير!

- «ممتاز، هيا اتبعني»

كانت فيرونيكا متحمسة واستطاعت أن تحقن جسدي بالمصل! لكن لم فعلت هذا؟ من المفترض أنني مقاوم لتلك البكتيريا ولا أحتاج لمصل! شعرت باحتراق داخلي، أتعرق وأزأر من الألم وبقي الألم يتصاعد إلى أن أغمي علي! لا أعلم لم تنتعش ذكرياتي حين يغمى علي.. لقد تذكرت.. تذكرت آخر كلمات والدي:

- «إن حدث لي شيء فأنا أعتمد عليك في حماية الجميع، ابحث عن رافاييل فيدوروفا في وزارة الخارجية في موسكو وأخبره بأنك تمتلك المادة 08»

- «لكن أين يا أبي؟»

أشار أبي بإصبعه نحوي وقد مدّ يده وهي تحتوي عبوة فارغة، وقال:

- «إنها في داخلك، لا تقلق، لن تضرك، بل ستحميك، أعطي العبوة هذه لرفاييل وسيفهم كل شيء»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

نظرت إلى العبوة.. كان هناك أرقام، ما كانت يا ترى؟

أشار والدي لنا بالرحيل من طريق آخر:

- «غابرييل خذهم إلى طريق الأمان، أثق بك، لا تنظر للخلف ولا ترجع لي مهما حصل، سأفعل ما يمكن حتى أمنع حراس الحدود من رؤيتكم!»

كنا نركض مبتعدين.. ثم سمعت صوت إطلاق النيران، تلفت خلفي لأجد الحرس قد أناروا الأضواء على والدي وكانوا يتسلون في إطلاق الرصاص على أطرافه! كنت أبكي، لقد وثق بي وطلب من أن أوصل عائلتنا إلى بر الأمان.. وداعا يا أبي! بعد وقت استيقظت وكنت أبكي، لقد تذكرت تلك الذكرى الأليمة!

فيما بعد كنت أفكر.. المادة 08h.. ما تكون يا ترى؟!

وما دور رافاييل فيدوروفا.. أنا لم أحاول أن أبحث عنه بعد وفاة والدي لأنني أضعت العبوة وسط الأحداث ما بين تشرد وصراع بقاء، كما أن

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

مشهد موته أثر بي بشدة، لكني أتذكر تلك العبوة الآن، وأتذكر الأرقام، أتذكرها بوضوح كأنني أراها أمامي، لقد كانت h-8-3657N9 ولم تحوي أيّ معلومة أخرى..

ماذا سأفعل الآن؟ هل أحاول أن أخبر رافاييل الآن؟ كيف وأنا غير قادر على الكلام؟ سوف أنتظر إلى وقت لاحق.. أنا أثق بنور وأثق أنه قادر على إيجاد العلاج لي، وحتى ذلك الوقت سوف أنتظر!

***

أنا نور كريم، استيقظ غابرييل بعد أن دخل في غيبوبة مدتها نصف ساعة، كان يبكي من دون توقف، ما أثار مشاعر الأبوة بداخلي

- «لا بأس يا غابرييل، ستكون الأمور بخير! لا بأس»

هل كان هذا مؤلما لهذه الدرجة؟! كانت فيرونيكا تتابع حالة غابرييل من دون توقف وتقوم بعمل فحوصات كل بضع ساعات وبقيت على هذا الحال لمدة أيام متواصلة، ثم أخبرتني بعد أن انتهت:

«أخشى أن العدوى البكتيرية أكبر من أن يتمكن المصل من إيقافها، لقد اتحدت البكتيريا الخارقة مع خلايا جسده وأصبحت الخلايا تنتج المزيد من تلك البكتيريا، لكن المصل كفيل بإبطاء هذه الحالة ومنع نقل العدوى في حال نزفه لفترة معقولة وهي أسبوع، سوف أعطيك عشر حقن، ما يكفي لشهرين بمعدل حقنة أسبوعيا، كل حقنة ستجعله يعاني بشدة لدقائق لأن معركة داخلية تحدث في جسمه، لكن ستوقف نشاط هذه البكتيريا، سوف يبقى هكذا حتى نجد له علاجًا أفضل، وسيقوم فريقي

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

بمحاولة تطوير المصل حتى يقدر على علاج غابرييل نهائيًا، مصل كهذا قادر على شفاء أيّ مرض بكتيري بشكل مطلق..

يجب أن تعلم أن نجحنا فهذا سوف يعالجه من الداخل فقط ولن يغير من شكله الخارجي، هذا خارج نطاق قدرتنا»

هناك زميلي رامي من سيساعد غابرييل في هذا، قريبا يا غابرييل سوف تشفى، ابتسمت لهذا الخاطر وقلت:

- «لقد قمتم بالكثير لنا، أنا عاجز عن شكرك يا دكتورة، أنا سعيد بأني التقيت بك»

- «لا داعي للشكر يا نور، لقد أنقذتني وأنقذت المركز وسكان آرتش آنجل»

- «لم أستطع فعل هذا لولا مساعدة غابرييل»

- «أنا مدينة له بالشكر أيضا، بالمناسبة، لقد جاءت الموافقة من مركز الأمن القومي بأن تعودوا إلى مصر، لكن.. كان لديهم شرط واحد»

- «ما هو هذا الشرط؟»

- «سوف يرافقكم أحد الأشخاص في مصر طيلة الوقت كي يبقي عينا على غابرييل!»

- «لكن لماذا؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «سأكون صريحة معك يا نور، إنهم يرونه قنبلة قد تنفجر في أيّ وقت، وافقوا من دون تفكير أن يخرج إلى مكان بعيد عن روسيا، في المقابل قد يقع الشاب بأيد خاطئة ويتم استخدامه كسلاح بيولوجي»

«ماذا؟! حسنا.. أظن أن هذا أفضل من أن أترك غابرييل وحده بين أيدي علمائكم» قلتها على مضض.

بعد لحظة صمت، قلت:

- «دكتورة، متى سوف تغادر؟»

- «غدا، جهز نفسك أنت وغابرييل للرحلة»

- «هذا أقرب مما كنت أتوقع»

- «بالمناسبة، تستطيع التوقف عن مجاملتي ومناداتي بالدكتورة، فيرونيكا تكفي، أنت صديق لي الآن»

- «أتشرف بهذا، أشكرك يا فيرونيكا، أنت تستحقين أن تفخر بك روسيا»

لوهلة توسعت عينيها وابتسمت ابتسامة نقية:

- «سعدت بالتعرف عليك، يجب أن أذهب لأحضر ما يلزم لك من وثائق لسفرك»

ثم رحلت، تلك الابتسامة.. لقد شعرت بجروحك الداخلية يا فيرونيكا.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

في اليوم التالي اجتمع جميع من في المركز ليودعنا.. قال ستيف:

- «أعتذر منك يا دكتور، لقد شككت في أمرك، الضغوط أثرت في تفكيري»

- «لا بأس يا ستيف» قالت أولغا:

- «وأنا أيضا أعتذر، لقد حرضتهم عليك، أنا.. نادمة على كل ما قلت»

ثم قال أندري:

- «لقد حاولت قتلك، أنا نادم على ذلك، شكرًا لغابرييل الذي أوقفني!»

هززت رأسي بأن الأمور جيدة الآن ولا توجد أيّ ضغينة عندي نحوهم، ثم جاءت فيرونيكا:

- «وقت الوداع يا نور، حاول أن تبقى على اتصال معنا» ومدت يدها أمامي وهي تحمل هاتفا محمولا:

- «هذا هدية مني عوضا عن هاتفك الذي تحطم، لقد وضعت شريحة تستطيع التحدث بها دوليا لتمكنك من التواصل معنا متى ما أردت»

- «أشكرك يا فيرونيكا»

قلت مستغلًا آخر لحظاتي في المركز:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «فيرونيكا، كصديق لك.. أنا فخور بك، وأعلم أن روسيا فخورة بك، وأنا متأكد بأن رفاقك هنا فخورين بك أيضا، أليس كذلك يا رفاق؟»

كادت أن تبكي، رفعت أولغا يدها في تحية عسكرية وقالت:

- «سيدتي أنا فخور جدًا بك وفخور أنني من ضمن فريقك»

تبعها ستيف ورفع يديه بالتحية العسكرية أيضا:

- «وأنا أيضا فخور جدًا بك، لقد آمنت بقدراتك وبقدراتنا طوال الوقت»

وتبعهما الأطباء الآخرون:

- «وأنا أيضا فخور أنني أخدم تحت قيادتك»

- «فخور بك أنك أنت الوحيدة من وقف لأجل سكان آرتش آنجل»

حتى غابرييل قام بالتحية العسكرية وزارا لم تتمالك نفسها وانسابت الدموع من عينيها، ثم لكمتني في ذراعي وخبأت وجهها وقالت بصوت متحشرج:

- «هل كان من الضروري أن تجعلني أبكي أمام فريقي هكذا؟»

- «أعتذر منك، لكنك تستحقين أن تدركي بأنك فخر للجميع»

بعد هذا المشهد المؤثر بدأنا رحلة العودة إلى مصر، في الطريق إلى المطار، اهتز هاتفي الذي أهدتني إياه فيرونيكا، كانت رسالة منها:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أيها الوغد الشرير، لقد مارست ألاعيبك النفسية علي وعلى فريقي في النهاية، لكني أشكرك، أشكرك يا نور، لقد كنت بحاجة لهذا»

بعد ساعات من ركوب الجيب، وصلنا إلى مطار موسكو وكما مرت رحلة قدومي من مصر إلى روسيا بسلاسة، حدث الأمر نفسه في رحلة العودة، كان غابرييل يرتدي معطفا يغطي به وجهه، وبالرغم من أن منظره مريب إلا أننا كنا نمر من دون تعقيدات عبر نقاط التفتيش إلى أن وصلنا إلى طائرة خاصة، صعدنا للداخل، كان غابرييل متحمسًا ويقفز من نافذة لأخرى وينظر للخارج، ما فهمت منه فيما بعد أنها كانت أول مرة يسافر بها في طائرة، وحققت بنا الطائرة مباشرة إلى مصر الحبيبة.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الفصل الرابع

رحلة إلى قلب الوحش

بعد رحلة في الطائرة استمرت لأربع ساعات، وصلنا إلى مصر، أخذنا الطاقم إلى غرفة معزولة داخل المطار، كان السفير الروسي بانتظاري فيها ويرافقه رجل ببذلة تكاد أن تتمزق من عضلات مفتولة. قال لي السفير:

- «دكتور نور، من الجيد أنك عدت سالما، نحن شاكرون لما قمت به من مساعدة لروسيا»

- «أشكرك حضرة السفير، ما فعلته كان من أجل الإنسانية وليس لأجل دولة معينة»

- «بالطبع.. أهذا هو غابرييل كاستيلو؟ الناجي الوحيد من المتطوّعين؟»

- «أجل، أنه هو»

- «إنه مخيف أكثر مما تصفه التقارير»

زأر غابرييل وقد شعر بالاستياء، قلت مهدئًا غابرييل:

- «لكنه لا زال الشاب طيب القلب»

أشار السفير إلى مفتول العضلات، وقال السفير:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أعرفك على العميل فلاد فولكوف»

مددت يدي لأصافح فلاد، نظر إلى يدي ببرود ولم يصافح، قال السفير

- «اعذره، أنه أحد أفضل العملاء لدينا، لكنه لا يتحدث كثيرًا ويتبع التعليمات بحرفية من دون نقاش»

- «لا بأس، لقد اعتدت فظاظة التعامل من الروس»

- «هذا مهارة مهمة في التعامل معنا، فلاد سيقوم بالتكفل بمرافقتكما بحسب اتفاقنا المسبق»

نظرت نظرة تفحصيّة لفلاد، وجهه ويداه مليئة بندبات عميقة، كان يرتدي بذلة أنيقة لكنها فشلت في إخفاء عضلاته المفتولة، الشعر الأشقر تم قصه كأنه قطع بضربة سيف من سياف محترف، وعلى حزامه يوجد مسدس.

اقتربت من السفير وهمست في أذنه:

- «ألم تجد يا حضرة السفير شخصًا اجتماعيًا أستطيع التفاهم معه؟ هذا الرجل مخيف ويثير القشعريرة لدي»

- «ما يهم إن فلاد قادر على حمايتكما مهما كان الموقف عصيبًا»

تنهدت وقلت: - «إلى متى سيستمر هذا الحال؟»

- «إلى أن تجد حلا لحالة غابرييل العجيبة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هكذا غادرنا من المطار برفقة فلاد مع رجال السفير، لم نتوقف على أيّ نقطة تفتيش، وانطلقنا في رحلة لإيصالي إلى منزلي في الإسكندرية.. بعد أن وصلنا أخيرا، دخلنا إلى المنزل، من الجيد أن غطاء الليل أقن لغابرييل ستارا للسير من السيارة إلى المنزل من دون أن يراه أحد. دخلت أنا وغابرييل وفلاد إلى منزلي الذي بالطبع كان مليئا بالغبار، عطس غابرييل بقوة مما جعل طبقات الغبار تتناثر وتملأ الهواء..

- «سيكون هناك الكثير من التنظيف، على العموم، أهلا بك يا غابرييل إلى منزلي، تستطيع الانتظار في الشرفة حتى أنتهي من تنظيف المكان، لكن أبق الأنوار مغلقة، لا أريد أن يراك أحد من المارة»

خرج غابرييل إلى الشرفة، أخرجت المكنسة الكهربائية وبدأت بتنظيف المكان. بينما فلاد يقف متكئا على أحد الجدران ويراقبني كالصقر.

- «لو سمحت تتحرك من هنا قليلًا، أريد أن أنظف تحت قدميك»

نظر إلى ببرود ووقف وتوجه إلى الحائط المقابل ووقف نفس هيئته السابقة!

بعد أن انتهيت من تنظيف سريع للبيت، توجهت لأنادي غابرييل، كان نائمًا من الإرهاق، أيقظته وأخبرته بأن يلحقني.. تبعني ونام على سريري، سأنام أنا على الأريكة وغذا سأشتري ما يلزم من نواقص المنزل. مددت جسدي على الأريكة وحركت جسدي إلى جانبي الأيمن، لأتفاجأ بفلاد يقف مقابلي وهو يراقبني..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «يجب أن ترتاح أنت أيضا يا فلاد!»

لكنه لم يرد..

- «على راحتك!»

وضعت رأسي وخلدت في نوم عميق..

كان أذان الفجر يتردد في المنزل، لم أسمع هذا الصوت الجميل منذ زمن طويل، قمت من مكاني وذهبت إلى الحمام كي أتوضأ، لكن تفاجأت بفلاد يتبعني إلى الحمام..

«لا، هذا كثيرًا أعلم أنك تتبع الأوامر، لكنك تقوم بهذا بأسلوب مبالغ فيه، انتظر في الخارج»

وأقفلت الباب في وجهه!

***

أنا غابرييل كاستيلو، بعد مغامرتنا المرعبة في روسيا، ركبت لأول مرة على متن طائرة، شعور بالحماس غمرني حين انطلقت الطائرة وارتفعت بالسماء، بينما توسعت عيني وأنا أنظر بدهشة من النوافذ لمنظر الغيوم البيضاء الموجودة على امتداد الأفق..

بعد أن وصلنا، رافقنا عميل روسي، رجل مريب اسمه فلاد، ولاحظت منذ أن استيقظت في اليوم التالي أنه يرافق نور كأنه ظلّه، لم يكن هذا

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

مريحا لنور بالطبع! بعد ساعات من استيقاظي، بدأت معدتي تصدر أصواتا من الجوع، لاحظ نور هذا وقال:

- «يجب أن تتناول الطعام المصري، سوف أذهب لأشتري طعام الإفطار بالإضافة لبعض المواد، فكل شيء تالف في الثلاجة وقد انتهى تاريخ صلاحيته، في هذه الأثناء لا تغادر من المنزل مهما حدث!»

هززت رأسي بالموافقة..

ثم نظر نور إلى فلاد وقال:

- «أرجو أن تبقى مع غابرييل..»

لم يرد فلاد..

غادر نور وبالطبع لحقه فلاد!

منزل الدكتور نور ليس كبيرا جدًا لكنه مريح للغاية، هناك صالة واسعة في المنتصف فيها تلفاز ومجموعة من الأرائك، هناك غرفة النوم مجهزة وغرفة أخرى فارغة، ومطبخ، ويبدو أن الرجل يعيش وحده منذ زمن، كان هناك باب داخلي يفصل قاعات المنزل، فتحته، خلف الباب غرفة عيادة أنيقة، إنه يملك الطابق وقد قام بفصله إلى مكان سكن ومكان عمل وهو الجزء الأكبر، مدخل العيادة على الشارع الأمامي المرتفع عن شارع العمارة الخلفي، أيّ أن مدخل السكن في الطابق الثالث.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ومدخل العيادة على الشارع مباشرة..

كنت أحب أن أجلس على الشرفة التي تطل على الشارع الخلفي وأنا أختبئ تحت غطاء ملاءة، الناس يعملون بنشاط من دون توقف رغم أن الجو حار بشدة، وبعض بيوتهم غريبة تشعرك بأنها على وشك الانهيار، لكنها مع ذلك ثابتة كالصخر!

عاد نور وفلاد بعد ساعات، كان نور يحمل الكثير من الأكياس وقال لي وهو يلهث:

- «الأخ هنا لم يساعدني، إنه لا يريد أن يتكلّم! لا أعلم لما عينوا روبوت لمرافقتنا»

ثم دخل إلى المطبخ وأفرغ جزء مما في الأكياس في الثلاجة.. بعد دقائق وضع نور الطعام أمامنا، وقال:

- «هذا فول مصري، وهذه الأقراص الدائرية هي طعمية، بينما هذه كبدة إسكندرائية، أنا لا أعرف ذوقك في الطعام بعد يا غابرييل، لهذا جلبت العديد من الأصناف!»

ثم نظر نور لفلاد وقال:

- «رغم أنك لم تقم بشيء مفيد حتى الآن، لكن يجب أن تعرف أن العرب يتميزون بالكرم، تستطيع أن تشاركنا الطعام يا فلاد»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لكن فلاد نظر لنور بكل برود كعادته وأخرج من جيبه لوح بروتين Protein bar وبدأ يأكله! هذا يعني المزيد من الطعام لي، أمسكت صحن الفول المصري وتذوقت منه، إنه خليط عجيب لم أتذوق مثله من قبل، ثم أكلت من الكبدة الإسكندراني، هذا لذيذ جدا.. أكلت كل ما في الصحن، ثم بدأت آكل أقراص الطعمية، ذلك المذاق المدهش، بدأت آكل منها من دون توقف ونور يقول:

- «على مهلك يا غابرييل، يوجد من الطعام ما يكفي»

يبدو أنني سأحب البقاء في مصر!

***

اسمي فلاد فولكوف، شاب مخلص لأقصى درجة لوطنه، قبل عدة أيام استدعاني رئيس هيئة الأركان، لم يسبق أن تواصل مع جندي بشكل مباشر من قبل، لهذا شعرت بأن الأمر خطير..

- «هناك مندسون من جماعات إرهابية في هيكل الجيش والقوات العليا»

قالها متنهدًا وقد تداخلت أصابع يديه ببعضها البعض، ووضعها على رأسه مما يشير إلى أنه متضايق، قلت:

- «لكن يا سيدي، لم تخبرني بهذا؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لأنك أكثر شخص أثق به، أنت جندي روسي أصيل ومخلص لوطنه، إن ملفك لا تشوبه شائبة، كما أنك تتقن العديد من اللغات ومنها العربية والإنجليزية، وهو ما نحتاجه في مهمّتك القادمة، إنها مقمة خطرة للغاية»

- «مهما كانت المهمة، المجد لروسيا أرض آبائنا الحرة، وولاؤنا لوطننا يعطينا القوة»

- «أعلم أنك مستعد لتضحي بحياتك من أجل وطنك، ما سأخبرك به سيكون سرا بيننا، لقد شاهدنا العديد من الخيانات العظمى مؤخرا، مثل خيانة الطبيب المستشار لي إيفان بافلوف والعديد من الجنود الذين كانوا برفقته، نحن نشهد حربا خفية في الهيكل العسكري لروسيا، لهذا هناك مهمة سأوكلها لك، إنها مهمة ذات جانبين لا يخلو أيّ جانب منهما من الخطر»

- «أنا طوع أمرك سيدي»

- «سوف تسافر لمصر وترافق الطبيب العربي نور كريم والشاب المسخ غابرييل كاستيلو، دماء ذلك المسخ تحتوي على أشد أنواع البكتيريا فتكا وهي تتكاثر بلا توقف مع فرص لحدوث طفرات، لهذا السبب سوف نبعدهما عن روسيا»

- «لم لم تقضوا عليه إذن؟»

- «أريد أن أستخدمه كطعم، سوف يأتي عاجلا أم أجلا بعض من رجال المنظمات الإرهابية، سيكون دورك أن تقضي عليهم والأفضل إن

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ألقيت القبض على شخص أو اثنين حتى يتم استجوابهم من قبل السفارة، لا تثق بأحد حتى لو كان من رجالي، تذكر بأنني سوف أخبرك قبل أن أرسل أيّ شخص، ما عدا ذلك تستطيع أن تستنتج بأنه خائن..

في هذا الوقت سيقوم فريق فيرونيكا بتطوير المصل وتجربته عليه، إن حصلنا على مصل قادر على القضاء على البكتيريا التي في جسد غابرييل فهذا يعني قادرون على شفاء أيّ عدوى بكتيريا مهما كانت في المستقبل..»

- «هذا واضح، هل هناك جانب آخر من المهمة؟»

- «راقب كل تحركات نور ولا تبرح عينيك عنه، رافقه كأنك ظله»

- «لكن أليس المسخ هو أولويتي؟»

- «المسخ يتبع أوامر الطبيب، لهذا أنا أراه أخطر من المسخ، هناك احتمال أن ينقلب علينا، أو قد يتعاون مع أحد الأطراف لبيع دماء المسخ كسلاح بيولوجي، فلاد، أنت تمتلك كامل الصلاحية الكاملة لتقضي على الطبيب في حال قام بعمل مريب، وفي حال حدوث هذا، يجب أن تقضي على المسخ أيضا»

- «أنا على أتم الاستعداد سيدي»

- «سيتم تزويدك بالأوراق اللازمة لتسهل مهمتك، ابق على حذر، نور طبيب نفسي وقد يمارس ألاعيب نفسية لجعلك تثق به!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هكذا تشاهدني غادرت إلى مصر وأجلس في منزل الطبيب نور أراقب كل أفعاله! كان الطبيب يحاول أن يتودد مني، لكني لا أثق به، وسألتزم بالتعليمات، هذا الرجل قد يشكل خطرا على روسيا، لهذا لا مجال لأن أتهاون في أيّ شيء معه! سأبقى أراقبك أيها الطبيب، أشعر أنني سأقضي عليك بيدي قريبا! فقط دليل واحد يظهر خيانتك سيكفي لأن أفجر رأسك!

لكن هناك صوت بداخلي يخبرني ألا أقتله..

***

أنا الدكتور رامي إبراهيم، طبيب في علاج أمراض التشوهات الخلقية، كنت جالسا في منزلي مع ابنتي رشا، أساعدها في دراسة إحدى المواد الطبية، هي في المرحلة الجامعية الآن، وكأب يحاول تعويض ابنته عن فقدانها لوالدتها، اقتصر العمل في المستشفى على أربع ساعات في اليوم، لأكسب ما يكفي للعيش ولدفع مصاريف رشا، كما أن العمل في مجالي قليل في مصر، كنت أحاول أن أكون لها الأم والأب في الوقت نفسه، لكن مهما حاولت، ما زلت أشعر بالحزن في قلبها!

رن هاتفي الأرضي، قمت بالرد لأتفاجأ بأنه نور كريم، صديقي العزيز من أيام الطفولة، قال لي بعد أن أنهينا التحيات والسؤال عن الحال، قال لي:

- «هل جلبت ذلك المريض الذي أخبرتني عنه؟»

- «أجل، لكن أرجو أن تأتي لتراه بنفسك؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «حسنا، سأمر عليك بعد المغرب»

لقد غلبني الفضول لأعرف لم اختفى نور كل هذه الفترة، بالإضافة إلى الحالة الغامضة للمريض الذي أخبرني عنه، بعد المغرب.. غادرت برفقة رشا إلى عيادة نور حين وصلنا وجدت نور يجلس في عيادته وعلى الحائط يقف رجل غير عربي، من يكون يا ترى؟ أهو أحد المرضى الذين يعالجهم أم هو الشاب الذي أخبرني عنه؟ هناك ندوب على وجهه لكن ليست تشوهات عميقة كما أخبرني نور سابقا، قلت لنور:

- «إذا كان الوقت غير مناسب فسوف أعود لاحقا!»

- «لا، تفضل يا رامي، هذا فلاد، إنه هنا لأسباب أمنية، لا تقلق وتصرف كأنه غير موجود، إنه لا يتكلم بتانا»

- «لا تقل هذا، إنه يسمعك»

- «لا أعتقد أنه يفهم العربية، اجلس ودعنا نتحدث»

ثم لاحظ وجود رشا معي، قال:

- «تفضلي يا رشا، كيف حالك يا بنيتي؟»

- «الحمد لله يا عم نور، الأمور بخير»

- «تفضلي بالجلوس، سأحاول ألا أتأخر في الكلام كثيرًا مع والدك»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا بأس، لم أز والدي يشعر بالحماسة منذ فترة كما رأيته ونحن قادمين إلى هنا..»

قلت له:

- «لقد وعدتني أن تخبرني بكل شيء حصل معك»

نور: «هذا صحيح، سأخبرك بكل شيء..»

بدأ نور بقص ما حدث معه، وأنا أزداد ذهولًا لما حصل معه، الحق يقال أن الرجل خاض مصاعب لا يمكن تصورها، لقد اندمجت معه كأنني أخوض تلك المغامرات معه..

فجأة سمعت صراخ رشا قادم من داخل منزل نور!!

متى غادرت؟! وماذا حدث لها!

قفزت أنا ونور الذي قال:

- «أعتقد أنها خافت من غابرييل»

تبعت نور إلى داخل المنزل، كانت الصالة فارغة والصراخ يتعالى من الغرفة التي عند الشرفة، حين وصلت صرخت:

- «رشا! لاااا»

لم أتمالك أعصابي، فقد رأيتها تسقط من الشرفة المرتفعة!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

***

اسمي رشا رامي، في السنة الثانية في دراسة طب الأطفال حديثي الولادة، اخترت هذا التخصص لأنني أعشق تلك الكائنات اللطيفة، الأطفال حديثو الولادة والرضع ملائكة يذيبون القلب ببراءتهم، أحب هذا العمر دونا عن سواه، هذا لأنه بعد أن يختلط الطفل بعد سنته السادسة بالمجتمع، يصبح عفريتًا صغيرًا وترحل البراءة منه من دون رجعة.

توفيت والدتي العام الماضي، كانت فاجعة صعبة لي، كانت والدتي صديقة لي وأمًّا رائعة بما تحمله الكلمة من معنى، رحمها الله، حتى الآن لا زلت أبكي خفية عن والدي في الليل على فقدانها، ووالدي المسكين يحاول أن يعوضني عما فقدته، لكن مهما فعل فلا شيء يستطيع تعويض الأم..

والدي طيب القلب، لكنه من النوع الذي لديه تفكير زائد، لهذا يقلق علي دائما ويرفض أن يتركني لفترات طويلة في المنزل، في الصباح يرافقني إلى الجامعة ثم يذهب لعمله في المستشفى، ثم بعد ساعات يعود لاصطحابي إلى المنزل، وأرافقه حين يخرج بعد ذلك إلى المتجر أو للحديقة العاقة أو لزيارة الأقرباء والأصدقاء، كنت أشعر بحزنه الذي لم يجف بعد في قلبه، إنه يفتقد أمي بشدة، ويبذل قصارى جهده لينسى ألم الفقد بأن يعتني بي!

أخبرني بأننا سنذهب لزيارة العم نور الذي عاد من سفر طويل، رافقته في زيارته، حين رأى والدي العم نور، رأيته يبتسم كما لم يبتسم منذ زمن، يبدو أن رؤية صديق عزيز عليك كفيلة بتطهير كل الجراح

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

النفسية. كان هناك رجل مريب يقف على الحائط، أخبرنا نور أن تتجاهل وجود الرجل، كنت أراقب والدي المنبهر تماما كالأطفال وهو يتحدث مع العم نور.. لقد أخبرني والدي أن صدقتهما تعود لعمر الطفولة..

شعرت بالحاجة للذهاب إلى دورة المياه، ولم أشأ أن أقاطع العم نور، غادرت من دون أن أخبرهما ودخلت بهدوء إلى منزل نور.. بعد أن انتهيت من دورة المياه، كنت متجهة للمطبخ لأشرب، لكن سمعت ضوضاء قادمة من الصالة؟

هل نسي العم نور التلفاز يعمل؟

منذ أن عرفت العم نور وأنا أعلم أنه يعيش وحيدا، لهذا ذهبت لأتفقد الأمر، حين وصلت، رأيت ظلا مخيفا في الظلام، أنرت الضوء ورأيت شيئا مرعبا.. شيء لم أتصور أن أراه في أشنع أحلامي.. يقف على بعد خطوات مني وحش مخيف، صرخت، اقترب من الوحش، سوف يمسكني! صرخت وأصابني الهلع وركضت في الاتجاه الآخر مبتعدا عنه ووصلت إلى غرفة ما، دخل خلفي وتراجعت أكثر نحو الشرفة! وأنا أصرخ وأنادي على والدي! كنت أشعر برعب شديد، بينما الوحش يقوم بحركات غريبة بيده، كأنه يخبرني بأن أرجع له، صرخت باكية:

- «اتركني أيها الوحش!» بقيت أتراجع إلى أن أختل توازني وسقطت من الحافة!

كنت أسقط نحو الأرض، سوف أموت وأتبعك يا أمي!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أرجو أن يستطيع والدي تحمل الصدمة وأن يكمل حياته!

كنت أبكي وأنا مغمضة العينين وأنتظر أن أرتطم بالأرض!

هذا أخذ الكثير من الوقت!

أنا سمعت أن الزمن يمر ببطء قبل الموت، لكن هذا بطء مبالغ فيه، فتحت عيني، لم أعد أسقط، لقد كان ذلك الوحش يمسكني!

كنت أرتجف من الخوف وأريد أن أصرخ، كنت ألكم بالوحش، ثم تدريجيا توقفت وقد أدركت ما حدث!

- «هل قفزت خلفي؟»

نحن على الشارع وتبعد عن الشرفة ثلاثة طوابق!!

- «أنت قفزت خلفي كل هذه المسافة وأمسكت بي قبل الارتطام، أنت أنقذتني، أليس كذلك؟»

كانت علامات الألم ظاهرة على وجه الوحش، كان العم نور ينادي من الشرفة:

- «غابرييل.. الحمد لله أنكما بخير! ادخل بسرعة قبل أن يراك أحد»

حملني الوحش ودخل إلى العمارة وصعد مسرعا نحو الطابق الثالث.. مشاعري مختلطة، فقد كنت أبكي وأرتجف من الخوف بالإضافة إلى شعوري بالتقزز منه، لكني أشعر بالامتنان له، كما أنني حين نظرت

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

إلى عينيه.. شعرت بنقائهما! وصلنا للمنزل وأنزلني برفق في الصالة، جاء العم نور وقلت له:

- « أين أبي؟»

- «والدك فقد الوعي حين رآك تسقطين، لقد تفقدت حالته قبل قليل وسيكون بخير»

- «سوف أذهب لتفقد والدي، المسكين.. لقد ظن أنه فقدني»

جلست بقرب والدي، وأنا أنظر لشعره الذي امتلأ بالشيب، أشعر بالشفقة نحوه، أنا أفتقد أمي، لكنك أنت يا أبي تفتقدها أكثر مني، أنت لم تستطع تجاوز الأزمة لهذا شغلت نفسك في العناية بي... فتح والدي عينيه وقفز باكيا ليحتضنني غير مصدق بأنني نجوت:

- «لقد كنت خائفا أن أفقدك يا أبنتي»

- «لا بأس أنا بخير»

- «ما الذي حدث؟»

جاء نور مع غابرييل، حين رأى والدي غابرييل، صُعق وخاف، قلت:

- «هذا ما حصل معي يا والدي، لقد خفت من هذا الكائن، لكن لا تقلق، أعتقد أنه غير مؤذ، هل تصدق أنه قفز خلفي وقام بإنقاذي؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

نور: «هذا غابرييل، وقد عاني من تجارب قاسية جعلته يتحول لهذا الشكل»

اقترب نور من غابرييل وقال نور له شيئا بالروسية ولم أفهم ما قاله، سألت العم نور:

- «هو لا يفهم العربية؟!»

- «أجل، غابرييل يعرف الروسية والإنجليزية فقط» ثم لاحظ نور أن غابرييل ينزف، قال نور:

- «لحظة، سوف أذهب لإحضار صندوق الطوارئ»

غادر العم نور، قلت لغابرييل بالإنجليزية:

- «أنا أعتذر عن إصابتك هذه، هذا بسببي»

عاد يقوم بإشارات بيده رأيتها مضحكة، قلت مبتسمة:

- «لا أفهم ما تحاول قوله، لكن اشعر بأنك تعتذر عن إخافتي»

هزّ غابرييل رأسه بالإيجاب، ثم عاد العم نور وبدأ بعلاج غابرييل، قال والدي الذي تمالك نفسه:

- «أهذا هو الشخص الذي أخبرتني يا نور بأنه مصاب بتشوهات وتحتاج لعلاج؟!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قال العم نور

- «أجل، هو»

- «لكن هذه مرحلة متقدمة للغاية لم أشهد لها مثيلا في حياتي!»

- «هل تستطيع أن تعالجه؟»

- «في الحقيقة لا، لا أظن هذا ممكنًا..»

كان العم نور مصعوقًا لما سمعه، وقاطع كلام والدي صوت طرق عنيف على باب المنزل!

***

كنت أتحدث مع صديقي رامي عن إمكانية علاج غابرييل وأخبرني بأن علاجه مستحيل، قاطع كلامنا طرق عنيف على باب منزلي، قلت:

- «من المزعج الذي على الباب في هذا الوقت؟!»

توجهت نحو الباب، فتحته وخلفه كان جاري رائدا إنه حي إذن، أنا لم أرهُ منذ قرون.. قال:

- «نور! أنت رجعت؟»

- «ما رأيك يا رائد؟ أنا أمامك، أجل لقد رجعت»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لقد سمعت صراخ فتاة وضوضاء ولم أفهم ما يحدث، اعتقدت أن لصًّا اقتحم منزلك، لكن الآن الوضع مريب أكثر، لقد كانت هناك فتاة تصرخ بعبارة اتركني أيها الوحش، ماذا تفعل بالفتاة أيها العجوز؟ هل وصلت للحضيض في هذا العمر؟»

- «كم أنا سعيد برؤيتك يا رائد، لم تتغير قط بعد كل هذه السنين»

ناديت على رشا وجاءت ووقفت بقربي، أكملت:

- «إنها مريضة عندي وتعاني من هلوسات بصرية، لا شيء يثير الخوف هنا»

- «مريضة في هذا الوقت المتأخر؟!»

قال وهو ينظر إلى رشا وقد لمح فلاد الذي لم يفارقني من خلفي:

- «هل أصابك العجوز بمكروه؟ هل يحتجزك رغما عنك؟ حتى لو كانوا عصابة.. فلا تخافي، أخبريني وسأبلغ الشرطة»

ما قلته أنا ورائد جعل رشا تشعر بالحرج، قالت:

- «ما حدث كان مجرد هلوسات كما قال الطبيب نور، لا يوجد أيّ داع لما تقوله!»

«سأبقي عينا عليك يا نور، أنا لا أثق بطبيب نفس يستطيع العبث في عقول الناس!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قلت: - «لا بأس يا صديقي، أشكرك على حرصك على أمن العمارة»

- «العفو.. لحظة.. أنت تحاول أن تعبث برأسي الآن!»

ثم غادر وهو يرمقني بنظرات نارية.. أغلقت الباب وتوجهت أنا ورشا نحو عيادتي، كان رامي يفحص غابرييل، وأكملت الحديث معه:

- «رامي، ماذا تقصد أنه لا يمكن علاجه؟»

- «نور، إن التشوهات التي يعاني منها لا يمكن علاجها بالأجهزة الموجودة في جميع الوطن العربي، أحتاج لأجهزة فحص وأجهزة عمليات خاصة تصنع للحالات النادرة وللمجالات البحثية في الدول الغربية، أجهزة كهذه مكلفة الثمن أكثر مما تتصور»

- «لا بأس يا رامي، سوف أشتري هذه الأجهزة، أخبرني ما تريد وأين أجد الأجهزة وسوف أحضرها»

- «نور، هل سمعت ما قلته جيدًا؟ أجهزة كهذه تكلف ثروة، حتى طبيب مشهور مثلك لا يمكن أن يجمعها في حياته!»

همست في أذن رامي بالمبلغ الذي حصلت عليه بدل استعارتي في مهمة غواصة الإعصار، بالإضافة إلى المبلغ التعويضي على الأضرار ما بعد المهمة..

- «نور، هل أنت جاد؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أجل»

- «أنت لا تمزح معي! أظن أن هذا سيكفي، يا رجل تستطيع فتح العديد من المستشفيات، وشراء العديد من المنازل بهذا الرقم!»

قلت: «أعلم هذا، لكني أهتم أكثر بعلاج غابرييل الآن، وأنا سأدفع لك مبلغا جيدًا عوضا عن أتعابك يا صديقي»

- «صداقتنا أعمق من أن تقول هذا»

«أعلم ذلك، لكن أرجو أن تترك العمل في المستشفى هذه الفترة، وتركز على علاج الشاب، وبالطبع ستحتاج لمصاريف العيش، لهذا سوف أدفع المبلغ سواء قبلت أم لا»

- «حسنا، لقد قبلت المهمة! لكن يجب أن تعلم أنه حتى بعد توافر الأجهزة، سيكون تحسن غابرييل بطيئا جدًا وبالتدريج»

«أتفهم هذا، فحتى في علاج الأمراض النفسية، يكون الأمر بطيئا جدًا وبالتدريج أيضا»

سألني رامي:

- «لكن ماذا ستفعل في الوقت الذي سأنشغل به في دراسة حال غابرييل وعلاجه»

- «سوف أفتح العيادة للمرضى، هناك من يحتاج لي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «يا رجل، يجب أن تتقاعد، لديك ما يكفي لشراء شاطئك الخاص وفيلا في الغردقة، لو كنت مكانك لفعلت هذا»

- «أعتقد أنني قنوع بحياتي، أعتقد أنني من الأشخاص الذين يشعرون برضا أكبر عن أنفسهم حين يساعدون الآخرين»

- «أنت حر، هذه حياتك، أما أنا فسوف أبدأ بدراسة والبحث عن الأجهزة والمعدات اللازمة.. بالمناسبة، أين ستضع الأجهزة بعد أن نشتريها؟»

- «سوف أتحدث مع جارتي في الطابق السفلي سعاد والجار الآخر، سأحاول أن أقنعهما بأن أشتري الطابق منهما أو على الأقل أن يعيراني إياه لعام مقابل المبلغ الذي يرونه مناسبًا، هكذا سيبقى غابرييل قريبًا ولن نضطر لنقله من مكان لآخر»

- «هذا رائع يا نور، أشعر بالحماس من الآن، لكن قبل أن أبدأ بأيّ شيء، دعنا نحظ بكوب من الشاي، وأكمل ما حدث معك يا نور في الغواصة وما بعدها..»

أكملت سرد القصة عليه، لا أعلم كم مضى من الوقت، لكن حين انتهيت، صفق رامي وقال:

- «يا الله، هذا رائع يا نور، يا لها من مغامرة، لكن.. لم لم تكشف حقيقة إيفان منذ البداية، أنت طبيب نفس!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أنت تخلط بين الطبيب النفسي وآلة الكشف عن الكذب، أنا أحتاج لأن أسمع من الطرف الآخر بينما يتكلم بكل صدق عما بداخله حتى أستطيع معرفة من يكون، بالكاد تحدثت أنا وإيفان في الغواصة ولم يكن بالطبع كلامه صادقًا»

- «لكن ما حصل له في النهاية؟»

- «أعتقد أنه قد مات وتبخر جثمانه في القصف الذي حصل لمقر ملائكة الموت الأسود»

- «صحيح.. لقد قلت أن دماء غابرييل قد تنقل العدوى، هل إصابة غابرييل قبل قليل تشكل أيّ خطر علينا من العدوى البكتيرية»

- «لا تقلق، لقد أخذ المصل منذ عدة أيام، دمه لا زال خاليًا من البكتيريا»

- «كل هذا التشويق جعلني أنسى الوقت، يجب أن أعود للمنزل، رشا ستذهب للجامعة مبكرًا» هكذا رحل رامي ورشا، نظرت لغابرييل بسعادة وقلت:

- «قريبا سوف تعود إلى شكلك البشري، قريبا سوف تلتحق بالجامعة أنت أيضا لتدرس الطب يا غابرييل، أعدك بهذا..»

***

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أنا العميل فلاد فولكوف، لقد زار الطبيب العربي صديقه مع ابنته، يعتقد الطبيب العربي أنني لا أفهم العربية، أو قد يكون يتظاهر بذلك، لكني كنت أصغي يحرص لما يقوله، لقد مر بأهوال كثيرة، رغم ذلك لا زلت لا أثق بالرجل.

فجأة سمعنا صراخا، قفز الطبيب العربي ورفيقه مسرعين إلى الداخل وتبعتهما، أخرجت مسدسي وأزلت قفل الأمان، كنت على أهبة الاستعداد لأن أطلق النار في حال رأيت المسخ يتصرف بعدوانية، لكن المشهد كان على عكس ما توقعته، لقد سقطت الفتاة، وقفز المسخ خلفها من دون تفكير لينقذها!

هل بالغ رئيس هيئة الأركان في وصف الطبيب والمسخ؟

هل أثق بذلك الصوت بداخلي؟!

لا يجب أن أفكر هكذا، ويجب أن أبقى يقظا من تصرفاتهم!

في اليوم التالي قام الطبيب بفتح عيادته للمرضى، الحق يقال أن الرجل مشهور، فلم يتوقف الناس عن القدوم للعيادة، وأظن أن سبب شهرته هي أنه كان يعامل المرضى باهتمام أبوي.. بالإضافة أنه لم يكن يأخذ المال من معظم المرضى! دخل شاب إلى عيادة الطبيب وكعادة كل شخص يدخل ويراني واقفا بقرب الطبيب، فقد تسأل الشاب:

- «من هذا يا دكتور نور؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا تهتم كثيرًا، إنه لا يتحدث العربية، هو هنا لأمور خارجة عن سيطرتي، وتستطيع أن تؤجل الجلسة لوقت آخر إن كنت تشعر بعدم الراحة»

- «لا بأس»

كان الشاب يشكو إلى نور أنه لم يستطع التحمّل أكثر من ضغوط الحياة وأنه مصاب باكتئاب وبحاجة لعلاج، قال له نور:

- «عليّ، ما أنت مصاب به يسمى بالهشاشة النفسية، تجعلك تشعر بأنك غير قادر على تحمل القادم، وهذا ليس مرضا نفسيا، هذا مجرد تفكير زائد مصاب به الكثير من شباب هذه الأيام، يجب أن تثق بأن الله يختار لعبده الأفضل، وإن لا سمح الله حدث لك ابتلاء، فإن الله ينزل برحمته ما يخفف الألم على عبده، يجب أن تؤمن بأنك قادر على تجاوز أيّ موقف من دون أن تفكر فيما سيكون الموقف، وإلا شعرت بالألم والضيق»

بعد أن انتهى الطبيب من نصح الشاب، قام الشاب بوضع مال أمام الطبيب مقابل الجلسة، لكن الطبيب رفض!

- «بالطبع لن أخذ منك، أنت لم تكن بحاجة إلى طبيب نفسي منذ البداية، فقط تحتاج لأن تثق بالله أكثر»

هذا الرجل عجيب، هل كل هذا مجرد تمثيل أمامي؟!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

في نهاية اليوم، قام بمكالمة أحد المطاعم وطلب وجبات طعام، رغم أنني أرفض تناول الطعام معهم دائما إلا أنه يحضر لي وجبة، والتي تصبح من نصيب المسخ حين يرى أن موقفي لم يتغير. كنت أستمتع بسماع ملاحظات الطبيب للمرضى، وبدأت أقتنع بأنه لا يدرك أنني أفهم العربية، من بين عشرات الحالات كانت هناك حالات قليلة برأيّ الدكتور تستحق أن تسمى بمرضى نفسيين، أحد المرضى قال:

- «أنا متشائم بشدة، منذ صغري كنت متشائمًا وقد أخذت هذه الصفة من أحد أبطال القصص المفضلين لي، وقد نمت هذه العادة لتصبح متأصلة بي أظن أن هذا يساعدني على تحقل المصائب الكثيرة التي أمر بها، لكن لا أستطيع التوقف عن التفكير بالمصائب القادمة؟!»

- «صدقني يا رأفت، المشاعر السلبية تجلب الأمور السلبية، والمشاعر الإيجابية تجلب الأمور الإيجابية، لهذا أنت تمر بمصائب كثيرة، من الجيد أن تكون قادرا على تقبلها، لكن حاول أن تفكر بإيجابية دائما، وسوف ترى الأمور تتحسن في حياتك»

هذا الطبيب لا يستغل ضعف مرضاه، أعرف طبيبا يقنع مرضاهم بأن مصابون بأسوأ مما كانوا يخافوا منه، حتى يستمروا بالرجوع إلى الطبيب ويحصد هو المال منهم! بالطبع كانت هناك حالات حقيقية بحاجة إلى متابعة وهناك حالات غريبة تستحق أن يقوم الدكتور نور بتأليف كتابا منها من شدة غرابتها، استطعت أن أحفظ أسماء بعض الحالات، مثل هوس السرقة والبارانويا وسكيزوفرينيا ومتلازمة الجثة المتحركة و(بوانثروبي) حيث يتصرف المريض كبقرة وقد يكون أكثر شيء مرعب شاهدته هو مريض التهام الذات! أشعر بأن رئيس هيئة

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الأركان مخطئ وهذا الرجل لا يمكن أن يفعل ما قد يخيف، لكن رغم هذا كله، يجب أن أراقب الطبيب من دون تحيّز!

***

أنا غابرييل كاستيلو، لقد مضى أسبوعان منذ أن أتينا لمصر، ويبدو أن الملل قد أتى معي، كنت أجلس في الصالة بينما نور مشغول مع مرضاه، لقد شغل لي إحدى قنوات الأفلام الأجنبية قبل أن يغادر..

لكني اكتفيت من الأفلام، لقد شاهدت الكثير وأشعر بالمثل الشديد، أمسكت جهاز التحكم (الريموت) وحاولت الضغط على الأزرار لأقلب القنوات لعلي أجد شيئا أفضل، لكن انتهى الأمر بتحطم جهاز التحكم بين أصابعي..

بحثت في الغرفة ووجدت كتابا، حاولت إمساكه لأقرأه، لكن الكتاب تمزق فور أن فتحته، اللعنة على هذا الجسد، لا أستطيع التحكم بمقدار قوتي والقيام بالأمور بشكل طبيعي! ملل قاتل، أكاد أجن منه، لكنه كان يتلاشى حين يأتي ذلك الوقت. أنه ذلك الوقت الذي أرى فيه رشا!

لقد استطاع نور شراء الطابق الثاني في العمارة، وقد انتقل الدكتور رامي ورشا للعيش فيه حتى يتم علاجي، كان الدكتور رامي يدرس ما الذي سيحتاجه لعلاج حالتي، أما رشا فكانت تصعد للصالة حيث أكون بعد أن تنتهي من دوامها في الجامعة، الغريب أنني شعرت مع وجود الجميع بأننا عائلة، حتى فلاد الذي لم ينطق بكلمة منذ أن أتى، أشعر بأنه جزء من هذه العائلة.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كانت رشا تتحدث بالإنجليزية معي، بينما أنا أحاول أن أوصل ما أود الكلام عنه بلغة الإشارة لكن للأسف لم تكن تفهم ما أقول في كثير من الأوقات، وكنت أشعر بالإحباط من هذا!

تفاجأت اليوم بهدية من رشا، لوح أبيض "(وايت بورد)، مع قلم كبير للكتابة عليه، قالت:

- «هكذا سأستطيع أن أفهم ما تود أن تقول» لم أتحمل وبكيت، قالت:

- «أنا آسفة، هل قمت بشيء خاطئ أزعجك يا غابرييل»

كتبت على اللوح:

- «أنا أشعر بسعادة غامرة، هذه أول هدية يهديني إياها شخص في حياتي!»

قالت:

- «أنا أيضا سعيدة، لقد نجحت أخيرا في أن أفهم ما تريد قوله! هذا رغم أن خطك سيئ للغاية!»

مسحت اللوح وكتبت:

- «هذا أفضل ما أستطيع فعله في هذا الجسد»

بمرح مسحت اللوح مرة أخرى وكتبت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أنا أشكرك يا رشا، وجودك معي يجعل المثل يتلاشى»

- «هل تشعر بالملل كثيرًا؟»

- «أجل، فمنذ أن أتيت إلى مصر، لم أغادر منزل نور، إنه يخشى أن يخاف الناس مني ويتسبب ذلك بضجة قد تكون مزعجة للكل»

- «ما رأيك أن نخرج قليلًا؟»

- «هذا مستحيل، سيموت الناس رعبا من شكلي»

- «لا تقلق، لدي فكرة كيف سنحل هذا»

- «لكن نور قال..»

- «لن يشعر نور بشيء، سنذهب لربع ساعة ونعود»

ذهبت إلى غرفة الملابس وبدأت تبحث عن شيء ما، ثم خرجت وقالت:

- «قم بارتداء هذه النظارة الشمسية وقناع الفم هذا»

قمت بذلك، أكملت:

- «الآن ارتد هذه القبعة والقفازات وهذا المعطف»

قمت بفعل ما طلبته مني، قادتني نحو المرآة، لقد أخفت جزءا كبيرا من جسدي، أشرت لها نحوي وجهي، فهناك بعض الأجزاء التي من

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الواضح أنها ستكشف حقيقتي للناس، لكنها أخرجت من حقيبتها علبة مكياج وقالت:

- «دع هذا الأمر لسحر المكياج»

بعد أن انتهت.. نظرت للمرآة، أظن أن الأمر سينجح! قالت:

- «سنغادر الآن، لا تبتعد عني ولا تحاول أن تحتك بأيّ شخص كان! وبالطبع لا تزأر مهما كانت الظروف» زارت موافقا على كلامها..

«لقد زأرت! هذا الشرط يبدأ من الآن، هيا بنا» قالتها بحزم وهي تشير بالسبابة نحوي..

كتبت على اللوح:

- «هل أنت متأكدة مما نفعله؟»

- «هيا.. ألا تمتلك روح المغامرة؟!»

- «حسنا..»

وخرجت للخارج مع رشا..

***

أنا رائد عماد، أسكن في عمارة الحياة 16 في الطابق الأول، وأنا وبشكل معروف وضمني بين سكان العمارة المسؤول الأول والأخير

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

عن العمارة، وبحسب خبرتي العريقة في أمن المتاجر، أمتلك حدسًا لا يخيب، وحدسي يخبرني بأن ذلك الطبيب خطر على سمعة العمارة، قبل يومين اشترى الطابق الثاني من جميع سكانها، من أين له المال؟ وماذا يريد الفعل بها؟

لقد أصبح يمتلك طابقين بأكملهما الآن، ثم لاحظت أن الفتاة التي أخبرني أنها من مرضاه قد انتقلت للعيش هي ووالدها.. لا أستطيع فهم ماذا يحدث؟ كنت أنظف في ساحة المنزل حين خرجت الفتاة و.. من هذا؟ أهذا والدها، لا أعلم، إنه ملثم ولا يظهر من وجهه شيء، قلت:

- «السلام عليكم أيها الجار الجديد»

لكنه لم يجب، وأسرع الخطأ مبتعدًا هو والفتاة، قلت بصوت مسموع:

- «فعلا العالم لم يعد بخير والناس لم تعد تستحي كما كانت، حتى السلام أصبح الناس تتعالى عليه!»

ماذا كنت أتوقع! هذا زميل الطبيب، ومن عاشر الناس أربعين يوما صار مثلهم! فيما بعد عاد والد الفتاة، لكنه هذه المرة قد أزال العوينات والقبعة واللثام!

كان يحمل جهازًا غريبًا، أظن أنني شاهدت هذا الجهاز بأحد أفلام الجاسوسية، حدسي يخبرني بأنهما جاسوسان لدولة عدوة ما؟ هذا محتمل.. لقد سمعت قصة مشابهة عن أشخاص كانوا يختبؤون في أحد المنازل ويتجسسون على مكالمات الشخصيات المهمة في الدولة من دون أن يثيروا أيّ شكوك!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قال والد الفتاة لاهثًا:

- «السلام عليكم يا جار، هل تستطيع مساعدتي قليلا؟»

- «بالفعل الناس لم تعد تستحي، فقط تقوم بالسلام حين تحتاج لمصلحة»

ورحلت من أمامه.. يجب أن أراقب أولئك الناس بحذر...

***

أنا رشا رامي، كان قلبي يخفق بشدة من الأدرينالين بعد أن خرجنا من المنزل أنا وغابرييل، لقد كاد أحد الجيران أن يكشف حقيقته، لكننا أسرعنا بالمغادرة، لقد شعرت بالشفقة على حال الشاب بعد أن سمعت قصته من العم نور، الشاب ينتقل من سجن إلى آخر، وقد انتهى المطاف بأن يكون سجينا لمنزله الآن، لهذا أردت أن أشعره بالحرية التي اشتاق لها، وأظن أنني نجحت في هذا.. كنا ننتقل بين الباعة ولا نقف لفترات طويلة حتى لا نثير الشكوك، ثم قمنا بالسير على (الكورنيش) وأنا أشعر بانبهاره وهو يتلفت يمينا ويسارا، رغم منظره المخيف، فهو لا يزال يمتلك قلب طفل بريء!

بعد نصف ساعة، انتبهنا أن الوقت قد مر بسرعة وعدنا إلى المنزل، من حسن حظنا أن الجار المخيف لم يكن واقفا على الباب، دخلنا بحذر إلى داخل المنزل، الحمد لله، العم نور ما زال في عيادته، أزال غابرييل أدلة الجريمة، ثم قمت بإخفائها حتى نستخدمها في وقت آخر!

- «غابرييل، لقد نسيت أن تمسح وجهك من المكياج»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

مسح وجهه ثم جلسنا على الأريكة بكل براءة كأننا لم نفعل شيئا، ضحكت وضحك غابرييل، أمسك اللوح وكتب:

- «أشكرك يا رشا، أنا سعيد بوجودك هنا»

جعلني هذا أشعر بالحرج، لم أشعر أنني في إحدى القصص الخيالية، قصة الجميلة والوحش بالتحديد، لا تفكري هكذا يا رشا.. أنت أنضج من أن تعيشي في قصة خيالية..

- «وأنا سعيد بوجودك»

- «هناك شيء وأنا محرج أن أخبرك عنه؟»

احمّر وجهي، هل سيعترف بحبه لي الآن؟!

«تفضل، لا تشعر بالإحراج» قلتها بصوت مرتجف!

- «أريد أن.. تقرأيّ لي الكتب، لا أستطيع القراءة من دون أن أمزق الكتب!»

كدت أن أحطم اللوح على رأسه! أهذا ما يريده بعد تلك المقدمات الدرامية!

- «في الواقع لدي امتحانات الفترة القادمة، لكن لدي حل يناسبك!»

أخرجت هاتفي وقمت بتحميل أحد برامج الكتب الصوتية الناطقة بالإنجليزية..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «سأشغل لك الكتاب الذي تود قرأته وسوف تستمع إليه صوتيا، بينما سأدرس أنا في الغرفة هنا، هكذا لن تتأثر دراستي وأنت ستستمع لما تريده، وإن احتجت لتغيير الكتاب فما عليك سوى أن تشير لي»

وبالفعل بدأنا بهذا، الغريب أن اختيارات غابرييل كانت كتبا طبية في كل مرة.. إنه مختلف، أنضج من عمره! لكنه مع ذلك بريء كالأطفال!

- «أعدك يا غابرييل أننا سنخرج في مغامرة أخرى لمشاهدة بعض العوالم الأثرية في مصر بعد أن أنتهي من الامتحانات»

- «سيكون هذا رائعا، أنا متحمس لذلك»

لم أشعر بتعلق خفي نحو غابرييل؟!

لم أشعر بأنني في قصة الجميلة والوحش؟!

لم أشعر بالسعادة حين أكون بقربه؟!

لا أعلم، لكن لا يجب أن أظهر له هذا..

***

أنا نور كريم، بعد أن عدنا إلى مصر كان غابرييل يشعر بمثل قاتل، حاولت أن أفعل ما يمكن حتى أزيل عنه ذلك الشعور لكني لم أنجح، لا يمكن أن أنكر بأنه سجين هنا أيضا، أتمنى لو كنت قادرا على أخذه للخارج كي يرى مصر، لكن هذا سوف يضره..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

البشر يا عزيزي غابرييل يخافون من المجهول، ويحكمون على الأمور بناء على أشكالها، بالنسبة لهم جميل المنظر يستحق المحبة والاحترام والحياة، والقبيح يستحق الكراهية والشر وقد يقل ذلك إلى درجة الحكم عليه بالموت، في أكثر من 99% من الأفلام التي تعرض، يكون البطل وسيقا للغاية، أما الشرير لا تخلو ملامحة من القبح، لقد أصبح ذلك الحكم جزءا من تكويننا، في الشركات هناك من يتم تعينه في مناصب بناء على جاذبية منظره.. وهناك من يحكم عليه بأسوأ الأعمال لقبحه، تلك الازدواجية في التعامل مع الأمور موجودة لدى البشر، لهذا يا غابرييل يجب أن أحميك منهم!

من الجيد أنه في الآونة الأخيرة أصبحت أرى غابرييل أكثر سعادة، السبب أنه كان يقضي الوقت مع رشا ابنة صديقي رامي، إنهما قريبان من العمر، وأعتقد أنها تستطيع أن تفهمه أكثر مما يستطيع رجل عجوز، لهذا أشعر براحة كبيرة بوجودها بقربه، لكني ألتمس أنهما يخفيان سرا عني، رغم ذلك لن أتدخل كثيرًا..

قام رامي بتسليمي قائمة الأجهزة التي يجتاحها بعد أن درس الأمر بعناية، وقد قمت بطلبها، بالطبع احتجت لأن أتحدث مع السفير الروسي حتى يسهل بعلاقاته بعض الأمور، وهكذا بعد أن دفعت ثلث ما أملك على هذا وبعد العديد من الشكاوى الصادرة من جاري رائد بسبب رؤيته للأجهزة العملاقة تدخل إلى العمارة، كنا قد هيئنا أول عيادة متكاملة لعلاج التشوهات القصوى!

الأمور تتحسن، حتى فلاد الصامت قد تغير وأصبح يأخذ حاجته من الطعام ويعود لوقفته الشهيرة وهو يتناول ما أخذه!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الأمور تسير بخير..

لكنها للأسف لم تستمر هكذا..

هذا لأنني في صباح اليوم التالي، وجدت نافذة العيادة محطّمة، لا أثر لسرقة لكن هناك مغلف أسود اللون ملقى في داخل العيادة، مكتوب عليه بالروسية:

- «من ملائكة الموت الأسود إلى غابرييل كاستيلو»

هبط قلبي إلى قدمي، أليس من المفترض أنه لم يتبق من تلك المنظمة أحد؟! فتحت المغلف وأنا أرتجف، ووجدت وحدة تخزين، لم أفكر كثيرًا وقمت بوضعها في الحاسوب وتشغليها، فيديو لرجل ذي الصوت المخيف وزي أطباء الطاعون وقال:

«هذه الرسالة موجهة إلى غابرييل كاستيلو، لقد تم اختيارك لتنضم لملائكة الموت الأسود، إن كنت تريد الحفاظ على حياتك وحياة من تهتم لهم، سوف نجدك أينما كنت لأخذك سواء وافقت أم لا، لديك مهلة ثلاثين ساعة من الآن لتودع من تحب!»

إنه قائد المنظمة، إنه إيفان اللعين، ما زال حيًّا!

أمسكت هاتفي وأجريت مكالمة مع أكثر شخص أثق به في روسيا، كنت أصرخ من هول الموقف:

- «فيرونيكا.. لم يمت، لقد عاد وهو يريد أن يأخذ غابرييل!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «نور، لقد أيقظتني من النوم.. إنها السابعة صباحا هنا في موسكو، على الأقل تصرف بلباقة وقل صباح الخير وتوقف عن الصراخ، هذا غريب، كنت سأتحدث معك اليوم وأخبرك..»

- «الأمر جاد للغاية يا فيرونيكا! لقد عاد إيفان»

- «ماذا؟ أخبرني ما الذي دفعك لتستنتج هذا؟»

بعد أن أخبرتها بكل شيء، قالت:

- «أرسل لي الفيديو حالا سوف أجد حلًا مع رئيس هيئة الأركان في أسرع وقت»

أنهيت المكالمة وأرسلت الفيديو لها..

كنت أفكر بصوت مسموع:

- « كيف عرف ملائكة الموت الأسود موقعي؟!»

لكني سمعت صوتًا لأول مرة أسمعه:

- «الأهم من هذا من قام بوضع تلك الرسالة؟»

كان ذلك فلاد، قلت:

- «أنت تستطيع الكلام؟! لقد اقتنعت بأنك قادر على ذلك، أيضا أنت تتكلم العربية!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

«الوضع خطير أيها الطبيب، هذا يعني أنه هناك أيد خفية لهم في مصر»

هذا مرعب بحق!

يا إلهي.. لم يرفض هذا الكابوس أن ينتهي!

***

أنا رامي إبراهيم، منذ أن أخبرني نور عن حالة غابرييل، لم أتوقف للحظة عن البحث ودراسة حالته، انغمست في العمل حتى أخمص قدمي، لقد شعرت بأن الفراغ الموجود في قلبي قد اختفى مؤقتا، كنت أخشى أن تنزعج رشا من هذا، لكني لاحظت أنها سعيدة مؤخرا، وقد كانت تبتسم دون توقف، أنا لم أز طفلتي الحبيبة تبتسم منذ أن توفيت والدتها.. لقد كانت نقطة الانتقال إلى العيادة الجديدة مرحلة جيدة لها، حتى تحصيلها الدراسي تحشن! لا أعلم ما السبب الحقيقي.. لكني سعيد من أعماق قلبي!

أصبحت العيادة جاهزة، عيادة فريدة من نوعها في الشرق الأوسط، الآن سوف أقوم بدراسة الأجهزة وعمل محاكاة للعمليات القادمة، وأخذت عينات من جسد غابرييل كي أقوم بفحوصات شاملة، لن أستطيع تطبيق شيء سوى إن تم علاج غابرييل من الداخل أولا، ولهذا لن أبدأ بأيّ من العمليات، لكن أستطيع القيام بفحوصات حتى أتأكد من كل شيء، يجب أن أكون دقيقًا وحذرًا، فخطأ واحد قد يكلفنا حياة غابرييل..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

حين صعد لعيادة نور حتى أساله إلى أين وصلوا رفاقه في روسيا في بحثهم عن مصل غابرييل، لاحظت أنه لم يفتح باب عيادته لمرضاه اليوم، كان شارد الذهن وممتقع الوجه..

قال نور:

- «لا أعلم ما الخطوة القادمة، هل نرحل من هنا؟»

- «لا أظن أن هذا سينجح، لقد قال بشكل صريح أنه سوف يجد غابرييل، لا بد أنهم يراقبون تحركاتكم!»

قلت مقاطعا مشهد كلام فلاد الأسطوري:

- «ما الذي يحدث؟ فلاد أنت قادر على الكلام! لقد كنت أظن أنك أخرس!»

قال نور:

- «هذا ما كنت أظنه أيضا، لكن هناك شيء أهم من هذا كله، إن غابرييل في خطر، لقد عادت ملائكة الموت الأسود!»

- «لكنك أخبرتني أنه تم القضاء عليهم!»

- «هذا ما كان الجميع يظنه، لقد قاموا بإرسال رسالة لا تخلو من التهديد وقالوا أنهم سوف يأتون لأخذ غابرييل عنوة بعد أقل من يوم ونصف»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «بلغ الشرطة يا نور»

- «الأمر يا رامي أكبر من إمكانيات الشرطة، أنت تتحدث عن منظمة إرهابية عالمية قد استطاعت أن تصل إلى مصرا بالإضافة سيكون من العسير شرح ما حصل لغابرييل للشرطة»

- «ما الحل إذن؟»

- «هذا هو سؤال المليون.. ما الحلّ يا ترى؟!»

بعد ساعات من النقاش وطرح الأفكار، رن هاتف نور، مكالمة من الدكتورة فيرونيكا التي أخبرني عنها سابقا، قالت:

- «نور، لقد قمنا بعقد اجتماع طارئ لإيجاد حلول لما يحدث، وقد قرر رئيس هيئة الأركان إرسال أحد الضباط مع فريقه لحمايتكم، تطوعت للقيام بذلك، لكنه رفض لأنني مسؤولة عن مهمة أخرى، لهذا قام رافاييل فيدوروفا بالتطوع، إنه صديقي وأحد الضباط من الرتب العليا وتستطيع الاعتماد عليه للقيام بالمهمة»

- «هذا جيد، هل هناك أخبار عن المصل المطور؟»

- «أجل يا نور، لقد انتهى الفريق من تطوير المصل، هذا ما كنت أريد أن أخبرك به صباح اليوم، ما زال هناك تأثير جانبي يجب أن تتخلص منه قبل أن نقوم بإعطائه لغابرييل.. جزء من الخلايا من عينات غابرييل تصرفت كأنها تحترق، سيكون المصل مؤلفا للغاية وقد يقتل هذا غابرييل، لهذا نحاول أن نزيل هذا التأثير!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أشكرك يا فيرونيكا، أرجو أن تبقيني على اطلاع إن نجح فريقك»

وأنهى المكالمة، قال نور:

- «من الأفضل أن أخبر غابرييل بما يحدث، ليس من العدل أن أخفي عنه أنه في خطر»

هكذا توجهنا إلى داخل المنزل، والمفاجأة.. أن غابرييل لم يكن في المنزل! صرخ نور وهو يبحث في الأرجاء:

- «غابرييل! هل اختطفوه؟ اللعنة.. هل كانت مهلة الثلاثين ساعة مجرد كذبة!؟»

لكن السؤال الأهم لي..

- «رشا؟ أين هي؟ لقد اختفت رشا أيضا!»

***

أنا رشا رامي.. اليوم أول يوم من العطلة، بعد أن استيقظت بساعة، ذهبت إلى الطابق الثالث حيث غابريل، حين رآني كان يقفز بسعادة، أمسك اللوح وكتب عليه:

- «أخيرا انتهى الفصل الدراسي»

- «هل اشتقت لي؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «بالطبع، لقد وعدتني أن تخرج لمشاهدة بعض المعالم الأثرية احتفالاً بانتهاء الفصل»

- «أين العم نور؟»

- «إنه مشغول في العيادة»

- «إذن هيا نخرج لنحتفل الآن»

بدأنا بعمل الطقوس المعتادة قبل الخروج، المكياج، المعطف، القفاز، القبعة، النظارة الشمسية وقناع الفم! تسللنا من باب المنزل، من حسن حظنا أن الجار رائد اصبح يتجاهلنا حين يرانا، فقط يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، ما استطعت أن أفهم منها هو «جيران آخر زمن» و«لم يعد هناك أحد محترم» و«أوغاد!»

ويغادر بعد ذلك...

هذه المرة ركبنا سيارة أجرة، كان السائق يحاول الكلام مع غابرييل:

- «أين ستذهب يا أستاذ؟»

قلت:

- «أخي هنا مصاب بحنجرته ولا يستطيع الكلام، خذنا إلى قلعة قايتباي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هكذا أخذنا السائق إلى القلعة، نزلنا من سيارة الأجرة ودخلنا إلى داخل الساحة الخارجية، ابتلعت ريقي وقلت لغابرييل:

- «هل أنت مستعد؟ هناك نقطة تفتيش صغيرة قبل الدخول إلى القلعة، في حال شعرت أن الأمور سيئة، اهرب بأسرع ما تستطيع»

هززت رأسي، هذه أول مرة نذهب إلى مكان يحتوي على أمن، أشترتي التذاكر. تذكرة لعربي وتذكرة لشخص أجنبي ووصلنا إلى نقطة التفتيش، قال رجل الأمن:

- «لم تلبس هكذا؟»

- «إنه أجنبي ومصاب بطفح جلدي نادر يجعله يتحسس من الشمس بشدة»

«من أين حضرتك؟» قالها بالإنجليزية هذه المرة!

- «إنه روسي ولا يتكلم سوى الروسية!»

- «وحضرتك المترجمة الخاصة له إذن؟»

- «أجل!»

- «قولي له بأن يخرج بطاقته الشخصية»

يا لها من ورطة.. أنا لا أتكلم الروسية وغابرييل لا يحمل أيّ بطاقة شخصية!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

قلت متظاهرة أنني أتكلم الروسية وكنت أكثر من حرف الخاء والشين والـ(أوف)..

كلمات على غرار (شلوخوف ماكورلوف بطقاتوف..)

كان غابرييل ينظر لي بحيرة، بينما وجهي يحقر، لقد انتهى أمرنا..

- «خلاص، أدخلا، لقد اصبح هناك طابور من الناس خلفكما»

لا أصدق أن هذا نجح.. بعد أن ابتعد عن رجل الأمن ما فيه الكفاية.. سقطت على الأرض من شدة الضحك.. (شلوخوف وماكورلوف!)

أخبرت غابرييل عن سبب ضحكي وسبب تلك الكلمات الغريبة، خرجت منه ضحكة على شكل زئير لكنه أغلق فمه بيده بسرعة.. نظر الزوار نحونا، فقلت:

- «اعذروه، أنه يتجشأ بطريقة غريبة»

وهكذا أكمل الزوار طريقهم..

- «الآن دعنا نتجول في القلعة يا غابرييل، دعنا نر البحر من برج القلعة، ونسر على أسوار القلعة لترى جمال الإسكندرية»

بعد أن انتهت الجولة، قمنا بشراء مثلجات من خارج القلعة، بالطبع لتناولها في المنزل، فغابرييل لا يستطيع أن يكشف عن وجهه.. أوقفنا سيارة أجرة وعدنا إلى المنزل!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

حين دخلنا.. كان والدي والعم نور يقفان في الصالة ممتقعي الوجه، لأول مرة أرى نظرة الغضب هذه على وجهيهما، قال نور:

- «ما الذي تفعلانه؟ نحن كدنا نجن وأنتما..»

ثم تنهد بغضب:

- «ما الذي تفعلانه بالضبط؟!»

قال والدي الذي كان يرتجف:

- «هل تستمتعان بوقتكما بينما نحن نموت قلقا عليكما؟»

كان من العسير أن أشرح لهما ما حدث، لقد آذيت والدي والعم نور واستسلمت للبكاء:

- «أنا آسفة، لم أقصد هذا..»

أمسك غابرييل اللوح وكتب عليه:

- «أنا المسؤول عن كل هذا، لقد طلبت من رشا أن تخرجني لأنني شعرت بالمثل القاتل»

عم الصمت الدرامي المكان.. ثم نطق آخر شخص كنت أظن أنه سيتحدث، فلاد:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «هل من الممكن أن توقفوا الجو الدرامي هذا، هناك أمور أهم من هذا كله!»

***

أنا فلاد فولكوف، بعد أن هدأت الأمور وانتهى نور من توبيخ غابرييل ورشا، غادرت رشا ووالدها، ثم قال نور لغابرييل:

- «غابرييل، نحن قلقنا عليك لأن ملائكة الموت الأسود قد عادوا وهم يريدون أخذك»

صُدم غابرييل مما سمعه ثم طأطأ رأسه بأسف، وكتب على اللوح:

- «أنا أعتذر يا نور على جعلك تقلق علي»

- «لقد انتهى ذلك الآن، لا أريد المزيد من الحركات الصبيانية أو الأسرار»

- «حاضر، أعدك بذلك، ماذا سنفعل الآن؟»

- «لقد تحدثت مع فيرونيكا، سوف يأتي أحد الضباط وفريقه ليساعدنا»

- «ألن تأتي فيرونيكا؟»

- «نعم» أنها مشغولة في تطوير المصل، سوف يأتي الجنرال رافاييل فيدوروفا، زميل وصديق فيرونيكا، ونستطيع أن نثق به»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كان غابرييل يرتجف، قال نور:

- «غابرييل، ما الخطب؟»

كتب على اللوح بخط مرتجف:

«رافاييل فيدوروفا، أنا بحاجة لأن أتحدث مع ذلك الرجل»

- «لماذا؟ هل تعرفه؟»

- «لا، لكنه يعرف والدي، وقد ترك والدي رسالة لأوصلها له»

- «ما هي تلك الرسالة؟»

- «أخبرني أنني أمتلك مادة الh08 في داخلي وأعطاني عبوة فارغة عليها أرقام ما»

- «المادة 081، ما تكون يا ترى؟»

- «لا أعلم»

- «هل تذكر الأرقام التي كانت على العبوة؟»

- «أجل، لقد كانت h-8-3657N9» كتب نور الأرقام على ورقة، ثم قال بعد تفكير:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا أعرف ما دلالته، من الغريب أن تتذكر هذا الرقم المعقد منذ أن مات والدك!»

- «لقد أنعش المصل ذاكرتي حين أعطتني إياه فيرونيكا!»

- «حسنا يا غابرييل، سأكون في العيادة أفكر في الأرقام، في هذا الوقت إن تذكرت أيّ شيء آخر فأخبرني به مباشرة»

- «حاضر»

كتب غابرييل الأرقام بخط كبير على اللوح:

«h-8-3657N9»

ثم غادر نور من الصالة وتبعته! في مساء اليوم رن هاتفي، لقد كان رئيس هيئة الأركان، قال:

- «فلاد، إن الجنرال رافاييل في طريقه إلى مصر، سيتولى عملية إمساك الإرهابيين، وسينقل الشاب إلى مقر آمن إلى أن تنتهي العملية، على أقصى تقدير سيصل في صباح الغد، وحين يصل أطلعه على كامل المعلومات»

- «حاضر سيدي»

- «من هذه اللحظة إلى نهاية الخطر، ستعمل تحت أمرته»

- «هذا مفهوم يا سيدي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

صوت بداخلي يخبرني بأن الأمور ستكون خطرة ويجب أن أساعد الطبيب..

***

أنا رشا رامي، خرجنا من عند منزل الدكتور نور بينما والدي يردد:

- «أيتها الفتاة، هذه آخر مرة تذهبين لهذا المنزل، وجودك مع ذلك الوحش أتلف عقلك؟»

- «لكن يا أبي، أنا من أقنعت غابرييل بالخروج، لقد أشفقت على حاله»

- «لهذا يجب أن لا تعودي إلى منزل نور مرة ثانية، هذا نهائي، اذهبي إلى غرفتك الآن!»

ذهبت إلى غرفتي باكية وأنا أنظر لصورة والدتي.. في المساء، طرق والدي باب الغرفة وأخبرته بأن يدخل، قال:

- «أرجوكِ لا تحزني يا ابنتي، لقد قلقت عليك، لا أريد أن أفقد شخصا عزيزا علي مرة أخرى»

- «أنا أعلم هذا يا أبي، لكنك لا زلت تعاملني كطفلة صغيرة منذ أن توفيت والدتي»

- «وأنت ستبقين كذلك طوال الحياة بنظري يا رشا، هذا هو قلب الأب ولا أستطيع أن أخالف هذا، أنا لا أريد سوى الأفضل لك يا ابنتي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لكن غابرييل..»

- «بالنسبة إلى غابرييل، تستطيعن زيارته، لكن من دون أن تتصرفا بحمق، هل هذا واضح؟»

«حسنا، أعدك بهذا» قلتها وأنا أمسح الدموع

- «لقد تأخر الوقت الآن، في الغد تستطيعين زيارته، الآن ارتاحي قليلا يا رشا!»

هكذا انطلقت في صباح اليوم التالي إلى منزل غابرييل، كانت الأمور قد هدأت عنده أيضا، لكني وجدته ينظر بتمعن نحو أرقام وحروف على اللوح، وقفت مقابله وتمعنت في الأرقام..

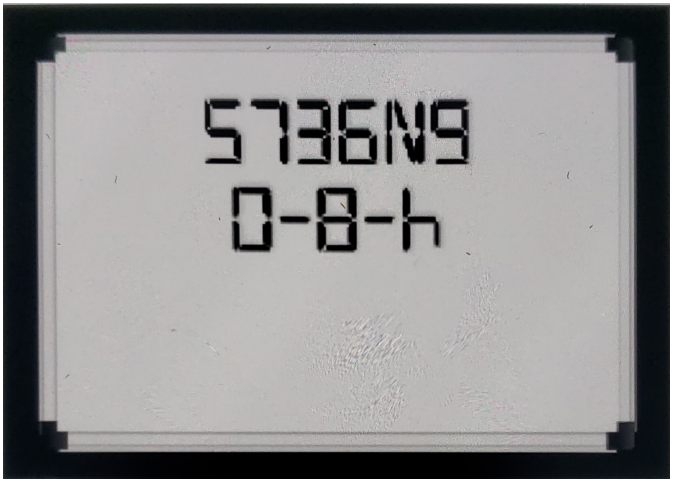

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أهذا لغز؟»

كتب على الطرف السفلي من اللوح:

- «أهلًا رشا، أجل إنه شيء كذلك»

جلست بقربه وبقيت أتمعن لدقائق من جهتي وقلت:

- «إن الرقم الطويل يبدو ككلمة إن نظرت له بالمقلوب من زاويتي، هذا يشبه لغز قرأته في إحدى الروايات»

قلب غابرييل اللوح ثم كتب:

- «أنا لا أرى كلمة»

- «انظر جيدًا..»

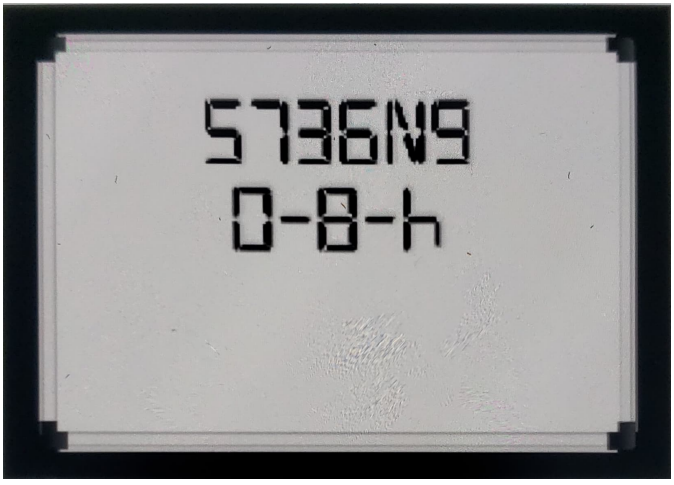

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أمسكت القلم وبدأت أشرح له:

- «إن رقم خمسة بالمقلوب يشابه حرف S، هكذا 7 تساوي 3 ،L تساوي 6 ،E تساوي و، لا تنس أننا قلبنا الرقم 180 درجة، N تبقى كما هي حين تقلب، 9 تساوي a.. هذا يعطينا كلمة aNgELS أيّ ملائكة»

رأيت الرعب على وجه غابرييل، أمسك القلم من يد وأكمل على الأرقام المتفرقة:

«h مقلوبة هي 4، رقم 8 أقرب حرف له هو B،

رقم 0 يصلح أن يكون 0 أو الأحر D..

النهاية نحصل على B-D-4 angles اختصارا لـ for Black Death Angels!! أيّ إلى ملائكة الموت الأسود!!»

«ماذا يعني هذا يا غابرييل؟!»

كان يبكي ويرتجف كالمصروع، حاولت تهدئته وقلت:

«غابرييل، أرجوك اهدأ، ما الأمر؟»

كتب بخط مرتجف:

«هذا يعني أن والدي.. جزء من تلك العصابة منذ البداية!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

***

أنا غابرييل.. لا أستطيع أن أتقبل هذه الحقيقة المرعبة، والدي كان من اعضاء ملائكة الموت الأسود، كنت أظن أن الأشخاص الذين كانوا يلاحقوننا حين كنت طفلاً هم الأشرار، لكن تبين العكس، لقد كانوا يحاولون منع والدي من إيصال ذلك الدواء للمنظمة، لكن...

لمَ كام يريد والدي أن أتواصل مع الجنرال رافاييل فيدوروفا؟

هل هذا يعني أنه هو عميل لتلك المنظمة! تمالك نفسك يا غابرييل.. يجب أن أخبر نور قبل أن يأتي رافاييل! ركضت نحو باب العيادة، ولحقت بي رشا، حين وصلت.. فتحت الباب..

كان نور واقفا وهو يصافح رافاييل..

- «أهلا وسهلا بك حضرة الجنرال، أنا أشكرك أنت ورجالك لقدومكم لمصر حتى تحموا غابرييل»

- «لا تقلق يا دكتور، سوف ننقل الفتى إلى مقر آمن، وسنبذل قصارى جهدنا حتى يتم القبض على أعضاء المنظمة الإرهابية، لقد وعدت فيرونيكا بأنني سأحرص على سلامته»

لا يا نور، لا تثق به.. أنه العدو، ماذا سأفعل؟ إن قمت بمهاجمتهم، فشوف يطلقون النار، وقد يقع نور ورشا ضحايا وسط هذه النيران..

انتبه رافاييل لوجودي وقال:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «غابرييل.. يا ابن ماركوس كاستيلو.. كنت أنتظر بفارغ الصبر أن أراك»

الحل.. الحل هو أن أهرب.. سوف يلاحقونني وسيتركون نور ورشا في حال سبيلهم! هكذا تراجعت إلى الخلف، ثم أسرعت راكضا نحو باب المنزل الخلفي، صدمت بوجود رجال رافاييل واقفين أمام الباب الخلفي، كان نور ينادي:

- «غابرييل ما المشكلة؟ لا تقلق إنهم في صفنا»

أعتذر منك يا نور، أرجو أن يتركوك وحدك، في تلك اللحظة رشا ستتكفل بإخبارك بما وصلنا إليه.. الآن يجب أن أهرب، من أين؟

أعرف من أين.. من الشرفة، هكذا أسرعت وقفزت من الشرفة..

***

أنا رائد عماد، المسؤول عن عمارة الحياة 16، اليوم في الساعة العاشرة صباحا توقفت سيارات ضخمة سوداء ونزل منها جنود من دولة ما، لا ليسوا جنودا مصريين، فوجوههم ليست عربية، وزيهم لا يشبه الزي الذي أعرفه، ألم أقل لكن أن الرجل يخفي سرًا..

أنا مستعد أن أحلق حاجبي إن لم يكن الرجل عميلا سريا لدولة معادية، لقد أخبرت الجميع مسبقا لكن لم يصدقني أحد الجيران. كعادتي كل صباح كنت أنظف مدخل باب العمارة، وأراقب كل بضع دقائق منزل الطبيب، ثم لمحت شيئا يقف على شرفة الطابق الثالث، ما هذا يا ترى؟

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ثم قفز ذلك الشيء! ولم يستغرق الكثير من الوقت حتى سقط أمامي، اهتزت الأرض تحتي وسقطت، نظرت وقلت:

- «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!»

زحفت إلى الخلف وأنا أرى ذلك الكائن:

- «عفريت.. عفريت سوف يأكلني!»

لكن الكائن وقف وهرب مسرعا.. ذلك الطبيب اللعين.. أيحضر العفاريت والجان أيضا.. سوف أجن منه.. يجب أن أخبر الشرطة.. فأمن العمارة يقع على عاتقي.. كنت أحاول الدخول إلى منزلي حتى أقوم بمكالمة الشرطة، لكن الجنود كانوا يتدافعون ليلحقوا بذلك العفريت! بعد أن خرج الجميع، دخلت إلى المنزل وقمت بإبلاغ الشرطة، بالطبع لم يصدقوني، قال الشرطي:

- «على الأغلب هذه تخيلات.. لكن على كل حال، سوف نأتي لتفقد الأمر!»

حتى الشرطة لا تصدقني..

سوف تحدث حرب عالمية ثالثة وأنتم نائمون على آذانكم!

وحينها ستندمون وستقولون أن رائد قد حذرنا ولم نصدقه!

***

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أنا الجنرال رافاييل فيدوروفا.. بعد رحلة من روسيا إلى مصر، توقف السائق السيارة أمام منزل الطبيب، وتوقفت شاحنات الجنود خلفنا، خرجت أنا مع بعض من جنودي، ودخلنا العيادة، رحب بنا الطبيب، لكن فور أن شاهدنا ابن ماركوس كاستيلو هرب فورا.. ترى ما الذي أخافه؟

ألقيت أمر للجنود:

- «اتبعوه وأمسكوا به من دون أن تؤذوه!»

انطلق رجالي خلفه، نظرت إلى فلاد وقلت له:

- «وأنت أيضا يا فلاد، هيا انطلق، لا أريد لأحد أن يبقى هنا!»

تردد فلاد قليلا ثم قال:

- «حاضر» ونظر نحو نور وقال:

- «سوف أضمن سلامة غابرييل، لا تقلق يا دكتور نور»

خرج فلاد، وقال الطبيب بقلق:

- «أنا لا أفهم ماذا حصل، غابرييل لا يتصرف بغرابة هكذا؟»

- «قد تكون له ذكريات أليمة مع الجنود وحين رآها تذكرها؟!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كانت هناك فتاة شابة خلف الطبيب وكانت تشده من كمه.. هل تريد إخبار الطبيب شيئا؟

- «أيتها الفتاة.. إن كان هناك شيء مهم فقوليه الآن» قلتها بالعربية التي أتقنها!

قالت بشيء من الارتباك:

«لا، لا أريد شيئا ذا أهمية م العم نور، فقط أردت أن أسأله عن إن كان غابرييل بخير أم لا؟»

أرى علامات الكذب على وجه الفتاة؟

لكن هذا لا يهمني.. قلت للطبيب:

- «لدي عدة أسئلة عن غابرييل أحتاج أن أسألك عنها»

- «تفضل اجلس»

- «أفضل مكانًا بعيدًا عن النوافذ، لا أريد أن أترك فرصة لأحد كي يسمع ما نقول»

- «إذن لنذهب إلى الصالة»

بدأت الفتاة تشد كم الطبيب بقوة وتوتر أكبر، وقف الطبيب وقال لها:

- «أنا قلق أيضا على غابرييل يا رشا، لا زلت لا أفهم ما حصل له»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

أسرعت الفتاة ودخلت قبلنا إلى الصالة، حين دخلنا رأيتها تحمل لوح كتابة وتمسح ما كتب عليه، ما خطب الفتاة؟!

جلست أنا ونور وقال:

- «أعتذر عن الذي حدث، لقد كان غابرييل يرغب بشدة بأن يراك، لقد قال أن والده كان يعرفك، ويبدو أنك تعرف والده جيدًا، فلقد ناديته غابرييل بابن ماركوس»

- «أجل، تربطني علاقة صداقة قوية بالرجل» قامت الفتاة بالذهاب إلى المطبخ وصنع قهوة لنا.. كانت تبتسم ابتسامة صفراء متوترة، أقسم أنها تتصرف بغرابة!

قلت: «هل ذكر غابرييل أيّ شيء آخر يتعلق بوالده؟»

- «أجل، لقد كانت هناك أرقام، أنا لا أتذكرها.. لا لحظة، أنها في جيبي!»

تلك الفتاة تقدم القهوة في صينية ضيافة كبيرة، هذا كأن تضع حبتي بازلاء في طبق طعام كبير، ما خطب الفتاة؟!

مدت صينية الضيافة بيدين ترتجف كورقة، حتى أن محتوى فنجان القهوة قد انسكب نصفه، أخذت الفنجان فقط كي تبتعد من أمامي، ثم أكملت مع الطبيب:

- «أرجو أن تعطيني الورقة، قد تكون تلك الأرقام ذات أهمية لنا»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

فجأة ومن دون مقدمات.. قامت الفتاة بتحطيم صينية الضيافة الكبيرة على رأسي!

«رشا؟! ما الذي تفعلينه؟! هل تحاولين قتل الرجل؟!» صرخ نور..

كان الجرح عميقًا، وشعرت بالدوار.. والدماء تسيل من رأسي وسقطت على الأرض..

كانت الفتاة تصرخ:

- «إنه خائن، لا وقت للشرح، يجب أن نهرب!»

أهي تستهن بي أنا جنرال خضت حروبا لا حصر لها، أتعتقد أنني سأفقد الوعي من ضربت كهذه.. وقفت وأمسكت الفتاة من ذراعها بسرعة وكدت أن أحطمها.. وثم أخرجت مسدسي من جيبي وقلت بغضب..

- «لم فعلتي هذا أيتها الحمقاء!»

- «أنت.. أنت من منظمة ملائكة الموت الأسود، لقد كشفنا حقيقتك!»

- «أنت مخطئة.. أنا لست منهم»

- «لقد كشفك غابرييل ولن يتوقف عن الهرب، أنت لن تمسك به»

لكن كيف؟ لقد حرصت ألا أثير الشكوك حولي..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لا يوجد داع لأن أخفي هذا أكثر.. أحتاج للطبيب للامساك بابن ماركوس! وعاجلًا أم أجلًا سوف يكتشف الطبيب الحقيقة..

- «حسنا، أنا بالفعل من المنظمة!»

قال نور وهو مصعوق:

- «أنت.. أنت معهم!»

صرخت معنفًا الفتاة وقد رفعتها عن الأرض:

- «هل كنت تظنين أنك قادرة على أن تسقطي جنرالا؟! أيتها اللعينة، لقد تسببت في جرح عميق ومؤلم في رأسي، أنا أود أن أنتقم منك شخصيًا الآن وأفجر رأسك»

ثم تلقت نحو نور وقلت:

- «لكن إن تعاونت أيها الطبيب فسوف أتركها من دون أذى»

قالت الفتاة متألمة وهي تبكي «أرجوك.. توقف.. هذا.. مؤلم»

نور: «حسنا، اتركها أرجوك، سوف أقول كل شيء تريد، فقط لا تؤذها!»

ضربت رأس الفتاة بكعب مسدسي لتفقد الوعي، لا أريد المزيد من مسببي مشاكل بعد الآن.. ألقيت بها بعنف على الأريكة.. وقلت وأنا أشير بالمسدس نحوها:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أخبرني كل شيء قاله غابرييل، إن شعرت أنك تكذب علي فسوف أقتل الفتاة!»

- «حسنا»

قال لي الطبيب كل ما أخبره به غابرييل..

ما قاله كان يؤكد شكوكي.. بالفعل مادة h08 المفقودة هي الآن تجري في عروق ابن ماركوس!

بعد لحظة صمت، قال الطبيب:

- «ما لا أفهمه يا رافاييل ساعدتنا في آرتش آنجل؟!»

- «لا تكن أحمق، لم يكن الهدف أن أساعدكم، في البداية كنت أريد أن أتخلص من فيرونيكا، إنها من أولئك المتعصبين لأفكارهم ويصعب أن تقنعها، وكانت ستقف عائقا أمام خططنا لا محال، جرت الأمور كما توقعت وتطوعت فيرونيكا للقيام بتلك المهمة الانتحارية في آرتش آنجل، وقفت في صفها وأقنعتها بأن قراراها صائب، كنت سأقصف المدينة من دون تهاون، لكن ظهر غابرييل في المعادلة، رأيت تقاريره لأول مرة، كنت أتساءل لم كان هو الناجي الوحيد من التجارب في غواصة الإعصار، لم لم يمت حتى بعد تجربة أنواع خطرة من البكتيريا، واستنتجت أن إرث ماركوس موجود في دمائه، ونستطيع العودة للخطة الأساسية..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

حاولت أن أقنعك بأن تخرجه، لكنك وغد عنيد، حاول مرارا وتكرارا، ولم تغادر، لهذا قمت بإلغاء العملية، وإن لم تنجح في صناعة المصل في تلك المرحلة، كنت سأرسل رجالي ليخرجوكم عنوة عنكم»

- «بالطبع مقر المنظمة الذي تم قصفه كان وهميا، لا بد من أن هناك العديد من زملائك في جهاز الاستخبارات يتبع للمنظمة»

- «هذا صحيح..»

- «لكن ما هدف تلك العملية، لا أعتقد أنكم بنيتم الخطة على احتمالية أن تتطوع فيرونيكا، ما كان الهدف الحقيقي؟»

- «لم كل تلك الأسئلة أيها الطبيب.. هل تعتقد بأنك ستنجو كأبطال الأفلام لتخبر العالم بما حصل؟ أعدك بأن هذا لن يحصل»

- «أعلم أنك ستقتلني في النهاية، لكن دعني أتوقع الإجابة، لقد أردتم أن تقضوا على أيّ أمل للبشرية سوى ذلك الذي تعطوه لهم.. بعد أن تدمرت غواصة الإعصار، كان الأمل الأخير للبشرية هو مركز ارتش آنجل العسكري للأبحاث، أليس كذلك؟»

- «جيد أيها الطبيب، سؤال آخر وسأتجاوز أوامر الإمساك بك سليقا وأقطع لسانك!»

صمت الطبيب، أمسكت هاتفي وقمت بمكالمة مساعدي:

- «هل أمسكتم بابن ماركوس»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «ليس بعد، لكننا اقتربنا من أن نحاصره»

- «جيد، أعلمني حين تمسك به..»

جلست على الأريكة وأنا أمسك المسدس نحو الطبيب..

كم مضى من الوقت منذ أن أقنعتني يا ماركوس بأيدولوجيتك العميقة؟! عشرون عاما.. لا يمكن أن أنسى ما فعله الرجل حتى أقتنع به..

قبل عشرين عاما، كنت في مهمة للإمساك بأعضاء منظمة جديدة قد بدأت نشاطها بخفاء، وفي إحدى العمليات نجحت في إمساك ماركوس كاستيلو، قائد المنظمة، كنت أستجوبه بقسوة، لقد كان قلبي ميتا لهذا كنت أتلذذ بتعذيبه، لكن الرجل كان شجاعا، وكان مؤمنا بفكره وأيدولوجيته، بدأت أهتم لما يقول وأعطيته فرصة ليتحدث، كان يتحدث لساعات، ابتداء بأن هذا العالم يمتلكه أشخاص قلائل يتلاعبون بقذارة ومعظم البشرية هم مجرد ألعاب رخيصة الثمن بالنسبة إليهم.. الحياة لم تكن عادلة منذ بداية البشرية على الأرض، وكان البعض يعيش على موت آخرين إلى أن وصل بأن البشرية لا تدري بأنها ستصل لنهايتها الحتمية، ستقوم حروب يموت فيها الأبرياء، ويبقى أولئك الأشخاص في أمان داخل قصورهم يشاهدون تلك الحروب بكل استمتاع، وأخبرني عن أهدافه لنشر العدل، قال الكثير من الأمور التي أثرت في قلبي المتحجر، ذلك الرجل يمتلك أيديولوجية صادقة ومتكاملة..

أنا خضت حروبًا عدة في الشيشان، في جورجيا، في سورية وفي أوكرانيا، وقد رأيت العديد من البشر يموتون أمامي كالحشرات ولم تعد للروح البشرية أيّ قيمة أمامي، كنت أدركت وأتجاهل حقيقة أننا

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

نحن فقط أحجار على رقعة الشطرنج يتلاعب بنا أناس جالسون في أمان داخل منازلهم، لهذا كل ما قاله كان يلمس كل مشاعري..

لقد أخبرني ما المرض الحقيقي على الأرض! إنها البشرية التي تزداد أعدادها من دون توقف، وأولئك من يسيطرون على العالم ويتلاعبون به، وأخبرني ما العلاج..

كان ماركوس وفريقه من العلماء في ذلك الوقت على مشارف الانتهاء من صنع المصل المطلق 08، مصل قادر على جعل الخلايا تشفي نفسها بنفسها، ستصبح تمتلك مناعة من أيّ المرض، وستقوم خلاياك بعلاجك من أسوأ الإصابات حتى تلك التي قد تسبب موتك مقابل أن تضحي ببضع أشهر من عمرك، وهذا بالطبع أفضل بكثير من أن تخسره كله..

المخطط هو أنه سيتم صناعة المصل وتوزيعه على مختارين من هذا العالم، فقط لمليون شخص، ثم سيتم نشر وباء قاتل ليقضي على سبعة مليار بشري ما عدا أولئك المختارين، لقد أخبرني بأنني أحد أولئك الأشخاص المختارين..

انضممت للمنظمة، هناك القائد الأعلى الذي لا يعرفه سوى ماركوس، ثم الأعضاء الأساسيون، ماركوس وأنا وإيفان.. بعد فترة وصلتني أخبار من ماركوس بأن المصل المطلق أصبح جاهزا، لكن المشكلة أن هناك قوات أخرى تحاول قتلهم، كانت الولايات المتحدة قد أرسلت العديد من العملاء خلفهم، أخبرته أن يأتي إلى روسيا وسوف أساعده على ذلك وفيها نستطيع تحقيق أهداف المنظمة من دون مضايقات،

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

وانطلقت لأحاول تأمين عملية وصولهم، لكني كنت متأخرا، تم القضاء عليهم قبل أن أنجح في لقائهم لهم!

فقدنا مصل العلاج المطلق، وفقدنا ماركوس، لكن قائد المنظمة الأعلى لم يتوقف، وعلى مدى ثمانية عشر عاما كنا نقوم بخطوات صغيرة، ونجمع الأعضاء وننقل لهم أيدلوجية ماركوس ونحاول أن نمسك مراكز حساسة في الدول المختلفة..

قبل عامين بدأت ظاهرة البكتيريا الخارقة بالانتشار! وعلم إيفان عن التجارب التي ستحدث، حينها قام إيفان بإقناع قائد المنظمة بأن الوقت قد حان لنقوم بالخطة البديلة..

قاطع شريط الذكريات صوت طرق على الباب ثم صوت شخص ما:

- «افتحوا الباب، نحن الشرطة.. لقد وصلنا بلاغ عن نشاط مجهول يحدث هنا»

قلت لنور:

- «لا تتحرك أو تثر أيّ مشكلة، إن فعلت، فلن أتهاون في إطلاق النار على الفتاة»

توجهت نحو الباب، كان الشرطي يتحدث العربية:

- «هناك شكوى عليكم بسبب الإزعاج، أرى انك ترتدي زي الجنود الروسيين، هل لديك تصريح بالدخول إلى مصر؟!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

من الجيد أنني أتقنها، أخرجت أوراق الصلاحيات المقدمة من الدولة وأريتها للشرطي وزميله وقلت:

- «أنا في مهمة رسمية تحت رعاية الأمن العسكري هنا، أعتذر إن تسببنا في أيّ إزعاج!»

- «هل الأمور بخير؟ أنت تنزف من رأسك يا أستاذ؟»

- «كل شيء بخير، تفضل الأوراق»

كان الشرطي يتفحص الأوراق، ثم قال مرتبكا:

- «أعتذر يا حضرة الجنرال عن التدخل! تستطيع متابعة عملك»

ثم غادر.. حين عدت رأيت نور يتفقد الفتاة.. أخبرته بأن يعود إلى مكانه وإلا أطلقت النار عليها.. عاد.. ثم رن هاتفي.. إنه أحد رجالي:

- «سيدي، لقد حاصرنا المسخ في أحد المباني»

- «أرسل الموقع للسائق وسآتي على الفور»

قلت لنور:

- «هيا، امش أمامي، أيّ محاولة خرقاء تحاول أن تقوم بها ستنتهي نهاية مؤلمة لك»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هكذا جلسنا في السيارة السوداء التي كانت تقف أمام باب العيادة وانطلقت بنا نحو ابن ماركوس!

***

أنا نور كريم، كنت سعيدا حين رأيت رافاييل يدخل العيادة، لقد شعرت بأن غابرييل سيكون في أمان في وجوده، لهذا أرخيت دفاعاتي، لكني كنت مخطئا للمرة المئة، تبين أن رافاييل ذئب في شكل حمل، إنه أحد أعضاء المنظمة، كانت رشا بشجاعة تحاول إخباري بذلك، لكني لم أدرك هذا سوى متأخرًا..

بعد أن أدركت الحقيقة ورأيت رافاييل يخرج المسدس في يده ليوجهه نحو رشاء لم أتمكن من القيام بأيّ حركة من دون أن آثر شكوكه.. ألقى برشا على الأريكة ولاحظت ارتجافها، ثم حاولت أن أجعله يتكلم ويفصح عما يمكن إفصاحه لكنه لم يتحدث بالكثير.. ثم طُرق الباب.. لقد كانت الشرطة، لا بد أن جاري رائد قد قدم شكوى ضدي، سوف أشكره لاحقًا على هذا!

حين غادر رافاييل توجهت إلى رشا وقلت هامسًا:

- «رشا.. أنت مستيقظة؟ أليس كذلك؟»

فتحت عينيها في ضعف وقالت بصوت مرتجف خافت وهي تبكي:

- «بلى، أنا خائفة»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا بأس، لن يحدث لك مكروه، هل سمعت محادثتنا؟»

- «أعتقد هذا، لقد غبت عن الوعي للحظات!»

ثم وضعت شيئا في جيبها وهمست لها ما أريد أن تفعله.. دخل في تلك اللحظة رافاييل ولم أكمل الكلام، وتظاهرت بأنني أفحص إصابة رشا، صرخ بعصبية بأن أعود إلى مكاني، بعد ذلك رن هاتفه وطلب مني أن أغادر معه.. هذا جيد!

وصلنا إلى المبنى الذي قد حاصرته قوات رافاييل!

كان هناك من الجنود من يتعامل مع الجمهور التي تجمع حول المبنى، كانوا يتحدثون العربية، سمعت أحدهم يقول لشخص:

- «سيدي، يمنع التصوير، أرجو أن تبتعد، هذا موقع تصوير لأحد أفلام هوليوود، أرجو أن تغادر وإلا قد تفسد المشهد، وذلك سيسبب بغرامات مالية ضخمة لك!»

«لكني رأيت وحشا يدخل المبنى!» قالها أحد الأشخاص.

- «هذا ممثل محترف، وهو يرتدي زيا صنع خصيصا للفلم»

انسحب الجمهور بالتدريج بعد سماعهم عن غرامات مالية!

قال رافاييل لأحد جنوده:

- «لم لم تخدروه حتى الآن؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «إنه سريع جدا، كما أن جسده غريب وتتوقف بعض الطلقات عند طبقة الجلد الهلامي قبل أن تصل إلى جسده!»

- «أين هو الآن؟»

- «في أحد طوابق هذا المبنى التجاري»

- «هل أخرجتم من في المبنى؟»

- «أجل»

«إذن لم لم تمسكوا به حتى الآن» قالها واللعاب يتطاير من شدقيه!

- «سيدي، الوحش أتلف لوحة الكهرباء وهو يختبئ بمهارة بالداخل، نحن نبحث من دون توقف»

فكر رافاييل قليلا ثم قال:

- «حسنا، إن كان الأمر هكذا فسوف أدخل أنا والطبيب، أريد أن يرافقني فريق التخدير، وأحتاج مكبرا للصوت أيضا، أما البقية فليكونوا مستعدين للإمساك بابن ماركوس بالشبكة إن قفز مرة أخرى من إحدى النوافذ»

- «حاضر يا سيدي»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

دخلنا إلى داخل المبنى، كانت أشعة الشمس تتسلل من نوافذ السطح، لكن هناك العديد من الأماكن المظلمة الصالحة للاختباء داخل المستودعات والمتاجر بسبب إتلاف غابرييل للوحة الكهرباء!

أمسك رافاييل مكبر الصوت وقال:

- «يا ابن ماركوس، إن كنت تريد الطبيب حيًا فاخرج، سأمهلك فقط ثلاث دقائق»

أيقوم باستخدامي كطعم للإمساك بغابرييل؟! لم أتحمل ما سمعته وشعرت باستفزاز كبير وصرخت:

- «اهرب يا غابرييل، اهرب ولا تقلق علي.. لا تدعهم يمسكوا بك»

شعرت بضربة مبرحة على رأسي، لقد كان رافاييل وقد ضربني بكعب المسدس على رأسي وهو يقول:

- «اخرس أيها اللعين، ألم أخبرك بأن لا تتكلم، هل تريد أن أقطع لسانك؟!»

سقطت على الأرض، هذا الوغد لا يمزح، كان يغمى عليّ للحذ ثم أعود للوعي للحظات أخرى، شاهدت غابرييل يخرج بسرعة أمامهم، غبت لثوان عن الوعي، فتحت عيني، كان غابرييل يلكم الجنود ويرسلهم في الهواء ليرتطموا بالجدار، بينما الكل يطلق عليه طلقات التخدير، غبت مرة أخرى ثم عدت، إنه يحملني ويصعد بي إلى

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

الطوابق العليا، بدأت أستعيد وعيي، وصلنا إلى السطح وسقطت من يده، ثم بدأ يهزني حتى يطمئن أنني بخير.. قلت بضعف:

- «لا تقلق يا غابرييل، أنا بخير»

لاحظت أن طلقة تخدير استطاعت اختراق المادة الهلامية في ذراعه اليمنى ولم يعد قادرا على التحكم بها..

وقفت ونظرت لأسفل الدرج، إنهم يصعدون خلفنا، المبنى مرتفع، لكنهم سيصلون بعد قليل ولن نجد مخرجا، قلت لغابرييل:

- «أنا آسف يا غابرييل، كل هذا حصل بسببي، أنهم يحاصرون كل المخارج، وهناك من بالأسفل بتنظر أن تقفز، ليتك تركتني وهربت»

بدأ يقوم بتلك الإشارات بيديه وبصعوبة هذه المرة بسبب تخدر ذراعه لكني عرفت معناها..

- «إما أن ننجو معًا أو نموت معا!»

- «ماذا سنفعل إذن الآن؟! لا يوجد مهرب، وأنت بالكاد تستطيع تحريك ذراعك اليمنى»

كان يتلفت في الأرجاء، ثم أشار إلى سطح المبنى المقابل.. أيعقل أنه يفكر في هذا؟! قلت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أتريد أن تقفز إلى هناك؟! هل جننت يا غابرييل؟ أنت ستحملني وذراعك مخدرة. والمسافة أكثر من سبعة أمتار»

هز رأسه بأنه جاد، وحملني بذراعه السليمة ورفعني خلف ظهره لأتشبث بعنقه، أمسك بيده السليمة يدي ليثبتهما، مشى خطوات إلى بداية السطح وأخذ نفسا عميقا، ثم بدأ الركض بأسرع ما يمكن، تزامن ذلك مع بدء وصول رجال رافاييل إلى ثم السطح وأحدهم يصرخ:

- «أطلقوا طلقات التخدير، لا تتوقفوا!»

من شدة الانفعال، شعرت أن كل شيء يتحرك بالحركات بطيئة، لم يتوقف غابرييل، بينما رأيت إحدى الطلقات تمر من قرب رأسي، رافاييل يصيح في الخلف:

- «توقفا!!»

ثم قفز غابرييل..

سنتمكن من فعلها.. لقد وصلنا نصف المسافة، لم يتبق الكثير.. لكن للأسف كان للجاذبية رأيّ آخر، بدأنا نسقط وأصبحنا أسفل من مستوى سطح المبنى، إن سقطنا من هذا الارتفاع فلن ينجو أحد منا!

أسرع غابرييل وأمسك أنبوبا معدنيا خارجا من الجدار ودفع جسده للأمام به وقد سمعت صوت عظام يديه تكسر، هذه القوة كانت كافية لنقتحم نافذة أحد الطوابق، تحطمت النافذة من جسد غابرييل، وجرحت

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

إحدى الشظايا وجهي، فور أن لامس غابرييل الأرض سقط كل منا في جهة في حركة دورانية جراء عزم القصور الذاتي إلى أن توقفنا!

لقد هربنا مؤقتا، لم ينته الأمر بعد، قلت لاهثًا:

- «أنا لم أعد بالعمر الذي يسمح بخوض مغامرات كهذه.. أشعر أن قلبي توقف عدة مرات في هذه الدقائق الأخيرة»

كان غابرييل يتألم، قلت له:

- «هل أنت قادر على الحركة؟»

هز رأسه بالإيجاب، أكملت:

- «إن ارتحنا الآن فسوف يمسكون بناء المباني التالية مبان سكنية وأقرب لبعضها البعض، وسيكون من الأسهل القفز بينها»

وقف غابرييل متألقا، إنه ينزف، قلت:

- «هل تستطيع فعل هذا؟ إن كنت لا تستطيع فسأحاول إيجاد حل بديل»

لكن أمسك بي بيده اليمنى التي بالكاد كان يحركها وأعادني إلى ظهره وبدأ يسير مسرعًا بخطوات متعرجة، صعدنا إلى سطح المبنى، كان يركض بسرعة أقل، وقفز إلى المبنى التالي ونجح، من الجيد أن المسافة أقل من ثلاثة أمتار، هكذا أكملنا القفز من سطح لآخر وبعد عدة قفزات يرتاح قليلا ثم يقفز للمبنى الذي يليه، بقينا على هذا الحال إلى أن شعرت أننا ابتعدنا بما فيه الكفاية!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «هذا يكفي يا غابرييل، أعتقد أننا أضعناهم! دعنا نختبئ قليلًا في غرفة السطح تلك!»

دخل غابرييل الغرفة وسقط لاهنًا، أخذت إحدى قطع الغسيل المنشورة على السطح.. وقمت بتضميد جراح غابرييل بها!

«سنرتاح هنا لساعة ثم نغادر»

بعد دقائق ومن دون مقدمات، حطم أحدهم الباب.. كانا اثنين من جنود رافاييل صرخ أحداهما:

«لا تتحركا، هذه ذخيرة حية وسنطلق من دون تردد»

اللعنة، لقد أمسكوا بنا، لقد انتهى الأمر وسوف أستسلم، نظرت إلى غابرييل. عينيه تخبرانني بأنه لن يستسلم، وسيحارب للنهاية، وقف غابرييل، أصيب ذلك الجندي بالفزع وأزال زر الأمان، وصرخ:

- «سوف نقوم بقتلك إن لم تستجب للأوامر، هذا آخر تحذير لك»

لكن غابرييل لم يتراجع..

لو كنت قادرا يا غابرييل على الكلام لقلت:

- «إما أن ننجو معًا وإما أن نموت معا..»

لهذا وقفت أنا أيضاء سأحارب لآخر لحظة!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

يبدو أننا اليوم سوف نموت معا!

ثم خرج صوت إطلاق عيار ناري!

النهاية..

***

لا يا صديقي.. لا تذهب!

لم تكن نهايتنا، بل نهاية الجندين الذين سقطا ميتين على الأرض، ومن خلفهما كان يقف فلاد!

لقد أنقذنا فلاد!

قال:

- «هيا اتبعاني، لا نملك الكثير من الوقت»

- «لكن يا فلاد، ألن يتم اتهامك بالخيانة؟!»

- «لا أهتم، هيا، لقد سمعوا صوت الطلقات وسيتجمعون هنا كالذباب في وقت قصير»

- «حسنا، هيا بنا»

أخذ فلاد ملاءة وألقى بها لغابرييل:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «غط جسدك بهذه، لا نريد أن نثير هلع العاقة فيكشفوا مكاننا بصراخهم!»

أشعر بالأسى على صاحبة هذا الغسيل، لقد فقدت قطعتين منها وامتلأ الباقي بالدماء، وعوضا عن كل هذا تركنا لها جثتين تنزفان على السطح..

نزلنا إلى أسفل المبنى مسرعين، ثم طلب منا فلاد أن نسير بشكل طبيعي بين الناس، ذهبنا إلى مكان لا يوجد به الكثير من الناس، وقف فلاد أمام سيارة، ثم تلفت يمينا ويسارا ليتأكد من أن الشارع خال، أخرج مسدسه وحطم زجاج السيارة به، قال:

- «هيا ادخلا بسرعة»

دخل إلى السيارة وخلع أسفل المقود، ثم قام بلمس أحد الأسلاك ببعض والشرار يتطاير نتيجة لذلك، ثم بدأت السيارة بالعمل، سمعنا صوتا من الخارج:

- «لصوص، لقد سرقوا سيارتي، لصوص»

وانطلق فلاد بالسيارة مسرعا..

***

«أشكرك يا فلاد، لقد أنقذتنا!»

- «لا تشكرني الآن، ما زال الخطر قائما يا دكتور نور»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «ماذا سنفعل الآن؟»

- «سأحاول أن أصل إلى خارج المدينة، سيكون من الصعب عليهم إيجادنا.. اللعنة إنهم خلفنا!» كانت هناك شاحنة تلاحقنا، خرج من خلفها جنود على دراجات وأسرعوا بالاقتراب منا.. أسرع فلاد وأخذ طريقا جانبيًا، لكن الجنود كانوا محترفين وتبعوه، قال فلاد وهو يضغط على دواسة الوقود:

- «هذه السيارة اللعينة لا تريد أن تسرع أكثر، سوف يمسكون بنا!»

كنت أجلس في المقعد الخلفي ثم نظر نحوي وقال:

- «تعال وأمسك عجلة القيادة، يجب أن أوقفهم!»

- «ماذا؟! هذا خطر!»

- «لقد اقتربوا كثيرًا! لا وقت للتفكير»

قفزت وأمسكت المقود، بينما أبقى فلاد قدمه على دواسة البنزين، وأخرج نصفه العلوي من الشباك وبدأ يطلق النار على سائقي الدراجة!

صرخت وأنا أرى سيارات قد توقفت على إشارة مرور:

- «اضغط دواسة التوقف بسرعة! هيا..»

لكنه لم يفعل، حتى ولو ضغط على دواسة التوقف فلن يكفي الوقت لذلك وسنصطدم!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

دخل فلاد بسرعة وأخذ المقود من يدي وانحرف بسرعة نحو الرصيف واحتك بجانب السيارات المتوقفة على الإشارة، لكنه خرج منها، كان هناك سيارات قادمة من مسرب مختلف وكادت تصدم بنا، لكن الرجل حرك المقود بسرعة مما أسقطني للخلف وتجاوز السيارات بذلك التي تصادمت مع بعضهم البعض!

أرجو ألا نكون قد تسببنا بضرر شديد لأحد! أقسم يا إلهي أنني إن نجوت أنا وغابرييل فسوف أقوم بمتابعة من تضرر وتعويضه!

- «فلادا أظن أننا نجونا!»

- «لا يجب أن نرخي دفاعنا الآن!»

- «لم تساعدنا؟»

- «لا أعلم، لقد شعرت بأنك لا تستحق هذا، وهناك صوت خفي بداخلي كان يخبرني بأن أنقذك»

مشينا لفترة ثم قال فلاد:

- «سوف نستعير سيارة أخرى ذات تظليل جيد حتى لا يكشفنا أحد»

وتوقف بقرب سيارة جيب، قام بما فعله بالسيارة السابقة وصعدنا أنا وغابرييل فيها.. استطعت أن أعالج بعض جروح غابرييل، الذي كان يغط في النوم، إن جسده في مرحلة العلاج..

أسرع فلاد بالقيادة وقال:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لقد وجدونا!»

- «كيف يجدوننا في كل مرة؟!»

- «لا أعلم»

اقترب فلاد من الشوارع الخارجية، لكنه توقف..

«إنهم يغلقون كل الطرق المؤدية لخارج المدينة!»

استدار وعاد إلى شوارع المدينة، كانت شاحنة الجنود تلاحقنا، فجأة سمعنا صوت عجلات السيارة تنفجر، وتوقفت السيارة! وهطلت قنابل علينا من جميع الأماكن وحطمت الزجاج..

«اللعنة لقد وجدونا، إنه كمين!» قالها فلاد..

لا.. لم تكن قنابل دخانية، بل غاز تخدير!

خرج فلاد وهو يضع قطعة ملابس على فمه، وكان يطلق النار، كنت أحاول ألا أفقد الوعي، وضعت غطاء الملاءة على وجهي لكنها لم تفده كثيرًا ولم أستطع التحمّل أكثر، وغبت عن الوعي أنا وغابرييل!

***

بعد وقت، أفقت من غيبوبتي، أنا مقيد على أحد المقاعد في غرفة تحكم كبيرة، لقد أصبح المشهد يتكرر كثيرًا مؤخرا، كان رافاييل يتقدم نحوي وقال حين أقترب:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أخيرا استيقظت أيها الطبيب، في الحقيقة أنا أبغض الأشخاص العنيدين أمثالك، لم تلتزم بما قلته لك ووضعتني في موقف صعب للمرة الثانية، وقد قمت بإعطائنا وقتا صعبا في آرتش آنجل فيما سبق! أنا شخص أحب التعذيب قبل القتل وأتلذذ به، وقد خرجت بعشرات الطرق الإبداعية لقتلك بها وأنا أنتظرك أن تستيقظ؟

- مثلًا الصعق الكهربائي بالتدرج الممل وأنت تشعر بكل خلية تذوب من جسدك، وهناك طريقة أن أقطع كل أصابعك، أصبعًا أصبعًا، أو أقتلع عينيك وأثقب أذنيك ثم أتركك في مكان مليء بالزجاج المحطم، لكن من حسن حظك أن قائد المنظمة يود رؤيتك على انفراد! يقول أن هناك دورا مهما لك، هذا سيعطيك القليل من الوقت قبل أن أعود!»

هذا الرجل مخبول، إنه سادي لعين، مجرد التفكير بما قاله جعلني أتألم بشدة! أمسك جهاز الإرسال في يده وقال:

- «لقد استيقظ الطبيب»

ثم ربت بيده على كتفي وقال لي:

«لا تقلق أيها الطبيب، أعدك أنني سأعود لك بعد أن ينتهي القائد الأعلى منك، إنه في طريقه إلى هنا» وغادر وهو يضحك!

بعد نصف، دخل شخص يرتدي زي وقناع أطباء الطاعون، قال بصوته المخيف:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «الطبيب النفسي العبقري نور.. لقد تسببت لنا بمتاعب كثيرة.. لكني مدين لك بالكثير.. لهذا أريد أن أعطيك عرضا أرجو أن تقبله حتى تتجنب مصيرًا مطلقًا..»

- «هذا يكفي، لم تقوم بكل هذا؟»

- «أريدك أن تنضم لملائكة الموت الأسود، شخص مثلك سيساعد في تقدم المنظمة»

- «بالطبع لن أقوم بهذا، أنت مجرد إرهابيين»

- «نحن لسنا كذلك، أخبرني أيها الطبيب، لو خيرتك بين أن تقتل شخص أو اثنين لتنقذ الآلاف، فماذا ستفعل؟»

- «لقد حصل شيء مشابه وسأفعل أيّ شيء حتى لا أقتل أيّ جهة»

- «إجابة خاطئة، لو لم تقتل أحد الجهات، فسيموت الكل.. هل ستبقى مكتوف اليد حينئذ»

- «لا أعلم، ولا أريد أن أكون صاحب قرار في هذا»

- «لهذا نحن ملائكة الموت الأسود سنأخذ هذا القرار، سنقتل القليل لمصلحة الكثير، في النهاية إن لم يفعل أحد شيء فستنتهي البشرية كما حدث لفئران تجربة الكون 25»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «أنا أثق بأن البشر قادرون على إيجاد حلول أخرى دون اللجوء بالقتل، لقد خلقنا الله بعقول تفكر وتعي ولسنا فئرانًا!»

- «أنت عنيد، عنيد جدا.. للأسف سوف يحظى رافاييل بما يريد، لم أرد أن تكون نهايتك بهذا الشكل»

- «دعنا نتوقف عن هذه الألاعيب يا ايفان!»

- «إيفان؟! لقد مات إيفان العزيز فور هروبه من الغواصة، لم يكن خليط المصل الذي جمعه صالحا، لكنه أدى دوره بأكمل وجه، لقد مات ميتًا مشرفة»

- «من تكون؟! لم تتحدث كأنك تعرفني!»

- «هذا لن يهم رجلا ميت»

- «إن كنت ستقتلني إذن لم أبقيت على حياتي حتى الآن؟! لم لم ترحني وتنهي حياتي سابقا!»

- «هذا لأن لك دورا نهائيا مهما جدا»

- «أخبرتك أنني لن أتعاون أو أنضم لكم»

- «اصبر قليلًا، سوف تفهم كل شيء بعد قليل، سنبدأ الآن بالمرحلة الأولى من عملية استئصال المادة h08»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ثم شغل الرجل إحدى الشاشات أمامي، مشهد لغابرييل، إنه مقيد على سرير طبي بعشرات القيود مختلفة الأنواع، ويوجد أنبوبة تخدير مثبتة على أنفه، بينما العديد من أنابيب السيلكون الشفافة مثبته عليه وعلى جهاز آخر، وتتحرك دماء غابرييل من خلال الأنابيب من وإلى الجهاز..

- «أيها الأوغاد، ماذا فعلتم بغابرييل؟»

- «لا تقلق، إنه بخير حتى هذه اللحظة، نحن نعالجه نهائيا من البكتيريا الخارقة لقد كان رافاييل يراقب أبحاث فريق فيرونيكا عن كثب، وحصل على وصفة المصل المطور، علمائي قاموا بتطبيق الأبحاث، والآن سنحقنه بالمصل المطور الذي حصلنا عليه، بعد ذلك... سوف نبدأ مرحلة تحفيز إفراز المادة h08 وتصفية دمائه لاستخلاصها»

- «أيها المجنون! هذا سيقتله بكل تأكيد!»

- «تضحيات لا بد منها، لقد قام ماركوس والد غابرييل بحقن الفتى حتى يعيش المزيد من الوقت بعد أن أصيب بطلقة في رأسه، وكان ماركوس يعلم ماذا سيحدث إن حقن ابنه؟ لقد كان ماركوس نقي القلب ومستعد للتضحية بابنه كما ضحى بنفسه في سبيل حياة أفضل للبشر، الآن عادت المادة لنا، وسنكمل ما بدأه ماركوس»

أمسك صاحب القناع جهاز إرسال وقال:

- «قم بزيادة التخدير وحقن المسخ بالمصل المطور»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

على الشاشة اقترب أحد الأشخاص من غابرييل، وأفرغ حقنة في أحد الأنابيب، ثم تراجع الطبيب، بدأ جسد غابرييل يرتجف بشدة، وعضلته تتقلص وتتمدد بسرعة من دون توقف، بينما بخار واضح يتصاعد منه، والزبد يتطاير من فمه ويزأر متألقا بشكل لم أسمعه من قبل.. إنه يتعذب بشكل أشد من أيّ عذاب مضى!

- «سوف يموت، أرجوك أوقفهم، إنه يحترق داخليا، ألا ترى!؟»

- «لن يموت! ستعالجه المادة بنفس سرعة الاحتراق»

ترى كم عاقا خسرت من حياتك يا غابرييل وخلاياك تبذل كل ما تستطيع فعله لتعالجك؟!

«أتوسل إليك، أوقف التجربة..»

لم أتمالك نفسي وانسابت الدموع من عيني! غابرييل يتعذب أمامي، إنه ابني أنا.. لم يصغ صاحب القناع، ثم قال على جهاز الإرسال:

- «قوموا بفحص الدم والخلايا بسرعة، وحضروا للمرحلة الأخيرة، قوموا بتخفيف تركيز التخدير، وحين يستيقظ سنبدأ»

نظر نحوي وقال:

- «اهدأ يا نور، لا أريد أن تموت قبل المرحلة الأخيرة! ارتح الآن قليلا وسأعود حين يستيقظ غابرييل!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ما هذه الورطة التي وقعنا بها؟!

أمضيت الوقت أدعو الله أن ينقذنا! فلم يعد باليد حيلة..

***

بعد ساعة دخل صاحب القناع وقال:

- «لقد انتهى الأمر، لقد شفي من تلك البكتيريا، سوف نبدأ بالمرحلة المهمة! هنا يأتي دورك أيها الطبيب»

- «هذا يكفي يا شياطين الموت الأسود! ماذا تريدون منا الآن؟!»

- «يجب أن نحفز عملية إفراز المادة h08، سيكون هذا عن طريق استفزاز مشاعر الغضب لدى المسخ إلى أقصى درجة، لا بد أنك لاحظت بأن حجمه كان يتضخم قليلاً بعد كل ثورة غضبه، هذا لأنه كان يفرز المادة بكثرة، أما كيف سنقوم بإثارة غضبه. فهنا يأتي دورك، سوف نقوم بتعذيبك وقتلك ببطء شديد أمام المسخ، لاحظت أنه قد غضب مرات كثيرة حين في خطر، أليس كذلك؟»

إلهي.. سوف ينتهي أمرنا بين أيدي هذه الشياطين!

- «من تكون أيها الوغد اللعين؟! لم تتصرف كأنك تعرفني؟!»

لم يجب صاحب القناع، دخل رافاييل وقادني بقيودي إلى الغرفة التي يوجد فيها غابرييل ورافاييل يقول:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لقد حان الوقت كي أحظى بمتعتي، سوف أذيقك أفخم أطباق التعذيب لدي»

كنت أحاول أن أفكر ما الحل!

لكنني لم أجد أيّ طريقة للهرب!

لقد انتهى أمري.. ويبدو أنني سأموت يا غابرييل!

أدخلني رافاييل إلى الغرفة الموجود بها غابرييل وثبتني أمامه..

كان غابرييل يصارع القيود لكن هذه المرة كانت القيود أكبر وأصلب من قوته..

كان رافاييل يختار الأداء من على طاولة عليه الكثير من أدوات التعذيب.. بينما صاحب القناع يقف في الخلف ويشاهد.. نظرت نحو غابرييل وابتسمت له ابتسامتي الأخيرة وقلت:

- «رغم المصاعب التي مرت علينا في الفترة السابقة، لكن كانت فترة جميلة بالنسبة لي، لقد شعرت بأنني أب، وعشت مغامرات معك يا غابرييل، شعرت بالفخر بك! وبالخوف عليك! وبالسعادة والحزن والألم.. لقد شعرت بكل كياني أنك ابني وكنت سعيدا بذلك!

أرجو ألا تحزن على ما سوف يحصل لي، أنا سوف.. أموت سعيدا في النهاية! فقط حصلت على أكثر مما أتمنى وأكثر مما قد استحق، لكن إن كان هناك شيء أخير أريده فهو أن تنجو يا بني»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

اقترب رافاييل وهو يمسك بقطاعة المعادن ووضعها حول اصبعي وبدأ في عملية التعذيب، بينما غابرييل يصارع القيود كي ينقذني من دون جدوى!

***

أنا رامي إبراهيم، منذ بداية اليوم كنت أعمل في العيادة أدرس حالة غابرييل أقوم بتحضير نفسي للمرحلة التالية، مرحلة البدء بتطبيق العلاج على الشاب، في الساعة الحادية عشرة، سمعت ضوضاء من الطابق العلوي، هذا طبيعي بوجود شخص ضخم كغابرييل، لهذا أكملت العمل، لكن سمعت بعد ذلك صوت طرقات عنيفة قادمة من الطابق العلوي، هل هذا ذلك الجار رائد؟!

ثم سمعت:

- «افتحوا الباب، نحن الشرطة.. لقد وصلنا بلاغ عن نشاط مجهول يحدث هنا»

ما الذي يحدث في الطابق العلوي؟

سأنهي ما بيدي وأصعد..

قمت بإغلاق الأجهزة وصعدت!

حين وصلت إلى الصالة.. كان الهدوء يعم المكان.. بحثت في الأرجاء إلى أن وصلت الصالة..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كانت رشا ابنتي العزيزة على الأريكة ترتجف والدماء تنزف من رأسها بينما هناك رضوض على يدها! مشهد مرعب جعلني أقفز نحوها:

- «رشا، ما الذي حدث؟»

أخبرتني بصوت مرتجف كل شيء.. حضنتها وقلت:

- «لا بأس يا طفلتي، لقد كنت شجاعة»

قالت وهي تبكي:

- «لقد خفت، خفت كثيرًا أن يقتلوني، أنا قلقة على غابرييل من أولئك الأشخاص!»

قالت بضعف:

- «لحظة، لقد وضع العم نور شيئا في جيبي»

مدت يدها وأخرجت ما تبين أنه هاتف نور، وأكملت:

- «لقد قال لي أخبريها بكل ما سمعته!»

- «أنا أعرف من يقصد، إنه يريد أن نبلغ الدكتورة فيرونيكا! سأقوم أنا بهذا»

أمسكت هاتف نور وقمت بالاتصال على رقم الدكتورة فيرونيكا، ردت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «مرحبا يا نور، أصبحت تتكلم كثيرًا معي مؤخرا، لا تقل لي..»

- «أنا لست نور، أنا زميله رامي، نور وغابرييل في خطر!»

- «ماذا؟ ألم يصل الجنرال رافاييل بعد؟!»

- «الخطر هو رافاييل، إنه يعمل مع المنظمة»

- «لا يمكن؟! ما الذي يدفعك لقول هذا»

ثم أخبرتها بكل ما حدث..

- «رافاييل.. ذلك الوغد الخائن! كنت أعامله كأنه أخي، أنا أبعد عن مصر مسافة ست ساعات على الأقل، ست ساعات.. يجب أن تخبر نور وغابرييل أن يصمدوا ست ساعات حتى أصل لهما!»

ثم أنهت الاتصال... ماذا سأفعل الآن؟ سأعالج رشا بالطبع قبل كل شيء، لكن ما بعد ذلك؟ هل أتصل بالشرطة؟ لقد كانوا هنا قبل قليل ولم يفعلوا شيئا؟ لا أعلم، لا أمتلك بيدي أيّ حيلة! انتهيت من علاج رشا، كانت تردد:

- «أرجوك، يجب أن تساعد غابرييل، أرجوك ساعده»

- «سأفعل، تستطيعن أن ترتاحي الآن يا طفلتي»

أنا أعتذر منك يا رشا، لا أستطيع فعل شيء، فالموقف عسير وأكبر من قدراتي كطبيب! رن هاتف نور، رددت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «سيد رامي، أنا أولغا مساعدة الدكتورة فيرونيكا، لقد رحلت الدكتورة وفريق قوات خاصة برفقتها وستوجهون إلى مصر، لكن حتى تلك اللحظة أحتاج منك أن تقوم بشيء»

- «أجل، أخبريني ما الممكن أن أقوم به؟»

- «أحتاج منك أن تبحث عن نور وغابرييل، فقط حين تجدهما أرسل لي موقعهم على نظام الملاحة العالمي GPS، أنا وزميلي ستيف سنلاحق حركات العدو بعد ذلك »

- «كيف سأجدهم؟»

- «إنها مدينتك وأنت أدرى بها، لو كنت مكانك لبحثت في الأماكن التي تحدث بها ضوضاء وتجمعات!»

- «حسنا، هذا واضح»

أنهيت المكالمة وغادرت...

خرجت من منزل نور وتوجهت للسيارة.. أين سأجد نور وغابرييل في الثلاثة آلاف كيلو متر مربع هذه؟! شغلت المذياع وأنا أبحث في القنوات لعل أحدها يذيع خبر رؤية غابرييل! كنت أقود من دون توقف، وكدت أن أقوم بعدة حوادث، الوقت يمضي وحياة نور وغابرييل على المحك، قد يكونا قد ماتا الآن! لا يا رامي، يجب ألا تفكر هكذا، يجب ألا أتوقف عن البحث.. لكن أين من الممكن أن أجدهما..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

ثم سمعت الخبر التالي على المذياع..

«تفاجئ عدد من المواطنين بطردهم من قبل قوات أجنبية في أحد مراكز التسوق في المنطقة الخامسة، لا داعي للقلق.. إنهم يقومون بتصوير فلم سينمائي في ذلك المركز، أنا اعتذر لأولئك المواطنين، كان هذا بسبب سوء تنظيم طاقم العمل للوقت وعدم إعلام المركز التجاري بالوقت الصحيح لعملية التصوير.»

أعتقد أنها نقطة جيدة للبدء بالبحث.. انطلقت مسرعا لتلك المنطقة، حين اقتربت كانت الطرق مزدحمة.. ثم سمعت صوت طلقات نارية، لا وقت لهذا الازدحام، أوقفت السيارة على جانب الطريق في مكان ممنوع به الاصطفاف، سيتم مخالفتي على أقل تقدير، لكن هناك أمور أهم الآن، توجهت راكضا لأقرب مكان كنت أظن أن الصوت خرج منه، لكن لا دليل آخر..

ثم سمعت صوت انفجار إطارات سيارة، نظرت نحو مصدر الصوت، كانت هناك دخان يتصاعد من الشارع خلف - المباني، دخلت مسرعا إلى داخل المبنى متجاوزا نقطة التفتيش، لم يهتم رجل الأمن لأنه الآخر ركض ليرى ما يجري، قلبي ينبض بشكل غير منتظم من التعب، أنا لست بالعمر الذي يسمح بأن أقوم بهذا النشاط..

لكني سأكمل من أجل نور وغابرييل، والأهم من أجل طفلتي رشا! خرجت من المدخل الآخر لاهثًا.. بالكاد أرى أمامي!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كانت سحب الدخان تتصاعد ومن بينها كان هناك أشخاص يلبسون أقنعة تنفس خاصة ويحملون نور وغابرييل المغمى عليهم إلى شاحنة أخرى، أخرجت الهاتف بيد ترتعش، أشعر بألم حاد في صدري، لكن لا وقت لهذاء الدنيا تظلم.. وأنا أجبر وعتي على البقاء، تبقى فقط بضع أزرار يا رامي.. سمعت صوت أحد الجنود

- «أنت! هناك، أعطني الهاتف.. يمنع استخدامه هنا»

وسحب مني الهاتف! لا ليس الآن، إن ابتعدوا الآن فسيذهب كل جهد سدى!

- «أرجوك، أنا.. أنا على.. وشك الموت، إسعاف.. أنا بحاجة لأطلب الإسعاف»

نظر نحوي، أنا أتعرق بشدة ووجهي محقر، وأتنفس بصعوبة، سقطت على الأرض، لا لم يكن كل هذا تمثيلًا، قال:

- «حسنا، خذه ولا تمت هنا!»

وألقى بالهاتف بقربي، أمسك الهاتف بضعف، ضغطت بآخر ما أكمل من طاقة على زر الإرسال، و...

***

أمسك رافاييل قطاعة المعادن، واقترب مني، بينما صاحب القناع يقف في الخلف، كان غابرييل يصارع القيود وهو ينظر بخوف لي، لم

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

يتركوا أيّ أمل له بتحطيم القيود الكثيرة المصنوعة من الفولاذ المقوى، أمسك رافاييل يدي وقال:

- «سوف أستمتع بهذا كثيرًا، كلما صرخت بألم وبصوت مرتفع انتهى التعذيب بسرعة»

ضغط ببطء على القطاعة وبدأت تخترق اللحم، وأنا أتألم لكن أحاول ألا أظهر هذا أمام غابرييل! اللعنة.. هذا لا يحتمل!

غابرييل كان يزأر وصوت العظام تتحطم من محاولته لكسر القيد..

فجأة ومن دون مقدمات سمعنا صوت انفجار واهتز المكان، سقط رافاييل للخلف من قوة الاهتزاز، وصرخ:

- «ما الذي يحدث؟»

ضغط صاحب القناع على الشاشات، رجال قوات خاصة يقتحمون المقر، زرع المشهد الأمل في روحي، كانوا يتبادلون النيران مع المنظمة، قال رافاييل:

- «اللعنة، من كشف موقعنا؟ ماذا سنفعل أيها القائد؟»

كان القائد هادئًا وقال:

- «لقد خسرنا، لا بد من أن الطبيب قد فعل شيئا ما قبل أن يأتي، سوف نأخذ ما تم تحضيره من دماء المسخ ونخرج»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

بينما كان صاحب القناع يتوجه نحو المادة، دخل الغرفة ثلاثة رجال من القوات الخاصة، أخرج صاحب القناع مسدسه وأطلق النار بإتقان، ليسقط اثنان قتلى بطلقتين في منصف رأسيهما، لكن الثالث أسرع وأطلق النار عليه، فأصابه في ساقه، في المقابل أطلق القائد طلقة على رأس الجندي الثالث وأرداه قتيلًا..

نظر رافاييل نحوي:

- «أيها الطبيب اللعين، كل هذا بسببك، سوف أقتلع عينيك قبل أيّ شيء!»

هجم نحوي، ولوح بالقطاعة باتجاه وجهي، لكن طلقة ارتطمت بالقطاعة وجعلتها تطير من يده.. لقد كان من أطلق هو القائد!

قال القائد صاحب القناع: «هذا يكفي، لم يعد هناك حاجة لتعذيب الطبيب، يجب أن نأخذ ما استطاع الجهاز استئصاله من المادة ولنخرج بسرعة! سنعود فيما بعد لأخذ المسخ»

قال رافاييل بغل:

- «اللعنة، لقد آذيت يدي، إن كنت تريد الخروج فاخرج من هنا، أما أنا فأحب أن أنفذ وعودي، لقد تسبب هذا الرجل بفشل الخطة مجددا ويجب أن أنتقم منه!»

- «سوف يمسكون بك أيها الأحمق»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لن أتأخر كثيرًا، اذهب أنت»

عرج القائد نحو الأجهزة، بينما أمسك رافاييل مسدسًا من يد أحد الجنود بذراعه السليمة ووجه المسدس نحو رأسي:

- «أنا لن أخرج من هنا إلا بعد أن أتأكد أنك ذاهب للجحيم أيها الطبيب»

ثم صوت طلقة أخيرة!

سقط رافاييل على الأرض ميتا، فيرونيكا تقف خلفه..

- «لقد خنت صداقتنا أيها الوغد»

دخل الجنود المكان، ثم تقدمت فيرونيكا نحوي، قلت:

- «فيرونيكا، أنت.. أنت أنقذتنا!»

- «نور، أنا سعيدة، لقد وصلت في الوقت المناسب! كنت أخشى أن أتأخر»

- «القائد؟ أين هو؟»

- «هل كان هنا؟!»

نظرت نحو الأجهزة التي كانت تحتوي المادة المستخلصة، كانت فارغة وبجانبها حقنة مستعملة! قلت:

- «لقد حقن نفسه وهرب!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لا تقلق، رجالي يحاصرون المكان، سوف يبحث رجالي عنه في المقر بأكمله»

قامت فيرونيكا بفك قيدي، أما رجالها كانوا يقطعون قيود غابرييل، قالت فيرونيكا:

- «أنتم بحاجة لمتابعة صحية، لقد تعرضتما لأذى كبير»

- «لقد كنت أعتقد أني ميت لا محال، كيف عرفتم موقع المقر؟»

- «الشكر يعود لصديقك رامي وأولغا وستيف، رامي حدد موقع العدو عندما قبضوا عليكم وأولغا وستيف تتبعا حركاتهم باستخدام نظام مراقبة عسكري على الأقمار الصناعية»

- «غابرييل.. أريد أن أطمئن عليه»

- «إنه بخير، لا تقلق، سنقوم بعلاجكما، تستطيع أن ترتاح الآن»

***

استمرت عملية علاجي أنا وغابرييل عدة أيام في مستشفى عسكري بالإسكندرية تحت إشراف فريق فيرونيكا، تلك الحادثة تركت ندبة على يدي ووجهي ورعبا عميقا في قلبي..

أخبرتني فيرونكا بأن قائد المنظمة قد استطاع الهرب، وقد وجدوا أن المقر مليء بالممرات السرية.. علمت فيما بعد بأن رامي أصيب بنوبة قلبية بعد أن بذل جهدا في إيجادنا لإرسال الموقع، من حسن حظه أن

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

رجل أمن قريبا منه طلب الإسعاف وقام بالإسعافات الأولية اللازمة له، واعتنت رشا به خلال الفترة التي تليها، لهذا خرج من النوبة دون أضرار دائمة وتحسن في النهاية!

أما فلاد فقد وجدوه رجال فيرونيكا مقيدا في سجن بمقر العدو، قاموا بمساعدته وعالج إصاباته.. بعد أيام عدنا جميعنا إلى المنزل، كانت رشا تبكي حين رأت غابرييل والجبيرة تحيط جسده.. قالت فيرونيكا:

- «لا تقلقي عليه، خلاياه تتعالج بشكل سريع، لكن ليست كما كانت في السابق، لقد فقد جزءا من المادة»

رشا: «الحمد لله، لقد خفت عليك يا غابرييل»

قال فلاد:

- «أنا سعيد أنك بخير أيها الطبيب»

- «أشكرك يا فلاد، ماذا ستفعل بعد هذا؟»

- «لقد طلب مني السفير أن أبقى لفترة معك إلى أن نتأكد أنكم بأمان»

- «سيكون هذا جيدًا» قالت فيرونيكا لي:

- «والآن بعد أن اطمأننت عليك وعلى غابرييل، سوف أرحل أنا ورجالي في الغد»

قلت: «هل وجدتم أيّ دليل على من قد يكون قائد المنظمة؟»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لقد استجوبنا رجاله، لا أحد يعلم من خلف ذلك القناع! لكننا حصلنا على أسماء أشخاص في مناطق حساسة في روسيا ويقوم فريق بإمساكهم هنا، حين أعود سوف أقوم باستجوابهم وإخبارك إن وجدت أيّ دليل»

- «أشكرك يا فيرونيكا»

همس لي رامي:

- «إنها أجمل مما وصفتها لي، كما أنه من الواضح أنها معجبة بك، هذه فرصتك، تقدم لها»

- «توقف يا رامي عن هذا المزاح الذي لا يناسب عمرك»

ضحك ثم قال:

«أخيرا انتهى الأمر، لقد كانت فترة عصيبة!»

قلت في قلق:

- «لكن لا زلت خائفا من قائد المنظمة، لقد سمعته يقول بأنه سيعود لأخذ غابرييل»

- «لا بد من أنه هرب خارج البلاد الآن، فلم يعد لديه مقر وخسر جزءا لا بأس به من رجاله»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لم أنم في تلك الليلة، لدي شعور بأن القائد يعرفني جيدًا.. ترى من يكون؟ كنت أجمع الخيوط، لكن هناك شيء ناقص، لا أحد من من أعرفهم لديه حركات لا واعية مشابهة لذلك الرجل، أريد خيطا يدلني على هويته!

منذ أسبوع حين كنت واقف أمام رافاييل والقائد، حصل موقف جعلني أشك في شخص ما أنه القائد، لكني استبعدت هذا لأن من أشك به يتصرف بشكل مختلف. وحركاته اللاواعية غير مطابقة، إن فكرت في الأمر كطبيب نفس وكإنسان فهذا لا يمكن!

في اليوم التالي وقبل أن ترحل فيرونيكا، أخبرت فيرونيكا بشكوكي وطلبت منها أن تساعدني بتوفير بعض الأوراق، أخبرتها بأن تبقى قليلا حتى أتأكد، أحضرت لي ما طلبت ودرست الأوراق.. وكان ما قرأته يؤكد شكوكي!

- «فيرونيكا، أتمنى أن أكون مخطئًا، لكن يجب أن تكون متأهبة، سوف أطلب من الجميع أن يجلس في العيادة»

اجتمع الجميع وقلت:

- «أظن أنني توصلت إلى من هو قائد المنظمة؟»

قال رامي:

- «من؟!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «إنه شخص هنا بيننا، شخص وثقنا به بشدة»

رامي بقلق: «عمن تتحدث؟»

- «أتحدث عنك يا رامي!»

- «ما هذا الهراء يا نور؟!»

- «أنا أمزح معك، فقط توقف عن الكلام، كنت بحاجة لهذا حتى ألاحظ علامات الراحة على وجه المتهم»

رامي: «هذه أسوء مزحة مرت علي يا نور، كدت أصاب بنوبة قلبية أخرى»

لحظه صمت، ثم قلت بكل أسى:

- «فلاد، أنت قائد المنظمة، أليس كذلك؟»

قال فلاد: «ماذا تقول يا نور؟ أهذه أيضا مزحة؟»

- «لا»

- «أنت مخطئ، مخطئ بشدة»

- «للأسف يا فلاد لم أتمن أن تكون أنت»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «نور، توقف عن هذا الهراء عديم القيمة، أنا فلاد الذي أدافع عن العدالة ولم أقترف أيّ جرم في حياتي!»

- «وأنت كذلك، لم أستطع أن أشك بك لأنك بالفعل البطل الذي يؤمن بالعدالة»

رامي: «نور، ماذا بك؟ لم يعد أحد يفهم ما تريد أن تصل له؟!»

- «في المقابل يا فلاد.. أنت قائد المنظمة أيضا، أنت لست شخصية واحدة»

فلاد: «أنت مخطئ، أنا لم أبرح مكاني أمامك لمدة شهر كامل!»

رامي: «هذا صحيح يا نور، ماذا عن الفيديو؟.. الفيديو الذي أرسلته المنظمة»

فيرونيكا: «من الممكن أن الفيديو تم تصويره منذ مدة وقبل أن يأتي، كما أن أيّ شخص يستطيع ارتداء الزي وتسجيله»

- «لقد شككت كثيرًا في تفكيري، أنا راقبت حركاتك طوال الشهر، ولا يمكن لأحد أن يزيف حركاته طوال الوقت، هناك حركات لا واعية تصدر عن الشخص من دون إرادته، لكن في المقابل كانت طريقة القائد في إمساك المسدس وإطلاق النار بمهارة بمنتصف الجبهة حتى لو كان يتحرك هو ما جعلني أشك بك، أنت الوحيد ممن أعرفهم يمتلك هذه المهارة وقد رأيتك حين قتلت الجندين قبل أن يقتلانا»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

رامي: «لكن هذا دليل لا يكفي يا نور، هناك الكثير من الجنود قادرين على هذا»

نور: «هناك دليل ثان، من لاحظ أن الندوب على وجهه قد تقلصت، هذه الندوب لا يمكن علاجها، لكن خلال هذا الأسبوع تقلصت قليلا، أتعرف لماذا؟ لأنك حقنت نفسك بالمادة 08 التي أخذتها من جسد غابرييل!»

فلاد: «نور اقسم أنني لا أعرف عما تتكلم عنه، أنت تضيع وقت الجميع! لقد كنت مقيدا طوال الوقت في مقر العدو.. أقسم لك بذلك!»

- «فلاد، أخبرني، هل تسمع صوتا بداخلك كثيرًا؟»

- «في الحقيقة.. أ.. أجل»

- «أنت مصاب بحالة نادرة من مرض انفصال الهوية التفارقي!! أريد أن أتكلم مع فلاد الآخر»

صرخ فلاد: «فلاد من؟! سوف تصيبني بالجنون يا نور.. سوف..»

تثاءب ثم صمت لوهلة، ثم قال بصوت مختلف وهو يبتسم:

- «هذا صحيح أيها الطبيب النفسي، لكن لم كل هذه المصطلحات المعقدة، ازدواجية الشخصية تكفي!»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

وسط ذهول الجميع، أخرج مسدسه ورفعه ليطلق علي، لكن رصاصة من مسدس فيرونيكا جعل مسدسه يطير بعيدًا عنه، قالت فيرونيكا:

- «لم أتوقع أن شكوك نور حقيقية، من الجيد أنه أخبرني أن أبقي يدي على الزناد في حال رفعت مسدسك»

قام أحد الجنود بتقيد فلاد.. قلت:

- «أنت عبارة عن أكثر من شخصية مختلفة جدا، البطل والشرير معًا في جسد واحد»

- «هذا صحيح أيها الطبيب، لكن أنا المسيطر وشخصيتي الأخرى لا تعلم عني شيئا، من كان معك طوال الفترة الماضية هو فلاد الآخر، أما أنا كنت أراقب تحركاتكم من خلال عينيه وأخبره بما يفعل من دون أن يعي وجودي، بالإضافة أنني أستطيع التلاعب بذكرياته»

- «ما تمر به هو حالة مميزة من هذا المرض النادر، في العادة تكون الذكريات كل شخص غير مترابطة! لكن شخصية الأولى لديك تستطيع الوصول إلى ذكريات الشخصية الثانية بينما لا تدرك الثانية وجود أخرى، هذا يفسر كيف كان رجال المنظمة يجدوننا دائما، لكن لم سمحت لفلاد الآخر أن يقتل جنودك؟»

- «كان فلاد الجيد يريد هذا، ولم أمنعه لأنك أنت وغابرييل حمقى، كنتما مستعدين لأن تلقيا بحياتكما سدى على أن يمسك بكما جنودي، وقد استحق الجنود الموت لأنهم خالفوا التعليمات وكادوا أن يطلقوا النار عليكما»

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «الإصابة بمرضك تعني أنك قد مررت بتجارب قاسية وصادمة في حياتك، أتساءل ما الذي مررت به لتصل إلى هذه الدرجة؟»

- «هذا يكفي.. لا دخل لك بهذا!»

- «هذه الندبات التي على جسدك، أنت تعرضت لتعذيب مختلف من دون توقف»

- «يكفي.. لقد انتهى النقاش، خذوني بعيدًا من هنا»

- «أنا أشعر بالأسى نحو فلاد الطيب، أنه لا يستحق هذا»

ضحك فلاد وقال: «لقد وجدت جوابك أيها الطبيب لأحجيتي، هل يستحق شخص طيب أن يسجن لتضع حدا لشخص شرير، وقد وافقت على التضحية»

- «لا، أنا سأتبع حالتك يا فلاد، لقد طلبت من فيرونيكا أن يتم سجنك في مصر وقد وافقت بعد أن يتم الانتهاء من التحقيقات معك، وأعدك بأنه بالتدريج سوف تبقى شخصية واحدة لتلاقي الجزاء العادل لها!»

- «أيها الوعد، هل تخطط أن تقتل أحدا منا؟»

- «بل سأريح شخصية من عذاب الشخصية الأخرى، إلى اللقاء يا فلاد»

أخذ رجال فيرونيكا فلاد، قالت فيرونيكا:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «لقد كان ذلك مذهلا وغير متوقع يا نور، هل أنت تبكي؟»

مسحت دمعتي: «أشعر بالأسى على فلاد الجيد، لقد كان سعيدا في النهاية معنا ودافع عنا ببسالة!»

- «لا بأس، أنا واثقة أنك ستعالجه»

- «سأبذل كل ما أستطيع في سبيل ذلك»

- «إذن حين كنا نبحث عن القائد، فلاد لم يهرب من المقر، أخفى أو أحرق الزي ثم أسرع إلى السجن ووضع القيود»

- «أجل، كان ذلك ذكيا منه»

ودعت فيرونيكا وغادرت، قلت لرامي:

- «أرجو أن نعود الآن لمتابعة علاج غابرييل يا رامي»

- «حسنًا، فور أن يتحسن غابرييل من إصابته سنبدأ بعمليات الترميم والتجميل له!»

***

أنا فلاد فولكوف، لا أعلم متى بدأت معاناتي، أعتقد أنها بدأت منذ أن أدركت وجودي في هذا العالم، لقد تم التخلي عني منذ أن كنت رضيعا في أحد ملاجئ الأيتام الرديئة، وبعد أن أصبحت قادرا على المشي

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

والتكلم، تعرفت على إيفان، كان طفلًا نحيلًا وجبانًا، وكنت دائما أدافع عنه ضد الأطفال الآخرين.

في يوم مظلم، اختفى كل أطفال الميتم وتم وضعهم في برنامج معسكر تدريبي سري للجنود منذ الطفولة، ذلك حتى يضمنوا الولاء المطلق من جنود مستقبلين أشداء لا يناقشون الأوامر مهما كانت قذرة، لكني كنت ذلك الطفل العنيد، دائما أحاول الهرب، ودائما ما تضيع محاولاتي سدى ويتم الإمساك بي، كنت أرفض ما يطلبونه مني ثم يتم تعذيبي بأشد الطرق إيلامًا حتى يكسروا شوكتي، تعذيب من ضرب مبرح وحرق للجلد وحجز انفرادي يستمر لشهر، هذه الندوب التي على وجهي ليست من المعارك خضتها، إنما من قادة ذلك المعسكر اللعين!

بعد سنوات تم تسميتي فلاد المعذب، لأنه لم يمر على القادة أحد بعنادي ولم يتم تعذيب أحد كما حصل لي، اقتراب من الموت مرات عديدة! فلقد كانوا يبتكرون طرقا للتعذيب ويستمتعون في سادية بتطبيقها علي!

ومع الحجز الانفرادي لفترات طويلة بدأت شخصيات أخرى تتشكل في داخلي! يقال أن كل إنسان يمتلك ثلاث شخصيات، الشخصية التي تتعامل بها مع المجتمع، الشخصية التي تتعامل بها مع عائلتك وأقاربك، وشخصية حين تكون وحدك، وهذه الشخصية الأخيرة هي حقيقتك! الإنسان الطبيعي لا تكون تلك الشخصيات مختلفة بشكل كبير..

لهذا بدأ فلاد المنصاع للأوامر بالتشكل، فلاد الذي يقوم بما يريده القادة منه باحترافية عالية ومن دون نقاش وبمثالية، كنت أبغضه، لكنه أصبح شخصية في داخلي، أعرف ما يفعله، لكنه لا يعرف ما أفعل..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كان إيفان صديقي الوحيد هناك، وكان أذكى مني، كنت أحسده على ذكائه رغم أنه غريب الأطوار ومهووس بالبكتيريا والفيروسات، كان دائما ما يقفز من دون سابق إنذار ويقول نظرية عشوائية غريبة عن البكتيريا والفيروسات:

- «هل تعلم أن عدد البكتيريا في جسم الإنسان هي أكثر بعشرات المرات من عدد خلايا الجسم؟ هذا يعني أننا كائنات بكتيرية أكثر من بشرية، أليس كذلك؟»

- «يا لك من غريب الأطوار، أنا لا أهتم لهذا»

وفي وقت آخر:

- «هل تعلم أن البكتيريا العائمة في السماء تساعد على تكوين الأمطار، أراهن أنه لو تم نشر بكتيريا عائمة في صحراء فسوف تمطر السماء بها!»

- «أعتقد أنك يا إيفان رغم انك ضعيف لكنك ستصبح عالمًا، عالمًا مميزًا سينقذ الكثير من الحيوات، أريدك أن ترافقني دائما إلى أن نحقق هذا»

كانت شخصية فلاد رقم اثنين تتضخم بداخلي لتحقق ما يطلبه القادة مني.. وقد أصبحت جزءا لا يتجزأ من كياني.. يئس الجزء الحقيقي مني واختفى وسط التعذيب..

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كبرت وأصبحت عميلا مميزا، في أثناء عودتنا من إحدى المهام، أصبت بإصابة كادت أن تقتلني في أثناء هجومي على مقر لأطباء يقومون بتجارب غير شرعية، لكن تم علاجي، وشاءت الأقدار أن يكون من عالجني هو ركوس كاستيلو..

- «لم أنقذتني؟ أنا كنت قادمًا لأقتلك»

- «ما اسمك؟»

- «فلاد»

- «أنت كنت تتبع الأوامر من دون نقاش يا فلاد، هل أنت تريد قتلي شخصيا؟»

- «بالطبع لا»

- «سأخبرك لم يريدون قتلي، أنا أريد أن أحقق حياة أفضل للبشرية وقد يلزم ذلك بعض التضحيات كالتضحية بهم، إنهم يريدون الاحتفاظ بموقعهم السياسي من دون أن يقوموا بواجباتهم الحقيقية، سوف أخبرك كل شيء...»

أخبرني عن أيدلوجيته المميزة، رافقته لعامين، خلالها استطاع ماركوس أن يكشف ويحرر فلاد الحقيقي وأعادني إلى العالم، شعرت أنني حر، وقد أثرت أفكاره علي وطلب مني أن أكون قائد منظمة ملائكة الموت الأسود، بما أنني الأقوى بين الآخرين والأكثر معرفة في الأمور العسكرية بالإضافة إلى حالتي النفسية التي كان يراها أنها

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

هبة فريدة وسوف تفيدنا في التسلل أمام أعين أعدائنا دون أن نثير الشكوك، طلب ماركوس مني أن أكون القائد!

لم يتردد إيفان في الانضمام فيما بعد، وبدأت منظمتنا في الازدهار وانضم رافاييل ورجالات عسكرية بمراكز حساسة لنا.. لكن مات ماركوس في النهاية قبل تسعة عشر عاما، وتبعه إيفان، هما فقط من أستطيع أن أناديهما أصدقائي!

لقد كنت أعمل تحت غطاء فلاد الثاني الذي لا يعلم عن وجودي شيئا، وأراقب من عينيه ما يجري.. كنت أريد أن تنجح الأمور، لهذا أرسلت أفضل شخص قد يحمي نور وغابرييل حتى يحين الوقت المناسب، كان ذلك شخصيتي الثانية!

لكني فشلت في النهاية، لقد تم سجني في أعماق سجن ماء البشرية ستستمر في السير نحو نهايتها من دون مخلص لها! تسير نحو نهاية محتومة كتبتها لها!»

***

لقد مر عام كامل على تلك الحادثة، كانت رشا تقوم بتعليم غابرييل العربية، بينما كان يدرس وحده وأنهى العديد من الكتب الطبيبة، هذا الشاب سيذهب للجامعة ويتفوق من دون عناء!

تم التحقيق بشكل واسع مع من تم إلقاء القبض عليهم واستطاعت فيرونيكا وضع يدها على ملفات سرية لكافة أعضاء تلك المنظمة، لتكون هذه نهاية شياطين الموت الأسود!

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

كنت أتابع قضية فلاد، وأحرزت بعض التقدم معه، أعتبر فلاد الجيد صديقا لي، وسوف أكمل إلى أن يخرج نقيا من شخصيته الأخرى!

في هذا الوقت قام رامي بعمل عدة عمليات لغابرييل، وقد احتجنا لإضافة أجهزة عمليات تعمل عن بعد، لإجراء بعض العمليات التي تحتاج أطباء مختصين دون الحاجة لإحضارهم، حتى الآن، استطاع رامي أن يعالج أسنان الفتى وأجزاء قليلة من التشوهات فقط الجلدية والجسدية، لم يكن التقدم سريعا لأن رامي كان حذرا ويدرس كل خطوة بدقة، في النهاية يبقى هذا تقدما..

مهما أخذ ذلك من وقت ومهما تطلب الأمر، سوف نعالجك يا غابرييل، وقريبا ستستطيع الخروج بحرية..

اليوم هو يوم لعملية مهمة جدا.. عملية إصلاح أحباله الصوتية، عملية فريدة سيقوم طبيب متمرس من دولة في الخارج باستخدام الجهاز عن بعد لعلاج أوتاره الصوتية بمساعدة رامي، وبعد عملية معقدة وطويلة للغاية، وانتظار لا نهاية له..

كنت أقف أنا ورشا، ننتظر أن نرى إن نجحت العملية أم لا..

قلت بعد أن استيقظ غابرييل من التخدير:

«غابرييل، هل أنت بخير؟ هل نجحت العملية؟!»

«أعتقد.. أعتقد هذا، لكن الكلام.. صعب قليلا» قالها بصوت متقطع!

قفزت رشا وهي تصرخ من الفرح، بينما بكيت وقلت:

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

- «الحمد لله، أنا سعيد جدًا أنك تحسنت، أشعر براحة لا توصف يا غابرييل»

غابرييل: «أنا عاجز عن شكرك يا نور، مهما فعلت فلن أستطيع أن أرد لك المعروف»

- «لا يا غابرييل، يجب أن تعرف أنني فخور بك، فخور بك يا بني، قريبا جدًا سوف تعود كما كنت، قريبا ستحقق حلمك وتصبح طبيبا ينقذ أرواح من لم تكن الحياة في صفهم!»

- تمت-

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

لا تنس أن تكتب لي رأيك بالرواية على منصة جود ريبد:

goodreads.com/hamzazayed

أو على صفحة الفايسبوك:

facebook.com/enghamzazayed

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:
أشرف غالب.

جميع الحقوق محفوظة ©
تأكد من أنك تقرأ هذا الكتاب من قناة مكتبة ضَــاد، الإلكترونية الرسمية على تيليجرام.

تمّ تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني
بـواسـطـة:

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،
وكل ما تشتهيه قريحتك الثقافية.

مكتبة ضياء
t.me/twinkling4

رحلات إلى عوالم خفية

يجد الدكتور نور
المتخص بعلم النفس أنه أمام معركة
مع كائنات تسببت بمقتل المليارات من
البشر منذ أن وجدوا على سطح
الأرض.
وقد تطورت هذه الكائنات لتستطيع
القضاء على البشرية!

t.me/twinkling4